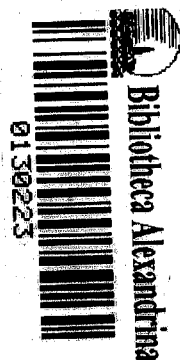


البيان في تاريخ جزارق وحسرو وخرق

الجزء الأول
العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف
جدة الولاء محمد ربيع ولول





27125

953.8
PJ >
C

البريد في تاريخ جزارق وحسرو وخرق



General Organization Of the Alexandria
Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

المجلد الأول

العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف:

عبد الوهاب محمد الغنيم

رقم التوثيق	
953	ع.ب.ب
رقم التسجيل	
C1826	

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

حين نقدم هذا البحث إليك أيها القارئ الكريم عن تاريخ جازان وعسير ونجران، فإننا لاندعى أننا أدركنا ما استحال ادراكه على غيرنا من الباحثين ذلك أن الحقائق التاريخية، بكلياتها وجزئياتها مرقومة في ذاكرة التاريخ ومبثوة بين دفتي الكتب، مثل المعادن منها ما هو ظاهر على سطح الأرض، وما هو مطمور قريب إلى السطح، أو أدنى إلى العمق، وبمقدار الظهور والخفاء، والقرب والبعد تكون المعاناة والجهد المبذول في اقتناص الأخبار والحقائق التاريخية، ومن ثم رصدها.

واكتشاف الحقائق التاريخية، أو جزئياتها، وسبك خيوطها في نسيج محكم، مدعم بالأدلة والبراهين الواضحة، وعلى الوجه الذي يجعلها مقبولة لدى كل منصف، هو عمل يحتاج إلى جهد جهيد، لما يقتضيه من إمعان نظر، وفحص وتمحيص.

ولاريب أن الباحث في تاريخ تلك المناطق، منذ ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحاضر، يجد الارهاق عند تتبعه جزئيات تلك الحقائق التاريخية، من المصادر المختلفة، لأنها وإن كانت قد نالت حظاً من اهتمام الباحثين، فسجلوا تاريخها في العصر الحديث، لكنها لم تنل

الاهتمام نفسه من التسجيل فى أطوار التاريخ، ومراحله السابقة، وإنما ذكرت عرضاً ضمن التاريخ العام لشبه الجزيرة العربية وتاريخ العرب والإسلام، وأصل القبائل وأنسابها وتفرعاتها، وهجراتها، واستيطانها، وما وقع بينها من حروب أو مودعة وموالة، وما قيل فيها من شعر أو روى من قصص ووقائع، وبخاصة عن العصر الجاهلى.

فالعرب لما كانوا أمة أمية، قليلو العناية بالكتابة، فقد استعاضوا عن ذلك بقوة الحفظ، وصقلوا موهبتهم على إختزان ما تتلقفه أسماعهم، فى ذاكرة حفظ واعية، بفرض حفظ تاريخهم، وأنسابهم، ووقائعهم وغير ذلك مما يحتاجون إلى تداوله حفظاً لكيانهم بين الأمم المعاصرة لهم، حتى إذا ما جاء الإسلام كانوا قد بلغوا الغاية فى ملكة الحفظ، وفى الفصاحة والبلاغة، فكان القرآن الكريم متحدياً لهم فى أهم ميدان برعوا فيه .

بدأ المسلمون تدوين علومهم بجمع أحاديث الرسول ﷺ ومغازيه مبدعين فى ذلك منهجاً لم يسبقوا إليه، وهو الرواية والاسناد، والجرح والتعديل، وهو منهج تميز بالدقة والافتقان، وشدة الحرص والتحري فى نقل الأخبار .

وكان ممن أرخوا فى السير والمغازى مبكراً: عروة بن الزبير (ت ٩٢هـ) وعاصم بن قتادة (١٢٠هـ)، وابن هشام الزهرى (ت ١٢٤هـ)، وابن حزم الأنصارى (ت ١٣٥هـ)، والواقلى (ت ٢٠٧هـ) وابن هشام (ت ٢١٣هـ)، ثم تبعهم علماء أرخوا للإسلام

بالمنهج الذى اتسم بالحرص والتحري في نقل الأخبار، إلى درجة بعيدة في مصداقية الخبر، اعتماداً على الراوية والسند، دون التحليل في معظم الأحوال كالطبرى (٣١٠هـ)، وابن سعد (٢٣٠هـ)، والذهبى (٧٤٨هـ)، وابن الأثير (٦٣٠هـ)، والمسعودى (٣٤٦هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ)، وتبعهم نقاة في كل عصر سلكوا نفس المنهج أو قريباً منه.

ونحن فريق من علماء المسلمين منحى آخر، فصنفوا في جغرافية الأرض وطبيعتها، وتحديد أقاليمها، وخصائص كل إقليم، من حيث التربة والمناخ والكائنات الحية وغير ذلك مما هو مدون في كتب المعاجم والبلدان.

ومن الملاحظ أن من أرخوا للعرب في العصر الجاهلى، وبالأخص للدول والممالك التى أقاموها، قد اعتمد بعضهم على ما نقله الاخباريون، أو ماورد في مؤلفات أهل الكتاب، وهي أخبار تتسم في معظمها بالتضارب وعدم الدقة والواقعية، وغالباً أوردتها هؤلاء المؤرخون بنوع من الحذر في مصداقيتها.

أما تاريخ العرب في ظل الإسلام، وكذلك تاريخ شبه الجزيرة، فقد وجد اهتماماً بالغاً من المؤرخين في مختلف العصور، وإن كان التركيز على بعض البقاع أو الأقاليم يحد الاهتمام الأوفى دون بقاع وأقاليم أخرى، وربما يعود ذلك إلى وجود السلطة الإدارية والسياسية في ذلك الاقليم، ولذا نلاحظ أن الاقاليم المناطة بالبحث والدراسة، قد

اهملتها المراجع في بعض الفترات التاريخية أو بالأحرى لم تسلط عليها
الأضواء كغيرها، وهذا شأن نظيرها في كثير من البقاع.

وعلى كل فنحن نحاول جهدنا تتبع الجزئيات المتناثرة، وإيصال
خبرها في محاولة لا يوضح ما خفى من تاريخ تلك المنطقة معتمدين في
ذلك على المراجع الأساسية لتاريخ العرب والإسلام، وكتب المعاجم
والبلدان، والمؤلفات المنصفة في كل عصر، مستأنسين في ذلك بالدراسة
الوصفية التحليلية للأحداث والوقائع والأخبار، وظروف ودواعي
وقوع الحدث، وارتباطه بأحوال المجتمع والعصر الذي حدث فيه،
ومستعرضين الشواهد والأدلة على صحة ما نذهب إليه.

وبالرغم مما بذل من جهد و طاقة، فإن نتيجة أية مسألة تم التوصل
إليها، قد تكون موافقة للصواب، وقد تكون عرضة للخطأ، وهو أمر
مقضى به في أعمال البشر، إلا من عصمه الله، وللمجتهد منهم أجران
إن أصاب، وأجر إن أخطأ .. وما علينا إلا بذل ما في الوسع والطاقة
مستلهمين من الله التوفيق، داعين العلى القدير، المنزه عن الخطأ، أن
يلهمنا الصواب وأن يجنبنا الزلل، إنه سميع مجيب.

المؤلف

الباب الأول

بلاد العرب

١- جغرافية بلاد العرب :

حفلت بلاد العرب باهتمام الجغرافيين العرب الأوائل، وأطلقوا عليها مجازاً جزيرة العرب^(١) لإحاطة البحار من أقطارها وأطرافها، فصارت منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر^(٢) حيث تحيط بها مياه الخليج شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً والبحر الأحمر غرباً.

ومع وحدة أرضها، وتشابه أصقاعها في العديد من الخواص، إلا أنهم حاولوا بشئ من الاهتمام توضيح طبيعتها الجغرافية، وقسموها إلى أقاليم ترتبط بتقسيمهم لأقاليم الأرض السبعة، تختلف إلى حد ما من حيث الطبيعة والمناخ، والخواص الأخرى.

(١) إما كان ذلك مجازاً لأن الجزيرة هي ما تحيط بها المياه من الجهات الأربع، وبلاد العرب تحيط بها المياه من جهات ثلاث فقط على أرجح الأقوال، ولذا أطلق عليها: شبه الجزيرة العربية.

(٢) للمدائني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، المتوفى بعد عام ٣٥٠هـ، صفة جزيرة العرب ص ٥٧.

فقالوا إنها تنقسم إلى خمسة أقسام هي : تهامة، والحجاز، ونجد،
والعروض، واليمن^(١) ويزيد بعضهم على ذلك بادية الشام، وبادية العراق،
وأرض الجزيرة فيما بين دجلة والفرات^(٢) .

ومع وحدة أرض شبه الجزيرة العربية، والتشابه في كثير من الخواص
إلا أن الجغرافيين العرب اعتنوا بالتفريق بين تلك الأقاليم من واقع
الاختلاف في المناخ والمظهر التضاريسي، محاولين تحديد معالم كل إقليم،
ومافيه من مفاوز وجبال، وقفاز ومناهل، وأودية، وزروع ومنازل
للحضر، والبادية وغير ذلك.

والذي يعيننا من تقسيمهم هذا هما تهامة، والحجاز، ثم نجد واليمن
من بعض الوجوه.

تهامة :

المتعارف عليه عند جغرافي شبه الجزيرة العربية تقسيمها إلى خمسة
أقسام كما سبق أن ذكرنا:

١-تهامة ٢-الحجاز ٣-نجد ٤-العروض ٥-اليمن

(١) المحدثاني، المصدر السابق، ص ٤٧، وياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، المتوفى سنة ٦٢٦هـ . معجم

البلدان ١٣٧/٢، والقلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، المتوفى ٨٢١ هـ، صبح الأعشى في صناعة الانشا

٢٤٥/٤، والبغدادى، صفي الدين بن عبدالحق، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص ٣٨٠.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبى، صورة الأرض، ص ٢٩.

فتهامة قسم من أقسام الجزيرة الخمسة، ورد اسمها في الكتب
(الكلاسيكية) عند ورود ذكر تجارة الطيوب والفاوية والأصباغ، وإرتياد
بعض بحارة اليونان لشواطئها على البحر الأحمر.

جاء في الخط المسند بأن الملك شرحبيل بن يحصب كان من نعوته
الملكية في أول أمره "مَلِكُ سبأ" ثم أضيف إليه عندما توسع ملكه "مَلِكُ
سبأ وذوريدان ويمنت" ثم "ملك سبأ وذوريدان ويمنت وتهامت" ... إلخ.
والمقصود بتهامة هنا: تهامة اليمن.

أشرنا بعاليه إلى ماورد في الخط المسند من نعوت الملك شرحبيل بن
يحصب ما يعرف منه أن اليمن كان يطلق على منطقة من مناطق ما شمله
ملك ذلك الملك لا الأسم السياسي المعروف الآن (اليمن).

والمعارف عليه على وجه العموم أن (اليمن) اسم جهة أكثر منه
الاسم السياسي الآن، فما كان شمال المستقبل للشرق فهو شام، وما كان
على يمينه فهو يمن، وهكذا كل جهة تطلق على ما هو شمالها شام، وما
على يمينها يمن، وأكبر دليل على صحة ما نقوله ما ورد في كتاب (صفة
جزيرة العرب) لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى بعد
منتصف القرن الرابع.

فقد عقد فصلاً خاصاً في كتابه بعنوان "معرفة تفاصيل هذه الجزيرة
عند أهل اليمن" فقال: "هي عند أهل اليمن: يمن وشام، فجنوبها اليمن
وشمالها الشام ونجد وتهامة، فالنجد ما أنجد منها عن السراة، وظهر من

رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دونما ينحدر إلى العروض، وحجاز هو ما حجز بين اليمن والشام، وسراة هو ما استوسق، واستطال في الأرض من جبال السراة مشبهاً بسراة الأديم، وعروض وهو ما أعرض عن هذه المواضع شرقاً إلى حيز شمال المشرق ... إلخ^(١).

وبهذا التعريف فالشام واليمن أسماء جهات أكثر منها أسماء مواضع، وعلى سبيل المثال فنحن في منطقة حازان إذا استقبلنا المشرق نقول لمن في جنوبنا يمن، ومن في شمالنا شام، وكذا أهل مكة يقولون لمن شمالهم شام، ولمن جنوبهم يمن. فهي أسماء الجهات وأسماء الجهات ليس لها حدود متعارف عليها، وفيما بعد الحجاز يقال لسوريا الشام - بالتعريف - أما أين يبدأ الشام وينتهي، وكذا اليمن، فهذا لا يستطيع أحد أن يحدده على وجه الدقة في ذلك الزمن الذي نتحدث عنه تاريخياً.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية "... ومهما يكن من شيء فلإن الجغرافيين العرب لم يقفوا عند استعمالها - أي اسم تهامة - بمعنى ساحل البحر أو الغور أو السافلة، بل تجاوزوا ذلك فجعلوها وحدة جغرافية وسياسية إلى جانب الحجاز ونجد، والعروض، واليمن".

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني، طبعة ابن بليهد، ص ٥٠، وطبعة دار اليمامة للنشر، ص ٦٤.

والحق أن تهامة كانت في عهود مختلفة من تاريخ جنوب الجزيرة العربية وحدة قائمة بذاتها، وشاهد ذلك عهد الوجود الفارسي بجنوب الجزيرة في نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

وتهامة هي الغور الضيق الذي يساير البحر الأحمر فيمتد من شبه جزيرة سيناء بمحاذاة الجانب الغربي والجانب الجنوبي من جزيرة العرب، وقد تناول الإدريسي تهامة بأوفى بيان فقال: إنه تتخللها جبال تخرج من خليج القلزم، ويتفرع من هذه الجبال فروع تتجه جنوب المشرق، ويتأخم تهامة من المغرب خليج القلزم، ومن المشرق تلال تسير شمالاً وجنوباً (السراة).

ويقول الإدريسي: إن تهامة تمتد من سرجة إلى عدن اثني عشر يوماً - وأعتقد أنه يعني الشرجة وهي شرجة الموسم المدينة التاريخية -، وأوسع موضع في تهامة هو ساحل جدة ثغر مكة ومن نواحي مكة في تهامة: ضنكان، وعشم، وبيش، وعك، وروى المدائني أن من اجتاز وجرة وغمرة والطائف قاصداً مكة فهو في تهامة^(١).

وذكر ابن خلكان في (وفيات الأعيان) - ج ٣ ص ٣٨١ - في ترجمة علي بن محمد التهامي الشاعر المعروف "نسبة إلي تهامة وهي تنطبق

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٩٦:١٠ نقلاً عن الإدريسي.

على مكة، ولذلك قيل النبي ﷺ التهامي لأنه منها، وتنطبق أيضاً على
جبال تهامة وبلادها، وهى خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن."

هذا ماورد في المصادر المذكورة عن وحدة تهامة وتميزها كقسم من
أقسام الجزيرة العربية.

أما ماورد في كتاب (صفة جزيرة العرب) من قول الهمداني عن أم
جحدم وجبل (كدمبل)، وهو الاسم الوارد في المصادر التهامية (كتمبل).
فقول تفرد به الهمداني، وهو قول قيل في عصره وتفرد هو به تقريباً، وهو
تحديد إداري في وقت كانت الجزيرة العربية تابعة للخلافة العباسية، وإلا
فجبل كتمبل هو في تهامة من بلاد كنانة قرب (القحمة) لا في (حمضة)،
كما يذكره الهمداني، فحمضة هي جنوب القحمة بـ (٢٢) كيلاً.

يوجد غرب القحمة جبالان، الأول في جهة الشمال يسمى
(الوسم) على ميناء القحمة، والآخر يسمى (كتمبل) وهو في الغرب
الجنوبي منها، ولطالما أشكل على بعض المؤلفين بين اسم (الوسم) آلة
التعريف بعدها واو مفتوحة وسين ساكنة، الذى في شمال القحمة على
الساحل. وبين اسم (الموسم) بضم الميم ثم واو، ثم السين مشددة
مفتوحة، الذى هو في أقصى الجنوب الغربي من حدود المملكة العربية
السعودية، وبينهما أي بين الحدود من جهة الموسم وبين الحد الإداري
للقحمة (٣١٠) كيلاً تقريباً.

الحجاز :

يطلق الحجاز على سلسلة جبال، أعظمها جبل السراة، تمتد من اليمن جنوباً حتى بادية الشام شمالاً، وسُمي بذلك لأنه يحجز ما بين تهامة ونجد^(١) وقال البكري: الطود الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، ويقال له: السراة. أوله سراة ثقيف، وسراة فهم، وعدوان، ثم سراة الأزد، ثم الحرة آخر ذلك كله^(٢) أى أن ذلك آخر جبال السراة، وليس جبال الحجاز.

ونلاحظ أن هؤلاء الجغرافيين العرب قد بينوا الحدود الطبيعية الفاصلة بين الحجاز وغيره من الأقاليم، فمثلاً يقول المسعودي عند تحديده حدود اليمن: حده مما يلي مكة الموضع المعروف بطلحة الملك^(٣)، وقال البكري: حدها مما يلي الحجاز، طلحة الملك إلى شرون^(٤) وشرون من عمل مكة أى تابعه لعمالة مكة^(٥).

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/٢١٨، البكري: معجم ما استعجم ٩/١، والممداني، صفة جزيرة العرب ص ٥٨.

(٢) معجم ما استعجم، ١٥/١.

(٣) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، ٢/٨٩، وتاريخ مدينة صنعاء للرازي، بتحقيق العمري، ص ٥.

(٤) يبدو أنها حُرِّفت إلى شرون، فسروم وادى في الجنوب الغربي من صعدة، ببلاد بنى جماعة. انظر صفة جزيرة العرب للممداني ص ٢٥٠، ٢٥٠، ٤١٨، ٤٢١، وفي الأخيرة يقول: الطلاح موضع طلحة الملك، وجميعها

مواضع في بلد وادعة من همدان، وهي من أحواز أريظ.

(٥) البكري معجم ما استعجم ١٦/١.

ويزيد الأمر وضوحاً قدامة بن جعفر الكاتب، وهو يصف الطريق المؤدى إلى مكة المكرمة، ومافيه من منازل، وقرى، وآبار وغيرها، محدداً المسافات بين المنازل والبقاع الواقعة على الطريق. فيصف الطريق من مكة إلى صنعاء حتى يأتى إلى مدينة جرش. ثم يقول: ... ومن جرش إلى كتبة^(١)، قرية عظيمة بينها وبين جرش ثمانية أميال، ومن كتبة إلى الشجة، موضع البريد وفيه بئر ماء ينزله القوافل، وهو في بلاد زيد^(٢)، ومن الشجة إلى شروم راح^(٣) إلى المهجرة وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل وفيما بينها - أى المهجرة - وبين شروم راح، شجرة تشبه شجرة الغرّب إلا أنها أعظم، في وادى طلحة الملك وكان النبى ﷺ حجز بها - أى بتلك الشجرة - بين مكة واليمن، ومن المهجرة إلى عرقة، منزل في جبل فيه أعراب من خولان، وهى أول عمل اليمن، ومن أعمال صعدة^(٤) أى أن ما بعد عرقة منزل ينزله بعض قبائل خولان هو أول عمل اليمن. وهو غالباً بأرض خولان بنى عامر.

ونلاحظ أن ابن خرداذبة جاء بما يؤكد ذلك، حين ذكر مخاليف مكة فقال: الطائف، ونجران، وقرن المنازل، والفتق، وعكاظ، والزيمة، وتربة،

(١) نظن أنها "كنة" الموجودة حالياً بهذا الاسم بأرض قحطان الجنوب.

(٢) بمخلاف السحول بأرض اليمن، صفة جزيرة العرب ص ٢١٢.

(٣) الصواب: شروم بالسين، بدلاً من الشين.

(٤) انظر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٨٢، ٨٣، لقدامة بن جعفر الكاتب بديوان الخراج بالدولة العباسية.

(ت ٣٢٠هـ) بتحقيق. د/ محمد حسين الزبيدى، وابن خرداذبة ص ١٣٥.

وبيشة، وتباله، والمهجرة وثجة، وجرش، والسراة^(١) وغيرها .. فقد ذكر هنا أن نجران من مخاليف مكة وكذا السراة.

وقال وهو يصف الطريق من مكة إلى اليمن، وبعد أن يعدد البلدان حتى كتنة: ثم الثجة، ثم إلى سرور راح، قرية عظيمة فيها عيون وكروم، ثم إلى المهجرة، وفيما بين سرور راح والمهجرة، طلحة الملك بها شجرة عظيمة تشبه الغرب^(٢) غير أنها أعظم منه، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن^(٣) (والمهجرة من أعمال صعلة بينها وبين صعلة حوالى ٥٩ كيلاً)^(٤).

ويقول القلقشندي حدود اليمن مع مكة الموضع المعروف بطلحة الملك، وما على سمت ذلك إلى البحر^(٥) أى البحر الأحمر.

كما يقول صاحب تاج العروس: نجران يُعد من مخاليف مكة، فتح سنة عشر من الهجرة صلحاً على الفئ^(٦) وفي موضع آخر قال: من نجران

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة، ص ١٣٣.

(٢) شجر الغرب، هو شجر كبير الحجم مثل شجر الصفصاف، وقيل هو الصفصاف، وكان يصنع منه السهام لثاقته، وله فوائد طبية ذكرها القزويني في كتابه "عجائب المخلوقات" ص ١٧١.

(٣) المسالك والممالك ص ١٣٥.

(٤) انظر صفة جزيرة العرب ص ٢٥٠، ص ٣٣٩، ص ٤٢١.

(٥) صبح الأعشى في صناعة الانشا ٦/٥، ٤٤.

(٦) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٥٥٦/٣.

التي هي من أعمال مكة^(١) . وذكر بعض الأسماء الشهيرة، ونقل
القلقشندي: أن نجران صقاً مفرداً^(٢) أى إقليم قائماً بذاته.

وقد أورد ابن زبارة العبارة التي قالها صاحب معجم البلدان نقلاً
عن الأصمعي عند تحديده حدود اليمن، فقال: "اليمن ما اشتمل عليه
حدودها ما بين عمان إلى نجران"^(٣) . لأن "إلى" تفيد هنا انتهاء الغاية
المكانية فلا يدخل في الغاية مابعدهما، أى أن أرضها هي المنطقة الواقعة فيما
بين عمان ونجران، وبذلك تخرج كل من عمان ونجران عن حدود وأرض
اليمن .. وهذا فعلاً مايقول به التاريخ .. وما تقتضي أدلته في هذا البحث.

ونقل الفاسي أقوال من سبقه^(٤) كابن خرداذبه، والفاكهي،
والحازمي، وغيرهم محرراً كلاً منها، ومتنبهاً إلى ما قاله الفاكهي من أن
آخر مخاليف مكة عن طريق تهامة فيما مضى هي بلاد عك^(٥) وأن آخر
أعمالها ومخاليفها بطريق صنعاء هي نجران.

(١) نفس المرجع، والصفحة نفسها.

(٢) صبح الأعشى ٤١/٥.

(٣) مختصر أنباء اليمن ونبلاته في الإسلام، المطبوع مع مجموعة ضمن كتاب، الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، ص ٢٧٢.

(٤) انظر شفاء الغرام، ج ١، ٢١-٢٤، وايضاً كتاب المنتقى في أخبار أم القرى، ٥٠/٢.

(٥) سنعرض إلى بلاد عك فيما يأتي عند ترتيب الرسول ﷺ للولايات أواخر عهده.

كل تلك المواقع التي أوردناها واقعة في إمارة عسير - من البلاد السعودية - وأقصاها جنوباً "كتنة" يقع في بلاد وادعة التي تنتشر في منطقة ظهران الجنوب وما حولها وفق مواقعها على طريق الحج.

وعموماً لقد كان العلماء الجغرافيون العرب يحددون تلك المواقع التي على طريق الحج بحسب الوضع الإداري كل منهم في عهده، فإذا اتسع الحكم لمكة امتد نحو الحدود التابعة لها، والعكس بالعكس، فذلك يختلف باختلاف الأزمان والحكومات، والجغرافيا السياسية والإدارية في كل زمان ومكان فهي موضع للإمتداد والإنكماش والتغير والتبدل بحسب ما تقتضيه مصلحة الإدارة.

أما الحدود الحقيقية فهي تشمل بلاد عسير، وبلاد قحطان، وبلاد وادعة، ومعاهدة الطائف مبنية على الحدود الطبيعية الحقيقية بين حكومتي المملكة واليمن بموجب لجان مشتركة من قبائل الأرض في السعودية واليمن، وشخصيات مسئولة من الحكومتين ارتضتهم الحكومتان واختارتهم، وعملت المحاضر ووقعت عليها اللجان في عين الزمان والمكان، ووضعت الأعلام والصوى عليها.

غير أن سلطة ولاية مكة فيما مضى كانت تمتد فتشمل تهامة، وعسير ونجران في عهد الدولة الإسلامية الموحدة، عهد الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين، وعهد بني أمية والعباسيين.

ونحن من جانبنا سنأتي على ما يؤيد هذا النفوذ، وامتداد السلطة،
خلال السرد التاريخي لعهد الخلفاء الراشدين، وبني أمية، والعباسيين.

ومما يلاحظ أن أسماء بعض المعالم التي ذكرها هؤلاء عند تحديدهم
الحدود الطبيعية، مازالت قائمة حتى وقتنا الحاضر، وبعضها الآخر اندثر،
غير أن كثيراً منهم أوضح مقدار المسافات بين تلك المعالم، ويمكن
الاستئناس بذلك لمعرفة ما اندثر منها، كما يلاحظ عدم الدقة في التحديد
لدى البعض، وذلك بالمقارنة بالتحديد الدقيق في العصر الحديث.

وعموماً فإن الأطوار التاريخية للمنطقة موضع الدراسة، من حيث
اعتبار تلك المعالم الحدودية، أو عدم اعتبارها، أو زيادتها أو نقصانها،
كان يخضع غالباً لعدة اعتبارات لعل من أهمها: حركة القبائل،
واستييطانها، وهجراتها، والاعتبارات التي كانت تحكم قبائل وسط شبه
الجزيرة العربية، منذ ما قبل الإسلام، حتى خضعت لعوامل التنظيم الإداري
والسياسي في ظل الإسلام، وشمل هذا التنظيم الأرض التي يقيمون عليها،
بدخولها في إطار الدولة الإسلامية، التي وضعت ترتيبات إدارية شرعية،
شملت الأرض، وما يخرج منها من زروع، وما يدب عليها من كائنات،
ومن يسعى في جنباتها طلباً للرزق..

ومن خلال حركة القبائل، والترتيبات الإدارية في ظل الإسلام،
نستزيد إيضاحاً لتاريخ المنطقة، ولعالمها الحدودية على ضوء ما يتم
استعراضه من الجوانب التاريخية على مختلف الأطوار في هذه الدراسة.

٢- موقع أقاليم جازان، وعسير، ونجران :

جازان :

هو الاسم الذى يطلق على المنطقة التى تضم مجموعة من البلاد، والبرادى، قاعدتها الإدارية مدينة جازان، وكانت تعرف في السابق بمخلاف حكم، ومخلاف عثر إلى أن وَحَّدَها أميرهما سليمان بن طرف، في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، تحت مسمى: المخلاف السليماني، ثم استمر علماً على المنطقة^(١) إلى أن امتدت إليها يد الإصلاح في عهد الملك عبد العزيز فاندجحت ضمن كيان المملكة العربية السعودية، مما سيأتى إيضاحه فيما بعد.

وحدوده الجنوبية والشرقية تخضع للتحديد الذى تم إيضاحه في معاهدة الطائف^(٢)، ومن الغرب البحر الأحمر، أما الحدود الشمالية فتخضع للترتيبات الإدارية لمناطق المملكة.

(١) العقيلي، محمد بن أحمد، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان، ص ١٤.

(٢) حيث يبدأ خط الحدود - الموضح في البند ٤٤ من المعاهدة - من النقطة الفاصلة بين ميدى (اليمنية) والموسم (السعودية) على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهى إلى الحدود الغربية الشمالية، التى بين بنى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلخ مما سيأتى إيضاحه في موضعه من هذا البحث.

وشواطئه الساحلية قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن الكبيرة، ويتبعه مجموعة جزر بحرية، أشهرها جزيرة فرسان، وكان بالقرب من تلك الجزر مغاصات للؤلؤ، كما توجد بعض الشعب المرجانية.

أما أرضها فعلى ثلاثة أقسام:

١- سبخات ساحلية، بمتوسط عرض أربعة كيلو مترات، وبها بعض الحرار فيما بين مينائي الشقيق، والقحمة.

٢- سهول خصبة رملية في الناحية الغربية، مما يلي السبخات ثم طينية بعدها.

٣- حُزون يتخللها بعض الحرار، وهي غنية بالمراعى والغياض، والأراضي القابلة للزراعة، بالإضافة إلى الأراضي المنتجة زراعياً لأفضل أنواع المحاصيل والخضر والفواكه.

وذلك بالإضافة إلى منطقة جبلية، وهي قسم من سلسلة جبال السروات، بها مدرجات زراعية غزيرة الانتاج^(١) وبها ٢٩ وادياً تفيض بمياه غزيرة، كوادى بيش، ووادى تعشر، ووادى خلب، ووادى جازان،

(١) انظر في كل ما سبق، العقيلي، المصدر السابق، ص ١٥، ١٦.

الذى أقيم عليه سد من أكبر السدود في المملكة، كما أنها تحوى العديد من الينابيع المعدنية، كعين الحارة، والوغرة، والنبوة^(١).

عسير

وكان يعرف فيما سبق باسم السراة، ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك^(٢) عسير وعدها من مخاليف مكة، حيث قال تحت عنوان مخاليف مكة: "... نجد، الطائف، قرن المنازل، الفتق، بيشة، السراة، نجران، ومخاليقها بتهامة: ضنكان، عشم، بيش، عك".

لقد كانت المعلومات عن عسير قبل الإسلام بالنسبة إلى غيرها من أصفاع الجزيرة قليلة حتى سطع الإسلام بنوره، فتألفت فترة قليلة، وهما هي حين انتقلت الخلافة إلى دمشق، وبدأت عزلة الجزيرة، فكانت عسير النقطة الأكثر تعميماً في تلك العزلة. حتى إن كتب التاريخ التهامية والجنوبية مثل تاريخ عمارة والخزرجي والديع التي حفلت بتاريخ الإمارة الزيدية والنجاحية والأيوبية والرسولية، وحروبها مع أئمة اليمن والدولتين الرسولية والطاهرية. لم تورد شيئاً يذكر عنها، إذا استثنينا ما ذكره عمارة

(١) العقلى، المصدر السابق، ص ٢٣، ١٩.

(٢) كتاب المسالك والممالك، ص ١٣٣.

عن إرتباط أمير جرش بأمر المنطقة الجنوبية ابن زياد^(١) عامل الخليفة المأمون على تهامة.

وكانت السراة وصعوبة مسالكها مما زاد في عزلتها حتى قامت الدعوة السلفية في نجد، فكان دخولها في الطاعة السعودية هو ثاني أعظم وأكبر حدث في تاريخها بعد دخولها في الإسلام.

هناك برزت عسير كمنطقة لها أهميتها تشترك في أحداث الجزيرة سياسياً وعسكرياً وإجتماعياً، فبرز ثاني أشهر أبنائها بعد صرد بن عبد الله الأزدي الذي وفد بإسلام قومه على الرسول ﷺ ألا وهو عبد الوهاب بن عامر الذي كان من أبرز رجال الدولة السعودية الأولى حتى في خارج المحيط العربي.

كما برزت بعد ذلك في حملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية حيث تداول ذكرها إلى أن أظلمها العهد العثماني أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري.

كما طالتها سلطة حمود أبو مسمار أمير تهامة برهة، ثم قام بأمر عسير أمراء من أهلها إلى أن أخضعها الأتراك لسلطانهم على يد مختار باشا ورديف باشا القائدان العثمانيان في صفر سنة ١٢٨٩هـ — ١٨٧٢م، وسواء في العهد السعودي الأول أو في عهد أمراء عسير كانت إمارة

^(١) عسير في أطوار التاريخ، العقيلي.

عسير في الأغلب الأعم تمتد كما يقال المثل العسيري (من زهران إلى الظهران) وهي الحدود الحالية تقريباً في عهدنا الحاضر.

وأمرء عسير في كل أطوارهم كانوا امتداداً للدولة السعودية الأولى عقيدة ونهجاً.

وعسير هي الامتداد الطبيعي الجنوبي لأرض الحجاز، والمتاخمة لليمن، فهي في النصوص الواردة عنهم أوضح وأثبت.

غير أننا رغبت في البحث عن نصيب اسم عسير في تلك النصوص، ثم غلبت الاسم على السراة والمنطقة، حتى أصبحت لا تعرف إلا باسم عسير في الوقت الحاضر.

ورد ذكر عسير في أقوال بعض الجغرافيين علماً على قبيلة، وتحديد موطنها، يقول الهمداني: "ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير، قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز، فأوطان عسير إلى رأس تيه، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها ... الخ^(١)، وهذا النص يفيد أن قبيلة عسير كانت موجودة في السراة، ولها موطن معروف فيها وذلك قبل القرن الرابع الهجري، الذي عاش الهمداني في نصفه الأول، لكن اسمها لم يكن قد غلب بعد على السراة كلها، ويبدو أن ذلك قد حدث في العصور اللاحقة لعصر الهمداني، بدليل أنه ذكر جبال السروات، ونسب كل سراة

^(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٦، وأبها هي قاعلة بلاد عسير، ومقر إمارة منطقة عسير في الوقت الحاضر.

منها إلى سكانها، فقال: ثم يتلو سراة عنز، سراة الحجر بن الهنو بن الأزد، ثم سراة غامد، ثم سراة دوس، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الطائف^(١) وقيل إن عسير قبيلة تنسب إلى عسير بن أراشة من عنز بن وائل^(٢).

لم نخلص بعد إلى ذكر حركة القبائل، وهجرتها، ومواطن استيطانها، في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة هذه المنطقة، كي نذكر عسير وغيرها من القبائل، فالمقام هنا لذكر الموقع الجغرافي، وما قادنا لذلك إلا غلبة اسم عسير على السراة، أو سراة الحجاز، التي وردت في النصوص القديمة، لتحديد الموقع.

نجران :

هي الواحة الخضراء في الجنوب الغربي من حدود المملكة العربية السعودية، والتي تمتد جذورها العربية في أعماق التاريخ ومتاهات الزمن، والتي احتفظت بسلالاتها الأصلية من (جرهم الأولى) مع من وفد إليها وتأقلم في بيئتها.

نجران التي نقش اسمها على صفحات الدهر، وأبقت بصماتها على سجلات الآباد، ودانت للوثنية كغيرها من بلاد العرب، واعتنقت

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٨، وهو وإن لم يذكرها جميعها، وبالترتيب، لكن مجرد ذكره لها يفيد أنه كانت هناك قبائل لها مواطن على السراة تنسب لها، وأن قبيلة عسير إحدى تلك القبائل.

(٢) كنز الأنساب وجمع الآداب، حمد إبراهيم الحقيقل، ص ٢٥.

اليهودية، أو بالأصح اعتنقها بعضها، ثم اعتنقت المسيحية، ولما جاء الإسلام أسلم معظم أهلها، ثم رحل من بقي على نصرانيته، ولم يبق فيها غير الإسلام والمسلمين.

عرفها اليونانيون كسوق تجاري على طريق القوافل التي تحمل عروض تجارة البخور والتوابل والآفاوية والعقيق والأصباغ من العربية السعيدة، وبعض مناطق الجزيرة، وتعود إليها محملة بمنتجات اليونان، وعروض فارس ومنسوجات وسيوف الشام.

ومن بحران تتوزع طرق شتى في جنوب الجزيرة وشرقها، وقبل ذلك، وفي أثنائه كان للرواد الأوائل من اليونان فضل تعريف قومهم بأقطار من الجزيرة، وبالأخص ما كان على طرق القوافل والشواطئ البحرية، ومن تلك المعلومات تزودت حملة الإسكندر، غير أن الحملة لم يكتب لها النجاح لأسباب أهمها موت الإسكندر.

وبعد امتداد سلطان الرومان على مصر وسوريا، وبلاد الأنباط العربية، تطلعت مطامع (قيصر أغسطس) إلى أرض البخور والتوابل والأصباغ أغلى عروض التجارة العالمية آنذاك. محاولاً أن يحقق مشروعه الرائد - الذى لم تحققه حملة الإسكندر - فأصدر أمره على والي مصر بتجهيز حملة لغزو الجزيرة العربية، وبين ٢٤-٩ ق.م توجه القائد (يوليوس) يقود الحملة من مصر إلى ميناء النبطي (لويكا كوما)، ومن هناك صارت

برفقته بعض شيوخ ورؤساء العرب، ووالى الحملة سيرها المضني والقتال المرير، مع ما قاسوه من نقص في الأقوات وشح في المياه.

وصلت إلى نجران - كما يقال - وقد قطعت الحملة المسافة من لويكا كوما إلى ذلك الموضع في ستة أشهر، أما في العودة فقطعتها في أقل من ذلك.

وقد دون أحد مرافقي الحملة حركات الحملة وسيرها وعودتها، وإن كانت مدوناته لا تخلو من المبالغة، كما أن أسماء كثير من المدن والمواضع سجلت باللاتينية فصعب ذلك معرفتها، وبناء على تلك المدونات أصبح لدى الرومان معلومات عن هذه البلاد وبالأخص التي على خط سير الحملة، وعن نجران خاصة، وقد استغلت تلك المعلومات بعد ذلك عندما اعتنقت الإمبراطورية الرومانية المسيحية بعد نحو ٢٩٠ عاماً، وهي مدة في عمر الدول والشعوب الحية ليست طويلة.

وفي سنة ٣١٣ م إهتم القيصر قسطنطين بنشر المسيحية والتبشير بها في أرجاء إمبراطوريته، والبلاد المجاورة، وأخيراً تمكن المبشرون من تأسيس كنائس في شبه الجزيرة العربية وغيرها، منها ما هو بعدن وسقطرة ونجران والحيرة.

هذا ما ورد في المصادر الغربية. أما المصادر العربية فنكتفي بتلخيص ما جاء في تاريخ الطبري عن بعض أهالي نجران أنهم كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان لهم ساحر يعلم غلمانهم، فبعث شخص منهم

يسمى (الثامر) ابنه (عبد الله) مع غلمان أهل نجران إليه، وكان قد وصل إليها شخص يسمى (فيمون) نصب خيمته على ذلك الطريق المؤدي إلى الساحل، فكان ابن الثامر إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته فجعل يجلس إليه حتى دخل في دينه، وصار داعياً للنصرانية في قومه.

ومع انتشار الاسلام معروف قصة وفد نجران، فقد جاء في كتاب (المحبر) ص ٣٢ أن العاقب والسيد والأسقف الذين وفدوا على النبي ﷺ كانوا من بني الأفعي سكان نجران الأصليين من جرهم الأولى.

وجاء في تاريخ الطبري أنه وصل خير وفاة رسول الله ﷺ إلى نجران، وإن بها أربعين ألفاً من بني الأفعي^(١)، ويحدثنا التاريخ أن من سكان نجران من هم من بني الحارث من مذحج وقوم من الأزد، ويقول المسعودي^(٢) إن أزد نجران تلاشوا في (مذحج).

وعلى كل فعالب الظن - إن لم يكن الأقرب لليقين - فإن قبائل نجران بسبب موقع نجران الجغرافي والعزلة التي فرضتها حروبها مع جيرانها، كل ذلك يرجح أنه لم تختلط بهم أي قبيلة منذ إسلامهم إلى الآن. باستثناء آل المكرمي الذين انتقلوا إلى نجران بزعامتهم قبل (٢٨٠) سنة - تقريباً - من تاريخنا الحاضر.

(١) لنا تعليق على هذا العدد الذي أورده الطبري، سيأتي في موضعه من هذا البحث.

(٢) انظر مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٩٠.

المهم أن نجران في العصر الجاهلي كانت قائمة بذاتها، وكما يقول
القلقشندي: إنها صقع منفصل^(١) ونقل عمارة بن الحسن، الملقب باليمنى
عن صاحب الكمائم أنها صقع منفرد^(٢).

وأيا كان فإن الأقاليم الثلاثة موضوع الدراسة تقع في حيز وسط
شبه الجزيرة العربية، وارتباطها بها أكثر من أية جهة أخرى، ومن كافة
النواحي، وسنزيد هذا الأمر وضوحاً ودلالة، فيما بعد.

ومن المناسب الإشارة إلى لفظة بدیعة لبعض العلماء^(٣) حين تناولوا
بالبیان والتفسير دعوة الخليل ابراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ربنا
إننى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون﴾^(٤) فلقد دعا الخليل ابراهيم ربه أن يرزق ذريته من الثمرات، بل
ويرزق أيضاً الوافدين إلى البيت للحج والعمرة، بينما الوادى الذى به مكة
والبيت العتيق، غير ذى زرع، والخليل يعلم ذلك، ويعلم أنه غير صالح
للزراع الذى يكفيهم هم والوافدون إلى البيت، فطلب من الله سبحانه أن
يرزقهم من الثمرات، فإن كان قصده أن تحمل لهم من الآفاق، فإن
الثمار تشمل كل ما ينتجه النبات من حبوب، وفاكهة، وخضروات،

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤١.

(٢) تاريخ اليمن لعمارة، ص ١٥١.

(٣) الأزرقى، ج ١، ص ٣٧.

(٤) سورة ابراهيم، آية ٣٧.

ووسائل المواصلات في ذلك الوقت هي الإبل غالباً، ولعن أستعفت في نقل الحبوب الجافة فإنه يصعب نقل الفاكهة والخضروات وما شابهها. من أماكن نائية لتلفها إن نقلت على ظهور الإبل، لذا هيأ الله البقاع الجاورة لمكة المكرمة. كالطائف وتهامة وعسير لتكون امتداداً ومستودعاً لتلك الثمرات بمختلف أنواعها، لإطعام أهل الله، والوافدين إلى بيت الله، ومن هنا كان الارتباط قديماً، وامتداد الأرض شئ طبيعي بارادة وتوجيه إلهي .. فقد توثقت الصلات بين فئة من الناس تجيد التجارة، وأخرى تجيد الزراعة، واستمر هذا التكامل والتلاحم لتلك المنطقة على امتداد السنين والأزمان.

وعموماً هذه بعض نصوص السابقين من علمائنا، في بيان الحدود الطبيعية للمنطقة موضع الدراسة، وربما تؤديها إلى حد ما الأوضاع القبلية التي كانت سائدة إذ ذاك في شبه الجزيرة بصفة عامة، وفي وسطها على وجه الخصوص، وهذا لا يعرف أثره إلا بالتنقيب في صفحات التاريخ، بمختلف أطواره وأدواره.

لكن مهما قيل في هذا التحديد الجغرافي الطبيعي، فإن وحدة عرب الجزيرة العربية اللغوية، والعرقية، والدينية - وبخاصة في ظل الإسلام - ثم العادات والتقاليد، جعلت بلاد العرب مشاعاً لهم، يتحركون فيها حيثما شاعوا، منذ العصور السحيقة، ويتنازعون الهيمنة على بقاعها، إلى أن جاء الإسلام، فأزال التنازع ومنحهم الاستقرار.

ثم إننا لسنا في حل من عرض تلك النصوص، ولو من الوجهة العلمية البحتة بالرغم من أن هناك اصطلاحاً وعرفاً سائداً بين القبائل من

قديم، على معايير الاستقرار والترحال، والحوار، والولاء والائتماء وغيره.
ثم موالاتها بعضها لبعض لدرجة الاندماج تحت اسم واحد، وأخيراً
ولاؤها في العصر الحديث لحكومات مدنية ترعى شئونها ضمن المجتمع
الذي ترعاه الدولة.

وعلى ضوء هذه الاعتبارات وغيرها تم تحديد حدود دولية بموجب
معاهدة الطائف الموقعة عام ١٣٥٣هـ، لتحديد الحدود الجنوبية للمنطقة
موضوع الدراسة، أما الحدود الثلاث الأخرى فتتظمها ترتيبات إدارية
داخلية، لإمارة المنطقة، سنذكرها في موضعها.

٣- أشهر القبائل العربية في الإقليم في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام :

طبقات العرب :

يكاد النسابون والإخباريون والمؤرخون يتفقون على أن العرب ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

أ-العرب البائدة ب-العرب العاربة ج-العرب المستعربة

فالعرب البائدة: هي الشعوب العربية القديمة التي كانت تقطن جزيرة العرب ثم بادت، كطسم، وحديس، وعاد، وحمود، وإرم، وأميم، وقطورا، وجرهم الأولى^(١).

والعرب العاربة: هم الذين يعودون في نسبهم إلى قحطان، واستوطنوا اليمن، وأقاموا بها ممالك، كانت لها حضارات سامقة، ومن أبناء قحطان تفرعت القبائل القحطانية، ويطلق كثير من المؤرخين عليهم:

^(١) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٤.

ونشرة مجلة المجال، العدد ٢٥٧، أغسطس سنة ١٩٩٢، ص ١٠، مقالا عن اكتشافات أثرية لمدينة وبار عاصمة إرم، بالطرف الجنوبي الشرقي للربع الخالي.

اليمانية. نسبة إلى موطنهم الأصلي، حتى لو استوطنوا أقاصى الأرض،
كالأندلس وشمال إفريقيا.

وأما العرب المستعربة فهم الذين يعودون في نسبهم إلى عدنان من
ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، ويطلق عليهم العدنانيون، نسبة إلى
عدنان هذا، وقد أنجب: معدّ، وعك، وأنجب معدّ: نزار، وإياد، وقنص،
والضحاك. وقيل: عبيد الله، ثم ولد نزار بن معد: مضر، وربيعه، وإياد،
وقيل: وأنمار^(١) ومنهم تفرعت القبائل العدنانية.

وقيل غير ذلك في تسمية كل من العرب العاربة والمستعربة.

وروي عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما^(٢) أنه سأل رجل
عن ولد نزار بن معدّ، فقال: هم أربعة، مضر، وربيعه، وإياد، وأنمار،
وكان - أى نزار - يُكنى بابنه ربيعة، ومنازلهم مكة، وأرض العرب يومئذ
خاوية ليس بنجدها، وتهامتها، وحجازها، وعروضها كبير أحد، لإخراب
بُخْتَنَصْر^(٣) إياها وإجلاء أهلها، إلا من اعتصم برؤوس الجبال، ولاذ

(١) ابن حزم الأندلسي، على بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: د. عبد السلام هارون، ص ٩٠، ٨.

(٢) البكري، معجم ما استعجم ٥/١ عن طريق ابن السائب الكلبى، وعن طريق ابن شبة، كما ذكره الهمداني، صفة
جزيرة العرب ص ٥٦، عن طريق ابن السائب مختصراً.

(٣) كان بختنصر أحد الملوك الكلدانيين بشمال العراق، بدأ حكمه عام ٦٠٤ قبل الميلاد، وكان جباراً عاتياً، قام
بحملات على الجزيرة العربية، والشام، ومصر وغيرها وسبى اليهود، وأحرق بيت المقدس، وكان خلال الفترة
من ٥٦٢-٦٤٠ قبل الميلاد. انظر: أحسن التقاسيم للمقدسى.

بالمواضع الممتنعة، متنكباً مسالك جنوده، ومستن خيوله^(١) فاراً إليها منهم، وبلاد العرب يومئذ على خمسة أقسام: (الحجاز، وتهامة، واليمن، ونجد، والعروض)^(٢) فاقتسم ولد معدّ بن عدنان هذه الأرض على سبعة أقسام^(٣) فصار لعمر بن معدّ، وهو قضاة^(٤) لمساكنهم، ومراعى أنعامهم: جُدّة، من شاطئ البحر وما دونها، إلى منتهى ذات عرق، إلى حيّز الحرم، من السهل والجبل، وبها موضع لكلب، يُدعى: الجدير، جدير كلب، وهو معروف هنالك، وبجُدّة ولد جُدّة بن جرم بن ربّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاة، وبها سُمّي.

وصار لجُنادة بن معدّ: الغمُر، غمر ذى كِنْدَة، وما صاقبها، وبها كانت كِنْدَة دهرها الأطول، ومن هنا احتج القائلون في كِنْدَة بما قالوا^(٥) لِمنازلهم من غمر ذى كِنْدَة، فنزل أولاد جنادة هنالك، لمساكنهم ومراعى مواشيهم، من السهل والجبل^(٦) وصار لمضر بن نزار: حيّز الحرم إلى السروات، وما دونها من الغور، وما والاها، وصار لربيعة بن نزار: مهبط

(١) المتنكب: الجانب الطريق، واستنان الخيل: رياضتها، والمستن موضع الاستئنان.

(٢) قطع البكرى حديث ابن عباس عند ذكره خمسة أقسام، وحمل يأتى بروايات متعددة لتحديد وبيان كل قسم منها، ثم عاد لحديث ابن عباس رضى الله عنه مرة أخرى في ص ١٧ من نفس الجزء، لذا تصرفنا بوضع الخمسة أقسام هكذا بين قوسين. لمواصلة ما يقوله ابن عباس رضى الله عنه. وهو هنا جعل قضاة من أبناء معد بن عدنان.

(٣) يقول محقق كتاب معجم ما استعجم هنا: إنه لم يذكر من السبعة أقسام إلا ستة.

(٤) اختلف في نسب قضاة، هل من عدنان، أم من قحطان، أم من غيرهم، انظر الجُمهرة ص ٨.

(٥) أى من نسبهم إلى عدنان، كما صرح به ياقوت الحموى في معجم البلدان، نقلاً عن ابن الكلبي.

(٦) اختصرنا الحديث هنا.

الجبل من غمر ذى كندة، وبطن ذات عرق، وما صاقبها من بلاد نجد، إلى
الغور من تهامة، فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومراعى أنعامهم، من السهل
والجبل.

وصار لإياد وأثمار ابني نزار: ما بين حدَّ نجران^(١)، وما والاها وما
صاقبها من البلاد. فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومسارح أنعامهم.

وصار لقنص بن معدّ، وسنام بن معدّ، وسائر ولد معدّ: أرض مكة،
أوديتها وشعابها، وجبالها، وما صاقبها من البلاد، فأقاموا بها مع من كان
بالحرم حول البيت من بقايا جرهم.

فلم تزل أولاد معدّ في منازلهم هذه، كأنهم قبيلة واحدة، في
اجتماع كلمتهم، واتلاف أهوائهم، تضمهم الجماع، وتجمعهم المواسم،
وهم يذّ على من سواهم، حتى وقعت الحرب بينهم، ففرقت جماعتهم،
وتباينت مساكنهم.

قال مهلهل بن ربيعة يذكر اجتماع ولد معدّ في دارهم بتهامة^(٢)
وما وقع بينهم من الحرب:

(١) انظر عبارة "ما بين حد نجران" فما بين الحدود من نجران هو وسطها، ولذا قال بعد ذلك، وما والاها وما
صاقبها، أى ما يلي حدودها، وما يجاورها ويقابلها من البلاد ومعروف تاريخياً أن بنى إياد قد استوطنوا نجران،
كما سيأتى ذكره بعد.

(٢) الطبرى ٢/٢٨٦، والجمهرة لابن حزم ص ٣٠٥، ٤١٣. ويتهم الهمداني البعض بتلفيق هذا الشعر وهو تعنت منه،
وتهمة بغير دليل. صفة جزيرة العرب ص ٣٢٣.

غَنَيْتْ دَارُنَا بِنَهَامَةً فِي الدَّهْرِ رَوْفِيهَا بَنُو مَعَدٍّ حُلُولاً

فَتَسَاقَوْا كَأَسَاءُ أُمِرَّتْ عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ يَقْتُلُ الْعَزِيزُ الذَّلِيلَا

فأول حرب وقعت بينهم كانت بين أبناء قضاة، وأبناء عَنزة بن
أسد بن ربيعة بن نزار^(١) فاجتمعت نزار، وأعاتتهم كندة، واجتمعت
قضاة، وأعاتتهم عكّ والأشعرون واقتتل الفريقان، فقهرت قضاة،
وأجلوا عن منازلهم، وظعنوا مُنْجِدِينَ، فقال عامر بن الظَّرْبِ بن عياذ بن
بكر، العدواني من قيس عيلان بن مضر:

قضاة أجَلَيْنَا مِنَ الْغُورِ كُلِّهِ إِلَى فَلَجَاتِ الشَّامِ تُزْجِي الْمَوَاشِيَا
لَعَمْرِي لئن صارت شَطِيرًا دِيَارَهَا لَقَدْ تَأْصِرُ الْأَرْحَامُ مِنْ كَانَ نَائِيَا
وَمَا عَنْ تَقَالٍ كَانَ إِخْرَجْنَا لَهُمْ وَلَكِنْ عَقُوقًا مِنْهُمْ كَانَ بَادِيَا

فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة، بطن من قضاة، ومعهم فرقة
من بنى رُفَيْدَةَ من قضاة وفرقة من الأشعريين نحو البحرين، حتى وردوا
هجر فأقاموا فيها. ولحقت طائفة من بني حلوان من قضاة إلى أرض
الجزيرة بين دجلة والفرات. وسارة طائفة من سليح بن عمرو القضاعي إلى

^(١) هنا ننصرف بغرض عدم الإطالة، وقد أنكر الهمداني أن تكون ربيعة قد استوطنت بلاد عك (بنهامة اليمن حالياً)
وقال إن حمى كليب كان ضرية، وهي ببلاد نجد. انظر: صفة جزيرة العرب ص ٣٢٣، ويقال إنه وقومه انتقلوا
من بلاد عك بنهامة إلى ضرية نتيجة للحروب المتواصلة بين بكر وتغلب.

فلسطين، ثم عادت بعض البطون إلى تهامة ونجد والحجاز. من بلي،
وجهيئة، ونهد وسعد هذيم^(١).

وسارت طائفة من جرم ونهد القضاعية نحو نجران وتلث وما
والاها مما يلي السراة، وغلبوا على تلك البلاد شرقاً حتى جاؤوا مذحج
في منازلهم، وناكرتهم طوائف من مذحج، وطمعواهم في مذحج، حتى
قال عبدا لله بن دهم النهدي في ذلك:

لأُخْرِجَنَّ صُرَيْمًا^(٢) من مساكنها والمُرتين وهمام بن سيار
لم أَدْرِ ما يَمُنُّ وأرض ذى يمن حتى نزلت أدمماً أفسح الدار
وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

لقد كان الخواضر ماء قومي فأصبحت الخواضر ماء نهد
وقال هبيرة بن عمرو النهدي، وهو يذكر قبائل مذحج، وخثعم،
وتنمرهم لبني نهد، وتوعدهم إياهم:
وكندة تهذي بالوعيد ومذحج وشهران من أهل الحجاز وواهب

(١) معجم ما استعجم ١٧/١-٣٩.

(٢) صريم: رجل من بني زوى بن مالك بن نهد، وهمام منهم، والمُرتان: مثنى مرة، أى مرة بن مالك بن نهد وأخ
له غلب اسمه عليه.

انظر معجم ما استعجم ٤٠/١.

وكانت خثعم قد نزلت السراة قبل نهـد..ثم حـالفت نهـد وجرم بني الحارث بن كعب^(١) ولم تزل جرم ونهـد بتلك البلاد على ذلك الحلف، حتى أظهر الله الإسلام^(٢).

وأقام أولاد معد في أرض تهامة، في بلاد قضاة وديارها، بعد أن أزاحوهم عنها، ثم تيامنت عكّ بن الديث بن عدنان بن أد، ومن كان معهم ولحقوا بغور تهامة، وجاوروا الأشعرين بزيـد، وقيل إن عك هـذ من الأزـد من قحطان^(٣).

كما أقامت بطون من عنزة بن وائل بتهامة جنوباً، فيما حول مدينة الجند، وكانوا ذا عدد عظيم بتلك المنطقة عند ظهور الإسلام^(٤).

وقاد الأفكل، عمرو بن الجعيد بن عبد القيس من تهامة إلى البحرين فاتخذوها موطناً لهم بدلاً من تهامة حتى جاء الإسلام وهم كذلك^(٥).

(١) معجم ما استعجم ١/٤٠-٤٢.

(٢) نفس المصدر، الجزء ص ٤٣.

(٣) ابن خلدون ٢/٢٩٩. وما يؤيد الرأي الأول من أنهم من عدنان هي التقسيمات والرتب الإدارية التي حدثت

في صدر الإسلام مما سنأتي على ذكره في حينه.

(٤) الجمهرة، ص ٣٠٣.

(٥) الجمهرة، ص ٢٩٩.

وابان إنهيار سد مأرب خرجت من اليمن بجيلة وخثعم^(١) ونزلوا
جبال السروات، فصارت السراة لبجيلة إلى أعالي تربة (أتربة)^(٢) وهو واد
يأخذ من السراة ويُفرغ في نجران، فكانت دارهم جامعة-أي لبجيلة
وخثعم-وأيديهم واحدة، ثم تفرقت بجيلة بسبب حروب وقعت بينها،
وتفرقت فروعها في القبائل، فلم يزلوا كذلك حتى أظهر الله الإسلام
فسأل جرير بن عبد الله البجلي، صاحب رسول الله ﷺ بجمعهم في عهد
الخليفة عمر بن الخطاب لما أراد أن يبعثه لحرب الأعاجم^(٣). وسوف نعود
لذلك في موضعه.

ونزلت النخع-وهم من أبناء إياد بن نزار-ناحية بيشة، وما والاها
من البلاد، وأقاموا بها، فصاروا مع مذحج في ديارهم بعد أن فارقت
موطنها في تهامة، كذلك رحلت بقية إياد عن تهامة، ونزح كثير منهم إلى
أرض العراق، وكان لها أرض في تهامة يقال لها: خانق، نزلتها كنانة بن
خزيمة بن مدركة بعد رحيلهم عنها^(٤) وكانت طائفة من أبناء إياد قد نزلوا
نجران، وكان منهم خطيب العرب وحكيمها وحليمها في عصره، قُسم بن

^(١) المشهور أن بجيلة وخثعم يرجعان إلى زيد كهلان بن سبأ، إلا أن ابن حزم يقول في الجمهرة ص ٣٨٧، والبكري
في معجم ما استعجم ٥٨/١، وابن خلدون في تاريخه ٣١٠/٢ : إنهما من أبناء أئمار بن نزار بن معد بن
عدنان، وانتسبا في اليمن، استناداً إلى قول ابن عباس في شأنهما، وكذلك الأشعرون وعدنانيون، استناداً إلى قول
الرسول ﷺ لهم: (أنتم مهاجرة اليمن من ولد اسماعيل) معجم ما استعجم ٥٤/١.

^(٢) هكذا في معجم ما استعجم ٥٩/١.

^(٣) البكري، المصدر السابق ٦٣/١، والجمهرة ص ٣٨٧.

^(٤) البكري، المصدر السابق ٦٧/١.

ساعده الإيادي، أسقف بجران في زمنه، كان يفد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو من المعمرين، رآه الرسول ﷺ في سوق عكاظ قبل البعثة، وحين قدم إليه وفد إياد بعد البعثة، سأل الوفد عنه، قائلاً: ما فعل قُسن بن ساعدة؟ قالوا: هلك يا رسول الله، فقال: كأي أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس، على جمل أورك (أى أحمر)، ويقول: أيها الناس؛ اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليلٌ داجٌ، ونهارٌ ساجٌ، وسماءٌ ذات أبراجٍ ونجوم تزهّر، وبحارٌ تزخر، وجبالٌ مرساة، وأرضٌ مدحاة، وأنهارٌ مجراه، إن في السماء خيراً، وإن في الأرض لعبيراً، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ يُقسِم قُسن بالله قسماً لا إثم فيه: إن الله ديناً هو أَرْضى له، وأفضل من دينكم الذي أُنتم عليه ... الخ ثم قال النبي ﷺ: يُعَرِّضُ هذا الكلام يوم القيامة على قُسن بن ساعدة، فإن كان قاله الله، فهو من أهل الجنة، وقال عنه: يُنْعَثُ يوم القيامة أمةً واحدة^(١). ولو لم يكن لقسن بن ساعدة من فضل إلا رواية الرسول ﷺ، وما سمعه منه في سوق عكاظ، لكفاه شرفاً.

وعلى كل فإنه لم يبق بتهامة وغورها بعد رحيل إياد عنها إلا بطون من ربيعة ومضر، وإلا قُسن بن منبه جد ثقيف بالطائف، وهو من هوازن من مضر .. ثم لما تكاثروا، وتضايقوا في منازلهم، انتشرت ربيعة فيما

(١) انظر أبا هلال العسكري، الأوائل ١/١٠٧، ١٠٨. والأصفهاني، أبي الفرج، الأغاني ٢٤٦/١٥، وابن عبد ربه، العقد الفريد ١٢٨/٤. والقزويني آثار البلاد ص ٨٥.

يليهـم من بلاد نجد، وتهامة. فكانت منها بطون بقرن المنازل، وحضن، وعكابة، وركبة، وحنين، وأوطاس، وذات عرق، والعقيق، وما والاها من نجد، ومعهم كندة. يغزون معهم المغازي، ويصيبون الغنائم، ويتناولون أطراف الشام، وناحية اليمن^(١) ثم وقعت حرب بين بنى ربيعة فتفرقت وسط الجزيرة، فذهبت عبد القيس إلى البحرين، وغيرها. وانتقلت أكلب بن ربيعة بن نزار ناحية تثليث، وما والاها، وجاورت خثعم وحالفوهم، وقال رجل من خثعم ثم من شهران، ينفى أن تكون أكلب منهم^(٢) :

ما أَكْلَبُ منا ولا نحن منهم	وما خثعم يوم الفَخَّارِ وأكلب
قبيلة سَوءٍ من ربيعة أصلها	وليس لها عمٌ لدينا ولا أب
فأجابه الأكلبي:	

إني من القوم الذين نسبتي	اليهم كريم الجد والعم والأب
فلو كنتَ ذا علم بهم مانفيتني	اليهم ترى أني بذلك أَتَلَبُ
فإلا يكن عَمای حَلْفاً وناهسا	فإني أَمُرُّ عَمای بكر وتغلبُ
أبونا الذي لم تُركب الخيل قبله	ولم يدر أَمُرُّ قبله كيف يركب

(١) البكري معجم ما استعجم ١/٧٩، ٨٠.

(٢) البكري، المصدر السابق ١/٨٢، ٨٣.

ثم تيامنت أيضاً عنز، وصارت حلفاء لخنعم في أرض السراة^(١) ثم رحلت أيضاً بنو حنيفة إلى اليمامة، وانتقلت بقية ربيعة إلى ظواهر نجد، والحجاز، وأطراف تهامة^(٢). وإلى أرض العراق.

وأقامت قبائل مدركة بن إلياس بن مضر، بتهامة وما والاها من البلاد وصاقبها، فصارت مدركة بناحية عَرَفَات، وعُرنَة، وبطن نعمان، ورُجَيْل، وككب والبوابة، وجيرانهم فيها طوائف من أعجاز هوازن^(٣).

وكانت لهذيل جبال من جبال السراة، ولهم صدور أوديتها، وشعابها الغربية، ومسائل تلك الشعاب والأودية على قبائل خزيمة بن مدركة في منازلها، وكان جيران هذيل في جبالهم فهم وعَدْنَان إبننا عمرو ابن قيس عيلان بن مضر.

ونزلت خُزَيْمة بن مدركة أسفل من هُذَيْل بن مدركة، واستطالوا في تلك التهائم إلى أسياف البحر، فسالت عليهم الأودية التي هذيل في صدرها وأعاليتها، وشعاب جبال السراة التي هذيل سُكَّانُهَا، فصاروا فيما بين البحر وجبال السراة الغربية^(٤).

(١) انظر فيما سبق، البكري، المصدر السابق ٨٣/١، والمحدثي، ص ٢٥٦.

(٢) البكري، المصدر السابق ٨٣/١.

(٣) البكري، المصدر السابق ٨٨/١.

(٤) البكري، المصدر السابق ٨٨/١.

وأقام أولاد فهر - وهم قريش، ولا يكون قُرَيْشِيَّ إلا منهم -^(١) حول مكة، حتى أنزلهم قُضَيَّ بن كلاب الحرم، وقُصَي هو الذى انتزع ولاية البيت الحرام من خزاعة، وصارت له حجابة الكعبة، والرفادة، والسقاية، وبنى دار الندوة^(٢).

ومن أولاد لوي بن غالب بن فهر. بنو سامة بن لوي هاجروا إلى عُمان، وأبناء جشم بن لوي، هاجروا إلى اليمامة، ودخلوا في بنى هزان من عنزة^(٣).

ثم يقول البكرى، بعد إيراد ما تقدم^(٤) : فهذا ما كان من حديث افتراق معدّ، ومنازلهم التى نزلوها، ومحالهم التى حلّوها في الجاهلية، حتى ظهر الإسلام^(٥).

ومما يلاحظ أن جلّ اهتمام البكرى تركّز على ذكر مواطن أبناء معدّ بن عدنان، في تهامة، والسرّة وغيرهما، ولم يذكر أبناء قحطان الذين

^(١) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى) ٢/٢٦٤، وفيه أقوال أخرى، وتاريخ ابن خلدون ٢/٣٣٥، وأيضاً ابن حزم، الجمهرة ص ١٢، وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزاعة بن ملركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

^(٢) الأزرقي، أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ١٠٣-١٠٩، وابن خلدون ٢/٣٣٥.

^(٣) الجمهرة، ص ١٣، والمقلمة لابن خلدون، ص ٣٤٠.

^(٤) أوردنا بعضه على سبيل الإيجاز والتصرف، فيما عدا المنطقة موضوع الدراسة.

^(٥) معجم ما استعجم ١/٨٩.

كان نزع منهم عديد من القبائل إلى الشمال في فترات متفاوتة، قبل وخلال انهيار سد مأرب^(١) وأيضاً أثناء هيمنة الأحباش والفرس، وأنفة بعض القبائل من الخضوع لهم، مما دفعهم إلى الهجرة من موطنهم الأصلي، فانتقلت طوائف إلى وسط شبه الجزيرة، وإلى الشمال في أرض العراق، والشام، وفلسطين حتى مصر.

وكان من أشهر تلك الهجرات خروج أبناء عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء، هو ومالك بن اليمان من مأرب، قبيل انهيار سد مأرب، وتفرق الأزدي في كثير من البقاع وغالبوا أهلها واستوطنوها، وكان منهم من نزل السراة.

والواقع أن البكري لم يهملهم تماماً، وإنما ذكرهم فيمن جاورهم، أو من جاوروه من أبناء عدنان. ربما لأن منهجه هو تتبع أبناء عدنان، وتفرعاتهم، ومواطن حلهم وترحالهم ولم يكن ذكره لغيرهم إلا عرضاً.

^(١) انظر القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤١، ويقول القزويني أن واقعة انهيار السد كانت بين مبعث عيسى ومحمد عليهما السلام، وقد ورد في كتاب "اليمن الخضراء" ص ٣٠١، أن السد تهدم فيما بين سنة ٥٥٢ وسنة ٥٧٠ بناء على اكتشافات تم العثور عليها، وأنه تهدم خلال حكم الأحباش لليمن .. لكن الشواهد التاريخية لا تؤكد ذلك، لأن هجرة أبناء عمرو مزقياء، وتوطنهم في الأماكن التي هاجروا فيها، كقبائل الأوس والخزرج، وطى، وغسان في الشام وغيرهم يدل على توطنهم تلك الأماكن قبل البعثة بعدة قرون، وليس بأقل من قرن كما يقولون.

لكنه تميز بأن أعطانا صورة دقيقة عن مواطن تلك القبائل، فيما قبل الإسلام، بينما غيره يصف البقاع، والقبائل التى تستوطنها في صدر الإسلام، وربما في العصر الذى يكتب فيه ما يكتب ..

والمقام هنا - حسب خطة البحث - هو تلمس موطن القبائل في المنطقة موضوع الدراسة في العصر الجاهلى حتى ظهور الإسلام، ومعروف أن هجرات القبائل من مكان إلى آخر كانت متتابعة، وتخضع لاعتبارات متعددة، وقد وافانا البكرى بقسط وافر من حركة القبائل وأماكن توطنها في المنطقة قبل الإسلام، وهذا هو الذى دفعنا إلى الاطالة معه، ونقل ما قاله في صورة موجزة، وإن كانت في نظر البعض إطالة، فنلتمس العذر، لأن الهدف هو بيان الحقيقة من أن المنطقة كانت موطناً للعدنانين، ومن ثم الرد على من يزعم أن المنطقة كانت موطناً من قديم الأزمان للعرب القحطانيين.

أما الهمداني - مثلاً - في كتابه صفة جزيرة العرب فقد أفاض وأجاد في وصفه الأماكن والبقاع وأتى على العديد من أسماء القبائل، وسكان المناطق إلا أنه خلط العصر الجاهلى بالعصر الإسلامى في مواطن القبائل^(١)، ومعروف تاريخياً انه حدثت بعض التخلخلات في مواطن القبائل إبان الفتوحات الإسلامية، ونزح البعض منهم إلى البلدان المفتوحة،

(١) فمثلاً يقول في ص ٢٦٠: وساكو الطائف ثقيف، ويسكن شرقى الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص .. ولا شك أن سكنى ذرية عمرو بن العاص في هذا الموضع جاء متأخراً، أى في صدر الإسلام، وليس قبل الإسلام.

واستوطنوها، وحلّ غيرهم في المواطن التي نزحوا عنها .. بل إن موضوع
هجرة القبائل من مكان إلى آخر استمر حتى العصر الحديث، حين قامت
الدول ورُسمت الحدود بينها.

وعموماً فإنه من بين الهجرات المشهورة في تاريخ القبائل العربية هي
هجرة الأزد مع عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ
القيس من زيد كهلان بن سبأ^(١) وذلك بسبب انهيار سدّ مأرب.

يقول الهمداني^(٢) ولما خرج عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء، هو
ومالك بن اليمان من مأرب في جماعة الأزد^(٣) فخرجوا إلى مخلاف خولان
وأرض عنس وحقل صنعاء، ثم إنهم انتقلوا إلى بلاد الأشعرين وعكّ،
على ماء يقال له: غسان، بين وادي زبيد ورمع، وأقاموا على ذلك حتى
وقع الخلاف بينهم وبين عكّ، فساروا نحو الحجاز فرقاً، كل فخذ منهم
إلى بلد، فمنهم من نزل السروات، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها،
ومنهم من خرج إلى العراق والشام، وعُمان، واليمامة، والبحرين. فأما من
سكن مكة ونواحيها: فخزاعة، وأما من سكن المدينة: فالأوس والخزرج،
وأما من سكن السروات: فالحجر بن الحنوف، ولهب، وغامد، ومن دوس،
وشكر، وبارق السوداء، وعليّ بن عثمان، والنمر، وحوالة، وثمالة،

(١) جمهرة انساب العرب لابن حزم، ص ٣٣١، والبدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي ١٩٥/٣.

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٣٧٠-٣٧٤، بتصريف، وانظر أيضاً: صبح الأعشى للقلقشندي ٣٢٧/١-٣٢٩.

(٣) بنو الأزد بن الغوث بن نبت هم: مازن، ونصر، وعمرو، وعبد الله، والهنو، وقيدار، والأهوب.

انظر الجمهرة ص ٣٣٠.

والبقوم، وشمران، وعمرو. كما ذكر أيضاً^(١) من قبائل السراة: فهم،
وبجيلة^(٢) والأزد بن سلامان بن مفرج، وألمع، وبارق، وغامد، ورفيدة،
وبنو ربيعة بن الحجر، وبنو مالك بن شهر، وآل عبيدة من الأزد، ومن
قبائل مذحج: جلد، ومُراد (يحابر) وعنس، وسعد العشيرة، ولبس،
وشمران، والنخع، وزبيد، وبنو منبه. وبنو هلال بن عامر، والرها، وحكم،
وجعفى، وصداء، والجحادرة، وأرد، وغيرهم كثيرون من البطون
والأنجاد التى تفرعت من القبائل.

وكان ممن ذهب إلى نجران: وادعة، وبنو الحارث بن كعب من
مذحج، كما انتقلت بعض بطون كندة إلى تهامة، وانتقلت إلى السراة
أيضاً بطون من ولد عمرو بن الغوث، كخثعم. وغيره، وسوف نعود إليهم
في موضع آخر من هذا البحث.

وإن من يمعن النظر في النص الذى أورده الهمداني لتفريق قبائل الأزد
من موطنهم الأصلي باليمن، وهو مأرب، يلحظ أنه اعترف صراحة، وربما

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠، والمقتطف من تاريخ اليمن، للحرافى، عبد الله بن عبد الكريم، ص ٧٣-٧٤.

(٢) قيل إن خثعم وبجيلة هما إبنائا أئمار بن نزار، فخر أئمار بن سبأ نسبهم إليه، قال جرير بن عبد الله البجلي منافراً

لفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس:

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقال أيضاً:

ابنى نزار أبصرا أخاكما إن أبى وجدته أباكما

لن يغلب اليوم أخ ولا كما ..

انظر: كتاب البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسى ١١٨، ١١٧/٤.

دون أن يدري بأنهم انتقلوا في هجرتهم إلى مواطن أخرى، وهذه المواطن ليست من أرض اليمن وإنما من أرض الحجاز فهو يصف خروجهم من مأرب، ومروهم ببعض البلاد والمناطق بأرض اليمن حتى أتهموا إلى أرض عك وأقاموا بها مجاورين لهم بتهامة اليمن إلى أن وقع الخلاف بينهم وبين عك فأتجهوا إلى أرض الحجاز. وهى المجاورة لأرض عك - على رأيه - ثم يتابع وصفه لرحيلهم قائلاً: "فساروا إلى الحجاز فرقاً، فصار كل فنخذ منهم إلى بلد - أى من بلدان الحجاز أو غيرها، وليس من أرض اليمن - فمنهم من نزل السروات - فهذا اعتراف بأن السراة التى استوطنوها هى من بلاد الحجاز، وهو ما يوافق التقسيم الإقليمي لشبه الجزيرة، ويتطابق الواقع التاريخي في كل أدواره، وأطواره^(١) .

وينبغى الإشارة هنا إلى أن معظم الهجرات كانت إلى جهة الشمال، والشمال الشرقي من جزيرة العرب، ولما كانت إلى الجنوب حيث لاسعة، بالإضافة إلى التنازع والتشاحن، وغير ذلك من دواعى الهجرة، وأن الانتقال لمواطن جديدة لم يترتب عليه ضم تلك المواطن للموطن القديم، شأن الهجرات إلى مواطن جديدة فى كافة بقاع الأرض، ومنها هجرة الأوربيين إلى قارة أمريكا وغيرها.

(١) انظر صفة جزيرة العرب، بتصرف، ص ٣٧٠-٣٧٤، ومختصر أنباء اليمن ونبلاته، المطبوع مع مجموعة كتاب الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، لابن زبارة ص ٢٢، ٢٣.

لكن كما يقول حسين بن على الريسى^(١) وما من شك أن القبائل
القحطانية والعدنانية أصبحت اليوم أسرة واحدة، اختلطت مساكنها
ودماؤها، ففي كل قبيل وقريّة خليط من القبيلين، علاوة على علاقة
المصاهرة التي بدأت في زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، قبل أربعة
آلاف سنة، وتدرجت إلى يومنا هذا .. ولقد جاء الإسلام فوحد الأمة،
وجمع الكلمة ولم يفرق بين أبيض وأسود، وجمعهم تحت راية التوحيد ..
وجعل من موطن الإسلام الأول وطناً لجميع الأجناس .. وألغى عصبية
الأحساب والأنساب .. وآخى بين المهاجرين من قريش ومن معهم من
سائر القبائل، وبين الأوس والخزرج، وضم إلى بيته سلمان الفارسي لإيمانه
بأن الله ورسوله وأبعد أباهب، عمه صنو أبيه، لعناده وبعده عن حظيرة
الإسلام.

فليت الذين يشيرون - بين الحين والآخر - النعرة القبلية الجاهلية
يدركون ذلك! فالشعوب العربية، والأمة الإسلامية بحاجة لتوحيد الجهود
المشتتة، لخدمة الإسلام، والأمة الإسلامية حتى تكون حقاً خير أمة
أخرجت للناس.

(١) اليمن الكبرى ص ١٥٧، وما بعدها بتصرف.

الباب الثاني

الوضع العام لشبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي حتى ظهور

الإسلام

قد يستتكمف البعض من إطلاق كلمة "جاهلية" وصفاً للعرب فيما قبل الإسلام من منطلق أن البعض منهم كان له حضارة، وفي تعميم هذا الوصف على الجميع فيه غمط هؤلأء.

ويجاب بأن المراد من الجهالة هنا: الضلالة والتمادى في الغى، وعدم التحلى بالأخلاق القويمة، بالإضافة إلى عدم معرفة الواجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى، ومن هذا القبيل قول الله سبحانه، في شأن موسى عليه السلام وقومه: ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾^(٢) وما روى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: "إنى سائيت رجلاً، فعيرته بأمه

(١) سورة الأعراف، آية ١٣٨ .

(٢) سورة الفرقان، آية ٦٣ .

- وفى رواية - قلت له: يا ابن السوداء، فقال لى النبي ﷺ: يا أباذر؛ أعيرته بأمه! إنك امرؤ فيك جاهلية ...^(١)

فليس المقصود هنا من اطلاق وصف جاهلية هو نفى العلم فيما من شأنه أن يستساغ تعلمه، لأن المقابل للجهل هنا هو العلم والتعلم، ومعرفة الإله الواحد الأحد سبحانه وتعالى، كما أن المقابل للأمية هى القراءة والكتابة، فليس في هذا منقصة. فقد يقبل عليها قوم، ويعزف عنها آخرون شأن كل الأمم والشعوب، في التعليم وعدمه، وقد كان النبي ﷺ، أمياً، أى لا يكتب، ومع ذلك كان أعلم العلماء وعجز الفصحاء عن مجاراته.

ثم إنه ليس بالضرورة أن كل من لا يعلم شيئاً يُعد جاهلاً على الإطلاق، فلا يعمم الحكم، وإنما يوصف به التارك طلب حد الشئ وحقه المعتقد له على غير ما هو به، ولولا ذلك لما استحق اللائمة والمذمة على جهله^(٢).

والعرب قبل الإسلام كانت الغالبية منهم تتمادى في الضلالة والغى، فاستحقوا أن يطلق عليهم هذا اللفظ، وليس لأحد أن يستكف هذا لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى وصفهم بذلك، وإلا فهى حمية الجاهلية! ..

^(١) رواه البخارى. وكذا ما ورد في شأن الكعبة فيما روته عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ: "لولا الناس حديق عهد بالجاهلية لممتها وجعلت لها باباً - أى باباً من خلفها أيضاً - وجعلتها على أساس ابراهيم .. انظر

السيرة الحلية ٢٧٥/١.

^(٢) البدء والتاريخ، ج ١، ص ٢٠.

ونعود لتلمس الوضع في شبه الجزيرة في العصر الجاهلي. حيث نلاحظ أنه أقيمت بها ممالك في جنوبها وشمالها، ففي الجنوب بأرض اليمن قامت أول دولة عربية، وهى الدولة المعينية^(١)، التى كانت بالجوف، فيما بين نجران وحضرموت، وعاصمتها "قرنا" ثم انتقلت إلى "معين" وقامت عام ١٤٠٠ ق.م، وأواخر عهدهم نافسهم السبئيون السيادة حتى قضوا عليهم عام ٨٥٠ ق.م.

وكانت مملكة حضرموت هى الأخرى قد نشأت عام ١٠٢٠ ق.م، وعاصمتها "شبو" ودخلت أيضاً في حروب مع الدولة المعينية، ثم انتهت عام ٦٥ ميلادية.

ثم قامت مملكة سبأ على انقاض مملكة معين عام ٨٥٠ ق.م. وانتهت عام ١١٥ ق.م بقيام مملكة سبأ وريدان الحميرية، وكانت عاصمتها "صرواح" ثم "مأرب" ويطلق عليها البعض: الحميرية الأولى، عام ١١٥ ق.م، واستمرت حتى عام ٣٠٠ ميلادى، ثم أعقبتها الدولة الحميرية الثانية عام ٣٠٠ م حتى عام ٥٢٥ م حين دخل الأحباش اليمن^(٢).

(١) ينسب المعينيون إلى العمالة، وليسوا إلى القحطانيين، كما يقول الدكتور حسن إبراهيم، انظر اليمن البلاد السعيدة، ص ١٥.

(٢) د. أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ ص ٥٨، ٥٩، ط ٤، ١٤٠٦/١٩٨٦، وأيضاً: د. السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ١٠١-١٢٤.

وتفيد روايات الاخباريين أن بعض حكام هذه الدول كانت لهم
سطوة وهيمنة، وأنهم غزو بعض الممالك المعاصرة لهم كالحبشة، وفارس،
ومصر، كما أنهم هيمنوا على طرق المواصلات البحرية في المحيط الهندي،
والبحر الأحمر، وكان لهم أسطول تجارى حمل بضائع الصين والهند إلى
آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، فكانوا بذلك همزة الوصل بين تجارة الشرق
والغرب^(١). ولن نتحدث عما بلغته تلك الممالك من حضارة ورقى،
فذاك خارج عن منهجنا لهذا البحث.

لكن يبدو أن مظهر السيادة لتلك الممالك لم يخرج عن أرض اليمن،
وظل وسط شبه الجزيرة العربية بمنأى عن تلك السيادة، وبعيداً عن تلك
الصراعات، التي كانت تقوم فيما بينها، وبين غيرها من الدول المجاورة.

يقول ابن حزم: إن ملوك حمير والتابعة لم يملكوا غير اليمن^(٢).

ويقول ابن واضح^(٣): إن ملوك اليمن لم يكونوا يتجاوزون اليمن
إلا أن يغيروا على البلاد، ثم يرجعون إلى دار ملكهم.

وقال القلقشندي: أخبار التبايع غير مضبوطة، وأمورهم غير محققة،
وعدّ ابن خلدون أخبار غزوات التبايع من الأخبار الواهية التي نقلها

(١) د. أحمد حسين شرف الدين، المصدر السابق ص ١٣٥، ود. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق ص ١٠٨.

(٢) الجمهرة، ص ٤٨٧.

(٣) نقله عنه الشيخ محمد الأكويع الحوالى، انظر اليمن الخضراء، ص ٣٤٥، وانظر أيضاً يعقوبى أحمد بن أبى

يعقوب، المعروف بابن واضح، تاريخ يعقوبى ٢٤٥/١.

المؤرخون دون تمحيص^(١) على أن الطبرى قد ذكر أن الملك من ملوك اليمن كان لا يتجاوز مخالفه، وإن تجاوزه فبمسافة يسيرة^(٢) وذلك فيما عدا البعض منهم كتبع بن حسان الذى أغار على فارس وقتل قباذ ملكها^(٣) وكانت له غزوات أخرى ومن المؤكد أن القلقشندى لو أحس بأن قول الطبرى أو غيره فيه مخالفة للواقع لما توانى في نقده وبيان الصواب فيه، وفق المنهج الذى كان متبعاً لدى المؤرخين الأوائل، والذى كان يقوم على إيراد الروايات والأخبار بأسانيدھا ثم نقدها، وبيان الصواب فيها.

و تأكيداً لذلك نلاحظ أنه أقيمت عدة دول في وقت واحد، أو بالأحرى تعاصرت دولتان أو أكثر، وتقاسمت أرض اليمن ولم تتمكن دولة منهم من إخضاع أرض اليمن بكاملها لسيطرتها، وبسط السيادة عليها، فيما عدا دولة سبأ (١١٥ ق.م - ٣٠٠ م) في مرحلتها الثانية، فهى التى تمكنت من إخضاع جزء كبير من أرض اليمن لسيادتها^(٤).

(١) المقلمة، ص ٩.

(٢) صبح الأعشى ٢٤/٥، وابن خلدون، العبر ٥٨/٢، وانظر اليمن الكبرى، للويسى، ص ٢٠٥، قال نقلاً عن الطبرى الناقل عن ابن خلدون كان ملوك اليمن يغيرون على النواحي المجاورة أو البعيدة بغرض استئصال أهلها، فإذا أقبلهم الطلب لم يكن لهم ثبات، وإذا خرج أحدهم من مخالفه وشعر بخوف عاد إلى مخالفه، من غير أن يزداد له في مخالفه، أو يؤدي إليه خراج، شأن المتلصصة.

(٣) الطبرى ٩٦/٢.

(٤) م.ب. بيروتوفسكى، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبى، ص ٥٥.

والعجيب أن حالة تعدد الدول ووقوع الصراع فيما بينها تكررت مرة أخرى عند ضعف الدولة العباسية، ولم تستطع أى منهم أن توحد اليمن سياسياً، وسوف نأتى على ذكرها في حينه.

كما نلاحظ أن قبائل وسط شبه الجزيرة كانت تقوم أحياناً بغارات على تلك الممالك، كقبيلة عامر بن صعصعة من هوازن^(١) لكن مايلث الملك أن يقوم بعملية غزو لردع المغير وتأديبه، وكثيراً ما كانت تلك القبائل - ومن يحالفها - تشتبك مع هؤلاء في مواقع وحروب سجلوها شعراً، كيوم "خزاري"^(٢) الذى قاد فيه كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلى - رئيس الحيين بكسر وتغلب - ضد أحد ملوك حمير حوالى عام ٥٠٠م، وفيه قال عمرو بن كلثوم^(٣).

ونحن غداة أوقد في خزاري هديت كتاباً مُتَحَرِّرات

ويقول بعض من شهدها من خولان^(٤) :

كانت لنا بخراز وقعة عجب لما التقينا وحادى الموت يحديها

(١) م.ب. بيوتروفسكى، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) خراز اسم جبل في بلاد ربيعة قوم كليب بن وائل.

(٣) الميدانى، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى، مجمع الأمثال ٤٣٠/٢، وشرح العيون في شرح رسالة ابن

زيدون، لابن نباته المصرى، ص ٩٢.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٢٢. ويقال فيها: خزاري.

وكان من أقدم تلك الأيام يوم البيداء^(١) فكانت تحركات هؤلاء الملوك نحو وسط شبه الجزيرة للغزو والتأديب ولم تكن بغرض فرض السيادة، لأن القبائل تأنف من الخضوع لغير رؤسائها، فصرف هؤلاء النظر عن ذلك واكتفوا بمجرد القيام بجملات للتأديب لا للتوسع أو فرض السيادة بضم مناطق أو أجزاء أخرى لأرضهم وممالكهم ..

ولذا نلاحظ أنهم كانوا يعودون دون أن يتركوا أى أثر لمظاهر تلك السيادة، ولعل من هذا القبيل ما فعله تبع (الأكبر) أسعد أبو كرب - وقيل بل تبع الأصغر - حينما ذهب إلى يثرب (المدينة المنورة) وقتل بعض اليهود ممن تسلطوا على بنى عمومته الأوس والخزرج، وأراد إخراج المدينة، فقبل له: إنها مهاجر نبي يأتى بعدك، فصرف النظر عن ذلك، ودان به، وقال:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارى النسم

فلو مُد في عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

ثم أخذ معه حَبرين من أحبار اليهود وانصرف إلى اليمن، ومر بالكعبة فكساها بالثرد^(٢) ومن هذا القبيل أيضاً ما فعله ذو نواس بمسيحي أهل نجران، عندما خَدَّ لهم الأخلدود، وخيّرهم بين ترك المسيحية وأتباع

(١) الميداني، المصدر السابق، ص ٤٣٣، وبلوغ الأرب، ص ١٥٠، ويقول إنها أول وقعة بين تهامة واليمن.

(٢) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ ١٧٩/٣-١٨٠، والألوسي، محمود شكرى، بلوغ الأرب، ص ١٧٠، وانظر اليمن الكبرى للويسى، ص ٢١٣، ٢٠٥.

اليهودية أو الحرق في الأخدود .. فهناك رواية أوردها الطبرى^(١) . مفادها أن رجلاً يهودياً من أهل نجران، يقال له: دوس، ذهب إلى ذى نواس — الذى كان قد تهوّد — مستنجداً إياه على نصارى نجران لأنهم قتلوا ابنين له ظلماً.

يقول الطبرى: فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير، وقبائل اليمن، وخذّ لهم الأخدود^(٢) فهذه الرواية، ربما تكون مقبولة عقلاً ومنطقاً.

فاستنجد الضعيف بالقوى عادة مألوفة لدى العرب، وأيضاً لدى غيرهم من الشعوب، مثلما استنجد مالك بن عجلان الخزرجى بتبع بن حسان على يهود يثرب قبل^(٣) ومثل خروج ذو ثعلبان أو ابن الثامر عند الأخدود يستنجد بملك الحبشة، ومثل استنجد سيف بن ذى يزن بن النعمان بن عفير بكسرى أنو شروان على الحبشة^(٤) فسبب خروج ذو نواس هو التلبية لمن استنجد به، وعندما عرف أنهم يدينون بالمسيحية أخذته الحمية لليهودية التى كان قد اعتنقها، فأراد النكاية بهم لقتلهم أبناء اليهودى الذى استصرخه، فخيرهم بين ترك ديانتهم واتباع ديانة من استصرخه، وديانته هو أيضاً، وفي هذا تنكيل بهم، ولم يكن أهل نجران كلهم متبعين الديانة المسيحية، فقد كان وادى نجران يضم العديد من

(١) الطبرى، ١٢٣/٢.

(٢) الطبرى، ١٢٣/٢، وانظر أيضاً الأوائل لأبى هلال العسكري ٥٧/١.

(٣) المقدسى، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، ١٧٩/٣.

(٤) المقدسى، المصدر السابق، ١٨٨/٣، د. أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٥٧.

القرى على جانبيه، بالإضافة إلى القرى الأخرى الواقعة في حَيِّز نجران، وإنما كان أهل قرية أو قريتين في غالب الظن، هم الذين اتبعوا المسيحية، منهما قرية الحصن، أو "نجران" قاعدة المنطقة، والتي سميت باسم أحد أشهر أوديتها. وخذ الأخدود بجوارها^(١) وأطلق فيما بعد على هذا الموضع: قرية الأخدود، ثم هُجرت وتحولت إلى آثار^(٢) أما بقية سكان قرى نجران الأخرى، فكانوا يعبدون الأصنام، شأنهم شأن معظم العرب في ذلك الوقت، فقد جاء الإسلام وبالقرب من نجران صنم "يغوث" الذي كان لمذبح وأخذه بنو غطفان من مراد، واستقر عند بني الضباب من بني الحارث^(٣) وكان ذا الخلصة لخنعم ودوس وقبائل ييشة والسرورات، وبجيلة، وبعث النبي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فكسره^(٤) بل كان المنطوق لعكّ والأشعرين^(٥) بتهامة، ولو كان الدافع لخروج ذى نواس هو إرغام الناس على اعتناق اليهودية لكان عبّاد الأصنام أولى بإقدامه إليهم، لاسيما وأن اليهودية والمسيحية منذ بداية القرن الثاني الميلادي، إلفان متآلفان إلى حد ما. وهدأت الصراعات بين الطائفتين اليهودية والمسيحية قبل حادث

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢٦٦/٥-٢٦٩، والطبري ١٢١/٢-١٢٣، ويقول (ص ١٢١): كان الأخدود في قرية من قرى نجران، قريب منها، ونجران هي القرية العظمى التي إليها جُماع أهل البلاد.

(٢) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٧١، ويقول الحمداني (ص ٣١٨): إن موضع الأخدود كان به قرية تسمى هجر اندثرت.

(٣) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٤٩٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٩٤.

الأخلدود. وُجِّع التوراة والانجيل في كتاب واحد، تحت مسمى الكتاب المقدس، العهد العتيق والعهد الجديد.

فكيف يقدم ذو نواس على التتكيل بأهل كتاب، ويترك عبّاد الأصنام من رعيته بتهامة اليمن، من مراد وزبيد وغيرهم، وكان موطنهم مقابل صنعاء غرباً، وبالقرب منها ١٩٠٠، وقد وصف الله أهل الأخلدود بأنهم كانوا مؤمنين - أى عل الديانة المسيحية قبل أن يلحقها التغير والتبديل - في قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخلدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود﴾^(١) ولذا نجد أن ياقوت الحموى - بعد أن استعرض الروايات التى قيلت بشأن هذه الحادثة - يستبعد أن يكون الذى فعل هذا بأهل الأخلدود، معتقاً اليهودية، ويرجح أن يكون كافراً^(٢) كما يرجح البعض أن حادثة الأخلدود خلفها دوافع سياسية، وأن التنافس الاقتصادى بين دولة الحبشة، ودولة حمير، ومحاولة مسيحيّ أهل نجران الاتصال بالحبشة، ومساعدتها لهم، كل ذلك أوغر صدر ملك حمير، فغزاهم ونكل بهم، فانتزعتهم الحبشة ودخلت اليمن، وقضت على دولة حمير.^(٣)

(١) سورة البروج، آية ٤-٧.

(٢) معجم البلدان، ٢٦٧/٥.

(٣) الأكواع، اليمن الخضراء، ص ٤١٠.

وعموماً فإن سير الوقائع، وبالأخص حادثة الأخدود ليس فيها ما يدل على ممارسة أعمال السيادة ولا فرض الهيمنة والطاعة على طائفة من الناس، وإنما هو غزو بدافع سياسى أو للتنكيل لأى سبب كان. مثلما كان يحدث لبعض القبائل وسط شبه الجزيرة، أو حتى للدولة المجاورة أحياناً، فالغزو ليس له معيار محدد، لانعدام العهود والمواثيق بين الدول في ذاك الوقت .. ولذا نلاحظ أنه انسحب بعد الحادثة عائداً إلى موطنه، وعاد الفارون من وجهه إلى موطنهم، وأعادوا بناء كنيستهم، ومارسوا ديانتهم التى جاء الإسلام وهم مقيمون عليها. كما نلاحظ أن الأحباش الذين اتخذوا الحادثة مبرراً لغزوهم لليمن لم تكن لهم سلطة عليهم، وإنما توزعت سلطتهم على أرض اليمن، واستمر أهل نجران - النصارى وغيرهم من مختلف القبائل - في هيمنتهم الكاملة على أرضهم وبلدهم حتى جاء الإسلام.

وإذا متجاوزنا تلك الوقائع التى أطلق عليها "أيام العرب" فيما كان بين القبائل العربية وهؤلاء الملوك. فإننا نجد أن الغالبية العظمى من سكان الحضر والبادية في وسط شبه الجزيرة العربية، كانت تكن الوُدّ والاعزاز لهؤلاء الملوك، ويفخرون بهم، ويفدون إليهم لإظهار مودتهم، وموالاتهم على أساس أنهم عرب مثلهم^(١) في مقابلة ملوك الروم وفارس. وليس أدل على ذلك من خروج وفود العرب، أهل الحضر والبادية، من وسط شبه

(١) الأغاني، ج ١٦، ص ٧٣.

الجزيرة، لتهنئة الملك سيف بن ذى يزن، عندما تحقق له طرد الأحباش من اليمن، وكان من بينهم عبد المطلب بن هاشم، جد النبى ﷺ، وخطب أمامه يومها نيابة عن الوفد، وكان مما قاله: إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، وأنبئك منبتاً طابت أرومته .. وأنت ملك العرب وربيعها الذى يخصب به، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف .. ونحن أيها الملك أهل حرم الله، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذى أبهجننا لكشف الكرب الذى فدحنا، فنحن وفد التهنة لا وفد المرزئة^(١).

وبعد أن انتهى عبد المطلب من خطبته، سأله سيف بن ذى يزن، أيهم أنت أيها المتكلم؟ فقال أنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن اختنا؟ قال: نعم، ابن اختكم، قال: ادن منى، وقربه من مجلسه، واحتفى به^(٢).

وكان هاشم أكبر أبناء عبد مناف، ويقال له ولاخوته: نوفل، وعبد شمس، والمطلب: المجبرون، لأنهم أول من جبر وأصلح أمر قريش في التجارة، فأخذوا لها العهود، وعقدوا المواثيق مع الدول المجاورة، التى تردّها قريش للتجارة، فعقد هاشم عهداً مع ملك الروم أن تختلف قريش

(١) الألوسى. محمود شكرى، بلوغ الأرب، ٢/٢٦٧، والأغانى للأصفهاني ١٦/٧٣، والأزرقى ص ١٥٠. ولايتوهم أحد أن في كلمة عبد المطلب اعتراف بسيادته على العرب، فهذا أسلوب مجاملة كان يقال أيضاً لكسرى وقيصر (٢) وأم عبد المطلب بن هاشم، هى: سلمى بنت عمرو بن زيد من بنى النجار من الخزرج من ثعلبة بن عمرو مزريقاء من زيد كهلان بن سبأ. وكذلك كان جده عبد مناف بن قصي، أمه حبي بنت حليل بن حبشية من خزاعة. وقيل أم قصي من أزد السراة. انظر ابن الأثير ٢/١٧٧، وانظر أيضاً: الطبرى ٢/١٤٨، وكتاب البدء والتاريخ ٥/٥.

بتجارتها في أرضه، وهى في أمان، ومع ملوك غسان بالشام، وعقد أخوه عبد شمس عهداً مع النجاشى ملك الحبشة، وعقد أخوه نوفل عهداً مع الأكاسرة وملوك الحيرة، وعقد المطلب عهداً مع ملوك حمير باليمن^(١). فازدهرت بذلك تجارة قريش^(٢) نتيجة للأمن الذى توافرها في كافة البلاد التى تختلف إليها، وكانت تجارتها من أشهر الرحلات التجارية على مدى قرن ونصف قبل مجئ الإسلام.. وكانت من النعم التى خص الله بها قريش، وهاجسٌ إلى عِظَم المكانة التى ستحتلها في نفوس العرب، وإرهاص من إرهاصات النبوة. ولذلك ذكرهم الله بهذه النعمة من باب التبكيت والتفريع لهم على عدم ذكرها، وشكره سبحانه عليها، وحضهم على عبادته وشكره سبحانه وتعالى، حين بعث إليهم، وإلى العالمين نبياً منهم، كان الأحرى بهم أن يكونوا أول من أتبعه وآمن به، في قوله تعالى: ﴿لَا يَلَا ف قريش * لِإِفْهِم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾^(٣) فكانت رحلة الشتاء لليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام، وفلسطين، والعراق، ومصر^(٤)

(١) طبقات ابن سعد، ج ١، ص ٧٥-٧٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ١٦/٢، والطبرى ٢٥٢/٢، ونهاية الأرب للنويرى ٣٣، ٣٢/١٦، والطبقات لابن سعد ٧٥/١.

(٣) سورة قريش الآية ١-٤.

(٤) فكتب التاريخ تروى أن عمرو بن العاص ذهب في الجاهلية إلى مصر في تجارة، وحضر حفلاً كانوا يرمسون فيه كرة، فإذا سقطت على أحد، أو في حجره، عرفوا أنه سيتولى حكم البلاد، أو يتقلد منصباً فيها، فسقطت على عمرو، فعجبوا، وظنوا أنها أخطأت طريقها.

ونلاحظ أن هاشم بن عبد مناف وإخوته قد عقدوا العهود مع ملوك
الدول التي تجرب قافلتهم التجارية أراضيهم، حتى لا يتعرض أحد من
رعايا هؤلاء الملوك لتجارتهم حين المرور في أراضيهم، أما قبائل وسط
الجزيرة العربية، وما يسيطون أيديهم عليه من أرض فكانت لهم معهم
تعاملات أخرى، بعضهم يخفروها بمقابل، أو دون مقابل لصلة القربى،
فمثلاً كان سعد بن عبادة يميزها وهي بالمدينة، أو في حيزها^(١) وإذا مرت
بتهامة الحجاز والسراة، كانت بعض القبائل التي تمر بأرضها تحمّلها بعض
السلع لتبيعها لها في الأسواق التي تحل فيها^(٢) أو تشتري منها بربح قليل،
وفي هذا دليل على هيمنة القبائل في تهامة والسراة على الأرض التي
يسيطون أيديهم عليها، دون أن يكون لغيرهم أية سلطة عليهم. بل إن هذا
هو شأن كافة القبائل وسط شبه الجزيرة العربية. فالقبيلة هي صاحبة
السلطة والسيادة على الأرض التي تبسط يدها عليها، ولا تنزع منها
السيادة على تلك الأرض إلا قبيلة أقوى منها، ولا تمر بها قبيلة، أو تتجمع
فيها، أو ترد مناهلها إلا بإذن منها، ولذلك نجد أن الأرض كانت تحمل
اسم القبيلة التي تفرض سيادتها عليها، فيقال أرض هوازن، وأرض كنانة،
وسراة بنى على، وسراة فهم، وسراة بجيلة، وسراة الأزد، وسراة ألمع،
وبلاد بنى مالك بن شهر، وبلاد وادعة وبنى الحارث، وغير ذلك كثير^(٣)

(١) الطبري ٣٦٨/٢.

(٢) الطبقات لابن سعد ٧٨/١.

(٣) صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠-٢٦٢.

وكانت القوافل التجارية لاتعبر تلك الأرض في الغالب إلا بإذن من رؤساء القبائل المهيمنة عليها، وأعمال الخفارة للقوافل لاجازتها عَبْرَ المسالك، وحمايتها من النهب والسَّرقة، كان يخضع لاتفاق مسبق للإذن بالعبور، إما مقابل جعل يُدفع، أو للتعامل بالمثل، أو غير ذلك، وكثيراً ما كان يتم العبور من قبيل النخوة والشهامة.

ومما يعطى الدلالة على أن هذا الوضع هو الذى كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، هو أن "باذان" عامل كسرى على اليمن^(١) كان يبعث إلى كسرى كل عام قافلة تحمل الكثير من طُرف اليمن: كالتياب، والعطور، والذهب، والجواهر، وكانت القافلة تخرج من اليمن مخفورة برجال من بنى الجعد المرّارين من كندة بحضرموت، ومعهم بعض أفراد من رجال كسرى، إلى أن تصل إلى أرض بنى تميم فيتعهدوا هوزة بن على الحنفى، رئيس بنى حنيفة في ذاك الوقت، حيث يقوم بارسال من يخفروها حتى تجاوز أرض بنى تميم وسط نجد، فلما كان بعض السنين، وهى في أرض بنى حنظلة، دعا صمصعة بن ناجية بن عقال الجاشعى قومه إلى الوثوب عليها، لكنهم أبوا ذلك، فلما صارت في بلاد بنى يربوع دعاهم إلى ذلك فاستجابوا، وأغاروا عليها وقتلوا معظم حراسها ومرافقيها من العرب والفرس، واستولوا على ماتحملة، وفر من نجا من الموت إلى هوزة

(١) بعض المراجع تذكر أن هذه الحادثة وقعت في عهد هرز، لكن ابن الأثير ذكر أنها في عهد باذان، آخر عامل كسرى على اليمن، والذى أسلم - على أرجح الأقوال - في العام التاسع من الهجرة، وأنها كانت وقت البعثة النبوية، وقبل الهجرة، ابن الأثير ٦٢١/١.

ابن على الحنفى باليمامة، فخفف من روعهم، وكساهم وأكرمهم، ثم سار معهم إلى كسرى، فحفظ له كسرى موقفه ذاك، ودعا بعقد من دُرّ عقده على رأسه، وكساه قباء ديباج، فمن ثم سُمي: هوزة ذو التاج^(١) أى صاحب التاج، وبعد تلك الحادثة كان كسرى يبعث بتجارة لثباع في اليمن، فكان هوزة بن على الحنفى يبعث من يقوم على حراستها حتى تجاوز أرض بنى تميم في طريقها إلى اليمن^(٢).

وشاهد آخر على هذا الوضع الذى كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، وهو أنه كانت تقام بعكاظ - بين نخلة والطائف - سوق تجتمع فيها العرب كل عام إذا حضر موسم الحج، فيأمن الناس بعضهم بعضاً، وتقام في مستهل شهر ذى القعدة حتى العشرين منه، لينصرف الناس بعدها لأداء مناسك الحج، وكانت السوق للأدب يتبارى فيها الشعراء والخطباء بأحسن ما لديهم، كما يتبارى التجار بترويج ما يحملونه من سلع متنوعة، فكانت غذاء للعقل والجسم معاً. كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة، يبعث (لطيمة) أى بضاعة للإتجار بها في سوق عكاظ كل عام، وقبيل حلول الموعد يفد إليه بعض رجالات العرب، وفرسانها، ليعرضوا عليه القيام بحماية القافلة حتى تجوز إلى عكاظ، وفي أحد الأعوام اجتمع

(١) الطبرى ١٦٩/٢، وابن الأثير ١/٦٢٠، وسرح العيون في شرح رسالة بن زيلون، لابن نباتة المصرى، ص ٥٥.

(٢) ابن الأثير ١/٦٢١.

لديه لفيف من العرب، كان منهم عُرْوَة بن عتبة بن جعفر، المعروف بعروَة الرَّحَال^(١) وكان شريفاً في قومه.

كما كان من بين الموجودين البراض بن قيس الكنانى، ثم الضمرى، وكان فاتكا خليعاً، يُضرب به المثل في الفتك^(٢).

قال النعمان للحاضرين بمجلسه: من يجيز لى لطيمتى هذه حتى يبلغها عكاظ؟ فقال البراض: أنا أجيزها على كنانة، فقال النعمان: إنما أريد من يجيزها على كنانة وقيس: فقال عروَة: أكَلْبُ خليع يجيزها لك؟ أنا أجيزها على أهل الشيخ والقيصوم^(٣)، من أهل تهامة وأهل نجد. فقال البراض غاضباً: وعلى كنانة تجيزها يا عروَة؟ قال عروَة: وعلى الناس كلهم .. فدفع النعمان القافلة إلى عروَة الرَّحَال ليسير بها إلى عكاظ، وخرج في أثره البراض متخفياً حتى قتله، واستولى على التجارة، وقامت بسببه حرب الفجار، التى شهدها الرسول ﷺ، وعمره عشرون عاماً^(٤).

(١) عروَة الرَّحَال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب من عامر من صعصعة من هوازن، واطلق عليه ذلك لكثرة ترحاله. الجمهرة، ص ٢٨٦.

(٢) أى الأخذ على غرة.

(٣) الشيخ والقيصوم نبات لا ينبت إلا في البادية، وهذا كناية عن حماية القافلة من أهل الحاضرة والبادية وإجازتها كافة البرادى.

(٤) ابن الأثير ١/٥٨٩، ٥٩٠، وشرح العيون ص ٩١، والبدء والتاريخ ٤/١٣٤، واختلف في عمره ﷺ، وذكرنا ما رأيناه صواباً.

وهى حرب الفجار الثانى، وقيل: إنها أربعة، وأن الذى شهدته الرسول ﷺ هو الرابع^(١) منها، وأن عمره كان وقتها أقل من عشرين عاماً.

وكثيراً ما يردد البعض القول بأن أبناء الحارث بن عمرو الكندى كانوا ملوكاً على أحياء العرب، وسط شبه الجزيرة، ويغفل قصداً أو عن غير قصد ملاحظات ذلك والداعى إليه ...

فحقيقة ذلك كما يرويه ثقة المؤرخين: أنه لما استحر القتل بين القبائل العدنانية، وفسد أمرها، بسبب كثرة الحروب بينها، تجمع أشراف وكبراء تلك القبائل، واتفقوا أن يولوا عليهم حكماً يكون بمثابة قاضٍ يحكم بينهم ويُرْجَع إليه فيما ينشب بينهم من خلاف أو منازعة.

وضمامنا لثراسته وانصافه اتفقوا أن يكون غريباً عنهم، حتى لا يتعصب لقبيلته، فأتوا الحارث بن عمرو الكندى، وكان ملكاً على الحيرة، وعرضوا عليه أمرهم، وسوء الحال التى وصلوا إليه.

ثم طلبوا منه أن يرسل معهم بنيه، ليكونوا على القبائل كحكام وقضاة، ويكفروا بعضهم عن بعض، فوزع أبناءه على القبائل، فكان ابنه حجر على بنى أسد وغطفان، وشرحبيل على بكر بن وائل بأسرها، وبنى حنظلة، وابنه معد يكرب على بنى تغلب والنمر بن قاسط، وسعد بن زيد مناة، واستمر الرضع على ذلك عدة سنين إلى أن امتنع بنو أسد أن يدفعوا

(١) مجمع الأمثال للميداني، ٤٣٠/٢.

الإتاوة، أو النفقات المطلوبة منهم سنوياً لحجر بن الحارث، حاكمهم، أو بالأحرى قاضيهم، فسار إليهم لقتالهم فقتلوه، وهو والد امرؤ القيس الشاعر المشهور، وامتنعت بقية القبائل عندئذ عن دفع تلك الجباية، وطردها أبناء الحارث^(١) وخبر ذلك مشهور تاريخياً، وليس فيه دليل على تملك كندة لوسط الجزيرة، فإن القبائل العربية في وسط شبه الجزيرة، هي التي استدعتهم وهي التي أعفتهم من مهمتهم.

ملوك العرب في الشمال :

تتابعت هجرات القبائل العربية من جنوب ووسط بلاد العرب إلى الشمال، واستوطنوا أرض العراق، والشام، وفلسطين، ومصر، منذ عهود بعيدة، فقد قيل إن فراغة مصر، الذين كانوا على عهد الخليل إبراهيم عليه السلام، من العماليق الذين هاجروا من بلاد العرب^(٢) وأنه قد توافقت هجرة قبيلتي جرهم، التي كانت تستوطن تهامة اليمن^(٣) وقبيلة قُطُوراً، سُكْنَى اسماعيل عليه السلام مكة المكرمة، فأقامتا بجواره، وصاهر اسماعيل قبيلة جرهم، ثم بعد فترة نزلت قطورا إلى الشمال حتى استقرت بطون منها بمشارف الشام، وبيادية السماوة^(٤). وأقاموا مملكة تدمر ببادية

(١) الأغاني ٦٣، ٦٢/٨، وبلوغ الأرب للأوسى، ج ٢، ص ١٥٦.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي ٤٤٢/٥.

(٣) معجم البلدان ٤٤٢/٥.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ٨٥، ٨٢/١، ونهاية الأرب للنويري ٣٣، ٣٢/١٦.

السماوة بالقرب من حمص، وكانت معاصرة لنبى الله سليمان عليه السلام، وربما تكون البطون الأخرى منها، هى التى أسست مملكة الأنباط بالبتراء بالقرب من حوران قبل القرن الرابع الميلادى، وكان من أشهر ملوك مملكة تدمر الملكة زنوبيا (الزباء) ابنة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع^(١) وكان يعاصرها في الحيرة^(٢) حكم التنوخيين الذين كان من أشهر ملوكهم جذيمة الأبرش، وابن أخته عمرو بن عدى من آل نصر اللخمى، ثم تلاهم في حكم الحيرة المناذرة أبناء عمرو مزقياء من الأزد^(٣) .

أما في الشام فأول من حكم هم الضجاعة من سليم من قضاة، إلى أن تمكن الغساسنة من آل جفنة من عمرو مزقياء من التغلب عليهم، والاستئثار بالحكم، وأواخر القرن الخامس الميلادى، وأول ملوكهم الحارث ابن جبلة، وآخرهم جبلة بن الأيهم الذى أسلم في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكانت ديارهم تمتد من اليرموك إلى الجولان إلى القرب من دمشق^(٤) .

(١) والسميدع هم بطن من قطوراء، من العماليق.

(٢) الحيرة: تبعد عن الكوفة بثلاثة أميال، وتقع بالقرب من ضفة الفرات الغربية.

(٣) بلوغ الأرب للأوسى ١٧٥/٢-١٧٧.

(٤) دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. سيد سالم، ص ١٩٧، ١٩٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٤٥٠.

ولعل من أسباب إقامة تلك الممالك في هذه المناطق، هو تتابع هجرات القبائل العربية على مختلف العصور، وسيطرتها عليها عقب انحسار نفوذ الفينيقيين، والأشوريين، والكلدانيين، والسريانيين وقبل أن يمتد إليها نفوذ الساسانيين والروم البيزنطيين، الذين استمروا حتى ظهور الإسلام.

وكان من أشهر القبائل التي هاجرت واستوطنت تلك البقاع بالإضافة إلى العماليق، بطون من قضاة كسليح، وبهراء، وبلى، وبطون من إياد بن معد إلى عين أباغ فيما بين البصرة والكوفة، وقبائل من بكر وتغلب، وتنوخ، ولخم، ومن الأزدي، وغيرهم^(١) فكانت تلك القبائل سنداً قوياً في مخالفتها للحاكم العربي في تلك البقاع، وعندما امتد نفوذ العجم والروم إليها، لم يجلوا مناصاً من إقرار هؤلاء الملوك على ممالكهم، على أن يتعهدوا بحفظ الأمن فيها، ويكفونهم خطر الغزوات التي كانت تقوم بها أحياناً بعض قبائل وسط شبه الجزيرة، على تلك الأطراف من ممالكهم. ويتضح ذلك من محاوره كسرى أبناء المنذر بن المنذر بن النعمان بن ماء السماء، ليختار من بينهم من يخلف أباهم المنذر في حكم الحيرة عقب وفاته عام ٥٧٩م. فقد سأهم على انفراد سؤالاً ليعرف رجاحة عقل كل منهم: أتكفيني العرب؟ وهو يقصد عرب وسط شبه الجزيرة العربية، لا الذين يقيمون حول الحيرة، أو في حوزتها، لأن هؤلاء خاضعون لسيطرته

(١) البلاذري، فتوح البلدان ١٠٢/١-١٠٥، وابن الأثير ٣٤٠/١-٣٤٣، والطبري ٩٠/٢.

وهيمنت، أما مَنْ بداخل بلاد العرب فلا سلطان له عليهم، ولا راد لهجماتهم أو غزواتهم إلا هؤلاء الحكام سواء في الحيرة، أو الشام^(١).

وكان ملوك الفرس والروم قد فرضوا خراجاً على الأصقاع التي تقع تحت نفوذهم يُجبى إليهم في العام مرة أو مرتين، وأحياناً كانوا يجورون في مقدار ذلك الخراج. فلما ملك كسرى أنوشروان حاول أن يكون عادلاً في وضع الخراج^(٢) بتصنيف نوعية الأرض، وكيفية سقيها، ونوع المحصول المنتج منها، وغير ذلك مما عرف بوضائع كسرى، والتي استمر العمل بها في تلك البلاد حتى دخلها الإسلام في عهد عمر بن الخطاب، فأقرهم على العمل بها فترة من الزمن^(٣) وكان العرب في وسط شبه الجزيرة فيما قبل الإسلام لا يدرون شيئاً عن تلك الجبايات، أو التعاملات الضرائبية، لأنهم لم يكونوا خاضعين لسيطرة أيّ من هؤلاء الحكام .. والحياة القبلية وكذا الحضرية بوسط شبه الجزيرة العربية تأنف من دفع الجبايات .. ألا ترى أن بعض القبائل التي ارتدت عقب وفاة الرسول ﷺ - وجلّها لم يكن الإسلام قد تمكن بعد من شغاف قلوبها - طلبت من خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن

(١) ابن الأثير ٤٨٣/١ - ٥١٠.

(٢) كان مولد النبي ﷺ يوم النعل وبعد مضي اثنين وأربعين عاماً من حكم أنوشروان، وقال النبي ﷺ، ولدت في عهد الملك العادل، ويقصد بذلك أنوشروان، انظر ابن الأثير ٤٥٧/١، وسرج العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباتة، ص ٥٧.

(٣) الطبري ١٥١/٢، وابن الأثير ٤٥٥/١، والأخبار الطوال للدينوري، ص ٧١.

يعفيها من دفع الزكاة، وبعضهم قال عنها "إتاوة"^(١) بينما هم ملتزمون
ببقية شرائع الإسلام!

لكنه رضى الله عنه رفض وقال قوله الشهيرة: والله لو منعوني
عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه^(٢).

ومما يؤكد استقلالية وسط شبه الجزيرة، وعدم خضوعها لأى من
الممالك في الشمال أو الجنوب، تلك الواقعة التى حدثت قبيل البعثة النبوية
بقليل، وهى أن عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن
كلاب، القرشى، كان يطمح أن يسود قريشاً ويزأسها، وقد تحايل لذلك،
فذهب إلى قيصر الروم، ورغبه في تملك مكة وما حولها، مثلما تملك
فارس اليمن، وطلب منه أن يولييه حاكماً عليها من قبله، كى يُجبى إليه
الجبایات، فوافق وكتب له بذلك كتاباً يولييه على مكة وما حولها.

فلما قدم عثمان بالكتاب أطلع أهل مكة عليه، وحذّروهم مغبة
المخالفة والعصيان، وإلا سيُعرضون تجارتهم وأموالهم في بلاد الشام إلى
الهلاك، وقد يسير إليهم قيصر بجيوشه، فوافقه بعضهم، وأخذ فريق يتداول
الموقف في ناديمهم، فلما كان عشية اليوم الثاني قام ابن عمه أبا زمعة
الأسود بن عبد المطلب بن أسد، وصاح في الناس وهم يطوفون قائلًا:
يا عباد الله، أیكون ملك في تهامة؟ ما كان بها ملك قط! وإن قريشاً

(١) الطبري ٢٥٩/٣، وابن الأثير ٣٥٢/٢، وابن خلدون ٧١/٢.

(٢) الطبري ٢٤١/٣-٢٤٤، وابن الأثير ٣٤٤/٢.

لقاحاً لا تُملِّك لأحد. فقالوا: صدقت، لن يملكنا قيصر ولا غيره^(١) وهم يقصدون بتهامة مكة وما حولها، وما يتبعها من تهامة والطائف، وجبال السراة، ومعنى أوضح منطقة الحجاز.

ولذا قال ياقوت^(٢) كانت مكة لقاحاً^(٣) لاتدين لدين الملوك، ولم يؤد أهلها إتاوة، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان، تحج إلى الكعبة ملوك حمير وكندة، وغسان ولخم، فيدينون للحمس^(٤) من قريش، ويرون تعظيمهم، والافتداء بآثارهم أمراً مفروضاً، وشرفاً عندهم عظيماً، وكان أهل الحرم آمنون، يغزون ولا يُغزون، ويسبون ولا يُسبون، ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً، ولا يجال عليها السهام. وقد حمست قريش بعض القبائل المجاورة للحرم، كخزاعة، وكنانة، وثقيف، وعامر بن صعصعة^(٥) وأضفت الكعبة المهابة والحرمة على مكة وبقاع الحرم، في الأشهر الحرم، فكان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له بسوء.

وقد أدى هذا الاستقرار الأمنى للحرم، أو بالأحرى لمكة والبقاع المحرمة، إلى امتداد أثره إلى المناطق المجاورة، ومنها منطقتنا موضوع

(١) شفاء الغرام، ١٠٨/٢، ١٠٩.

(٢) معجم البلدان، لياقوت الحموي ١٨٣/٥.

(٣) بمعنى تعطى ولا تأخذ، وتحكم ولا تحكم، لا يخضعون لملك، ولا يؤدون إتاوة أو جباية.

(٤) التحمس: التشدد في الدين، ورجل أحس أى شجاع، وكان من عادة الخمس في الجاهلية ألا يخرجوا أيام الحج إلى عرفة وإنما يتقنون بالمزدلفة ليحيزوا بالحجيج.

(٥) معجم البلدان ١٨٤/٥.

الدراسة، فلقد اقتضت الظروف وسط شبه الجزيرة العربية، أن ينظم العرب حياتهم فيها على أسس قبلية، فالقبيلة هى الوحدة السياسية والاجتماعية، وتتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد يحملون اسمه، وربما تنضم إليهم جماعات أو عشائر بالولاء، ويتحملون جميعاً واجبات الدفاع عن القبيلة، وعن أى من أفرادها إزاء كل خطر يواجههم، فكانت القبيلة هى المظهر الأول البسيط للحكم الاستقلالى^(١) وأصبحت القبيلة وما تهيمن عليه من أرض بمثابة ولاية مستقلة^(٢) أفرادها يدينون بالولاء لرئيس القبيلة، ورئيسها لاسلطان عليه، يرعى مصالح أفرادها، ويعقد مع جيرانه رؤساء القبائل عقد أمان أو موالاة بعدم الاعتداء، وهو عقد إن لم يكن موثقاً بالكتابة فى غالب الأحيان، لكنه كان باللسان ومضافحة الأيدى أوثق وأكد للوفاء به، كان هذا هو الوضع السائد للحضر والبادية وسط الجزيرة العربية من حيث الاستقلالية وعدم الخضوع لسيطرة الممالك جنوب وشمال بلاد العرب، فى معظم الفترات التاريخية لما قبل الإسلام، وتساس الأمور والأوضاع بينها وفق قواعد من الأعراف والتقاليد والعادات التى تلائم ظروفهم، وربما تختلف كثيراً عن تلك التى تسود هذه الممالك.

(١) من تقديم الدكتور صالح أحمد العلى، لكتاب الطبقات لخليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، ص ٧.

(٢) د. إبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص ٥٣، د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام،

علاقة المنطقة بالنفوذ السياسي لتلك الممالك :

من الصعب تمييز منطقتنا (جازان، وعسير، ونجران) بدراسة منفصلة عن وسط شبه الجزيرة العربية، خلال الحقبة التاريخية المبكرة التي نحن بصدددها، ذلك لأنها كانت تعتبر خلال هذه الحقبة امتداداً طبيعياً لبادية مكة والطائف. على ضوء الشواهد التاريخية.

فتهاجمة الحجاز، وجبال السراة (عسير) وأوديتها، ونجران، ابتداء من مكة والطائف حتى المعالم الطبيعية التي سيق الإشارة إليها في صدر هذا البحث، تقطنها قبائل لها في ذاك الوقت مطلق الاستقلالية على أرضها، وتبسط يدها عليها وكأنها إمارة قائمة بذاتها، ويعقد رؤساء القبائل تحالفات فيما بينهم، ويدخلون في ولاء مع جيرانهم، أو مع من شاعوا من غيرهم، للمناصرة وعدم الاعتداء^(١) وهو في حقيقته شبيه بما يتخذ حالياً في العصر الحديث بين الدول.

وكانت مكة منذ عهد اسماعيل — عليه السلام —، قد شرفت باحتضانها الحرم الشريف، واحتلت جانباً مرموقاً في نفوس العرب، ومع أن الوثنية قد انتشرت فيهم، لكنهم كانوا يفلدون كل عام ليطوفوا بالبيت العتيق، ونالت قريش بولايتها البيت ورعاية الحجيج، شرفاً رفيعاً^(٢).

(١) د. إبراهيم بيضون، المصدر السابق، ص ٣١.

(٢) الأزرقى، أخبار مكة ١/١٠٩.

ولما كانت مكة بواد غير ذى زرع فقد وهب الله أهلها عوضاً عن ذلك، الرزق في التجارة، فبرعوا فيها أيما براعة، واشتهر أمر تجارة قريش في بلاد العرب وغيرها، وجعلت تجوب وسط بلاد العرب وشماله وجنوبه، ووطئت أقدامهم أرض فارس والروم والحبشة، وفلسطين، ومصر^(١)، وذلك منذ عهد قصي بن كلاب، الذى كان قد تزوج حبى بنت حليّل الخزاعى، واسترد من خزاعة الولاية على البيت^(٢) وكانت أم قصي بن كلاب، هى فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل، من أزد السراة، وهى أيضاً أم أخيه زهرة بن كلاب^(٣) كانت التجارة هى البديل لمواجهة تصحر الأرض، وقلة المزروعات، وقد نجحت قريش في القيام بتلك المهمة نجاحاً ملحوظاً، في الوقت الذى أصيبت فيه طرق المواصلات البحرية، والبرية، قدرتها على نقل البضائع التى تحتاجها دول الغرب من الشرق، أو بالعكس، وذلك بسبب الحروب المتواصلة بين الفرس والروم، ودخول الحبشة جنوب الجزيرة^(٤).

وأصبحت مكة وما في حوزتها من مدن وبوادر ملتقى القادم من الشمال والجنوب والوسط، ومما ساعد على نمو التجارة وأزدها وجود

(١) د. إبراهيم ييضمون، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) الأزرقي، المصدر السابق ١٠٥/١.

(٣) الأزرقي، المصدر السابق ١٠٤/١، والبدء والتاريخ للمقدسى ١٢٤/٤، ٥/٥، وابن الأثير ٣٤/٢.

(٤) د. إبراهيم ييضمون، المصدر السابق، ص ٣١.

أسواق في المنطقة، يفد إليها التجار من كل أحياء بلاد العرب، وبخاصة تلك التي كانت تعقد في الأشهر الحرم، كسوق عكاظ.

كما كان من أشهر تلك الأسواق: سوق بجنة، وكانت بأسفل مكة لبنى كنانة، وسوق حُباشة، وكانت للأزد وكنانة في السراة، وسوق ذى الحجاز، وكانت لهذيل بالقرب من عرفة^(١) وسوق بجران، وسوق الجريب بتهامة^(٢) كما أسهمت المرافئ التي كانت على ساحل البحر الأحمر في ازدهار تلك التجارة يومذاك، بنقلها إلى الحبشة، وبلدان الساحل الإفريقي، وكان من أشهر تلك المرافئ، مرفأ الشعبة^(٣) قبل أن تتخذ جدة مرفأ رئيسياً للمنطقة في عهد الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه -^(٤)

وإذا أردنا تحديد الاتجاه العام للخطوط التجارية المتشعبة من مكة شمالاً أو جنوباً، فسنجد أن طريق القوافل في اتجاهها جنوباً، كان يمثل امتداداً شبه طبعى لنفوذ مكة، حيث يمر بقبائل تربطها بها صلة قرابة، أو تحالفات، وفي نفس الوقت فإن تلك القبائل تُكنّ لقريش درجة لا بأس بها من التوقير والتبجيل^(٥) فكانت التجارة تمر بأرض قبائل المنطقة، فيحافظون

(١) د. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص ٢٩٣، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لتقى الدين محمد بن أحمد الفاسي ٢/٢٨٢.

(٢) الحمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٢، ٢٤٨.

(٣) تقع الشعبة جنوب جدة، وتبعد عنها مسافة مرحلتين، أى حوالى ٣٤ كيلو متر تقريباً.

(٤) الأزرقى، المصدر السابق ١/١٥٧.

(٥) د. إبراهيم يثرون، المصدر السابق، ص ٦٥.

عليها، ويبيعونها، أو يشرون منها ماتحملة، أو يحملونها ما لديهم من
سلع، دون كراء، ليبيعوه لهم في الأسواق^(١) وغالباً ما كانت القافلة تسلك
في طريقها إلى صنعاء مثلاً: تهامة الحجاز، حيث الآبار والعيون، ثم تعرج
على السراة، ثم إلى بطن السراة شرقاً، فإلى تباله وييشه وجرش، ثم إلى
صعدة وصنعاء، أو عدن وبقية المدن التجارية الشهيرة^(٢) وكان للمكيين
وكلاء في البلدان الرئيسية التي يمرّون بها في المنطقة كتباله، وجرش،
ونجران^(٣).

وكانت تتوزع في المنطقة — بتهامة الحجاز، والسراة، ونجران،
والبوادي — قبائل شتى لكن يجمعها ولاء أو تحالف، كبطون من قريش،
وقبائل: كنانة، وأسد بن خزيمه، وهذيل، وهوازن، وقبائل الأزد، ببطونها
العديدة: بنو بارق، وبنو العتيك، وبنو شمهيل، وبنو الحجر، وبنو الهنو،
وبنو عدنان، وقرن، وماسخه، ولهب، وثمالة، وبارق، وغامد، وزهران،
ودوس، وألع^(٤) وغيرهم كثيرون، وأيضاً أبناء العمومة خثعم وبجيلة، فمن
بجيلة: بنو قسر، وبنو أحمس، وبنو فتيان، وبنو واقد، وجشم، وكان منهم
الصحابي جرير بن عبد الله بن جابر، البجلي^(٥)، الذي قدم على الرسول

(١) الطبري ٣٦٨/٢، وطبقات ابن سعد، ج ١، ص ٧٨.

(٢) د. إبراهيم بيضون، المصدر السابق، ص ٦٥، ٦٦.

(٣) د. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٤٧٣، ٤٧٤.

(٥) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٢/٥.

ﷺ مُسْلِمًا، فقال له النبي ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم، فألقى إليه الرسول ﷺ، كساءه، وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وروى عنه أنه قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم^(١) وكان جرير جميلاً وضئ الوجه، حتى قال عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه: جرير يوسف هذه الأمة، وقدمه عمر رئيساً على جميع بجيلة في حروب العراق، وكان له أثر عظيم يوم القادسية^(٢) وسوف نأتى على جهوده في خدمة الإسلام فيما بعد.

أما بطون خثعم: فبنو ناهس، وشهران، وراشد، ومن فروع شهران بنو عُمَيْس، رهط أسماء بنت عميس، زوج جعفر بن أبى طالب، والتي رافقته في الهجرة إلى الحبشة، وأختها سلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنهم جميعاً^(٣).

كما كان بالمنطقة قبائل حكم آل عبد الجند من سعد العشيرة، ومن بنى نهـد، وجـرم، وياـم، وبنى الحارث بن كعب، ووادعة، وحاشد ويطون من عنـز بن ربيعة^(٤) وغيرهم كثيرون تجمعهم بعضهم مع بعض روابط قرى ومصاهرة، وولاء، وتحالفات وتهوى أفندتهم للحرم، ويقرون لذلك بنفوذ مكة، وييجلون قريش لولايتها البيت، ويوادعونها ولا يرومونها بشر

(١) رواه البخارى. ورواه ابن حجر في ترجمة جرير في الإصابة ٢٣٢/٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢٣٢/٥.

(٣) جبهة أنساب العرب، ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) الحمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٣-٢٦٢، ٣٥٥.

إلا فيما ندر، وربما يظهر ذلك بصورة واضحة في حادث الفيل، الذى وافق وقوعه العام الذى وُلِدَ فيه الرسول ﷺ^(١)، ونالت به قريش شرفاً على شرف.

فقد وجد أبرهة الأشرم، بعد أن استقر له الأمر في اليمن، أن العرب يحجون في كل موسم إلى الكعبة بمكة، وأنهم يوقرونها، فبنى كنيسة في صنعاء ليحول حج العرب إليها، وأطلق عليها اسم "القليس"، ويقال: إنه لم يُرَ مثلها في زمانها، لكثرة ما أنفقه في بنائها، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيت لك كنيسة لم يُرَ مثلها، ولست بعنته حتى أصرف إليها حاج العرب^(٢) ولما فرغ من بنائها بعث البعض يسرون في أحياء العرب يدعونهم ليحجوا إلى البيت الذى بناه أبرهة، فانطلق أحدهم حتى نزل بأرض كنانة في تهامة، وبلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، فبعثوا له رجلاً من هذيل يقال له: عروة بن حياض الملاص، فرماه بسهم فقتله^(٣) فغضب أبرهة عندما بلغه ذلك، ثم ما لبث أن ذهب رجلٌ من النساء^(٤) من فقيم من مالِك من كنانة، متسللاً إلى "القليس" وتغوط فيه، ولما عرف أبرهة سأل عمن فعل ذلك قالوا له: إنه رجل من العرب، من أهل البيت

(١) في كتاب البدء والتاريخ ١٣١/٤: ولد النبي ﷺ، بعد قدوم الفيل بخمسين ليلة، وكان مولده يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من ربيع الأول، وقيل: لأثنى عشر يوماً، وكان ذلك يوافق عام ٨٨٢ للتوقيت الرومى، وعام ٤٤ من ملك أنوشروان، وعام ٢١٦ من تاريخ العرب الذى أوله حجة الغدر.

(٢) ابن الأثير ٤٤٢/١، والطبرى ١٣٠/٢، والأزرقي، ج ١، ص ١٣٧-١٤٢، وسيرة ابن هشام ٤٥/١.

(٣) الطبرى ١٣١/٢.

(٤) النساء: هم الذين كانوا يؤخرون الأشهر الحرم عن موعدها، لحاجتهم إلى شن الغارات، وطلب الثارات.

الذى توجه العرب بمكة، فاشطاط غضباً، وآلى على نفسه أن يهدم الكعبة. وأمر بالتجهيز والمسير إليها، وتحدثت العرب بمسيره وعزمه وذلك عام ٥٧٠م تقريباً. ورأوا أن جهاده ومنعه من الإقدام على ما عزم عليه هو حق عليهم، فكان أول من خرج إليه رجل من بيوتات اليمن يقال له: ذو نفر، ومعه بعض من أهله ومن تجمع إليه من العرب، وواجه أبرهة عقب خروجه من صنعاء، لكن أبرهة تغلب عليه^(١) ثم اتجه أبرهة صوب مكة، متخذاً الأدلاء الذين يسلكون به أسهل الطرق والمسالك، حتى إذا نزل بأرض خثعم، وكانت في ذاك الوقت بأعراض نجد، جنوب بيشة، وظهر تبالة^(٢) فقاد نفيل بن حبيب الخثعمي، جموعاً من قبائل المنطقة، التى ثارت حفيظتها على أبرهة، واشتبك معه في قتالٍ غير متكافئ الكفتين، فتغلب أبرهة، وأخذ نفيل أسيراً، وجعله دليلاً له في بلاد العرب^(٣) ثم انطلق حتى وصل الطائف، ومنها نزل إلى المغمس^(٤) ومات عنده أبو رغال دليلاً في الطريق مذ خرج من صنعاء. ثم بعث الكتاب تغير على مكة، فسأقت ضمن ما سأقت إبلاً لعبد المطلب بن هاشم. تتجاوز مائتى بعير، وكان عبد المطلب ورؤساء قريش، وكنانة، وخزاعة، وهذيل قد هموا بمحاربة أبرهة، لكنهم تراجعوا وقالوا لا طاقة لنا بحربه، ثم ذهب وفد منهم، فيهم

(١) ابن الأثير ٤٤٣/١، والأزرقي ص ١٤١.

(٢) معجم ما استعجم ٩٠/١، وصفة جزيرة العرب ص ٢٥٨.

(٣) الطبرى ١٣٢/٢، وابن الأثير ٤٤٣/١، والأزرقي ١٤٣/١، وسيرة ابن هشام ٤٨/١، وقصص الأنبياء المسمى:

"عرائس المجالس" للئيسابورى، أحمد بن محمد، التلغى ص ٣٩٧.

(٤) المغمس: بمعنى عند رمى الجمرات، والجمره الكبرى موضع قبر أبى رغال، كما يقال.

عبد المطلب بن هاشم لمفاوضة أبرهة في الرجوع عن بلدهم، وحرمتهم،
 لكنه أبى، فسأله عبد المطلب إبله .. وقال له - عندما تعجب أبرهة من
 سؤاله -: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه .. هذا بيت الله،
 والله يمنعه. ثم عادوا إلى مكة على أن يتركوها له .. وقام عبد المطلب
 يطوف بالبيت، ثم أمسك بحلقة باب الكعبة وقال:

يا رب إن المرء يمنع رحـ	له فامنع جلالك
لأَيُّبُنَ صَليُّهِمُ	ومحالم غنوا محالك
إن كنت تاركهم وقبـ	لننا فامر ما بدا لك
ولمن فعلت فإنـه	امر يتم به فعالك ^(١)

ثم ما لبث أن نزل بأبرهة ما نزل من هلاك، هو وجيشه .. بما أرسله
 الله عليه من جند مهيأة على صورة طير أبايل^(٢) ولعظم شأن هذا الحدث
 ولدى حفظ الله لبيته من أى عابث به، أنزل الله فى كتابه سورة الفيل
 للعبرة، والقصة مشهورة فى كتب التاريخ.

(١) هذه الأبيات وغيرها وردت فى كثير من المراجع الأصلية، كالطبرى، وابن الأثير، وسيرة ابن هشام، وبلوغ
 الأرب، والأزرقى وغيرها، وكذلك وقائع تلك الأحداث بما فيه اختلاف فى بعض الروايات، وأوردناه
 بتصريف.

(٢) ابن الأثير ٤٤٤/١، والطبرى ١٣٣/٢، والأزرقى ص ١٤٥، والأوائل لابن هلال العسكرى ٥٨/١.

وبتحليل وقائع هذا الحادث نلاحظ الآتي :

- أن العرب على اختلاف نحلهم ومعتقداتهم كانوا يُجلُّون البيت الحرام، وأن قتلهم داعية أبرهة فيهم بالحج إلى "القليس"، وتصدى كل من ذى نفر الحميري، ونُفيل الخثعمي، بمن التف حولهما من العرب دليل هذا الاجلال.

- أنه حين سأل عمن تجرأ وفعل ما فعل في القليس، قالوا له: إنه رجل من العرب ممن يعظمون البيت الذي بمكة؛ فقال: لن أنتهى حتى أهدمه^(١) فهذا الحوار يعطى مؤشراً بأن هناك طائفة من العرب لم تكن تخضع لرئاسته، ولاتدين له بالولاء والطاعة، وأن أرضهم التى يقيمون عليها خارجة عن نفوذه، وأنه لم يكن يدري عنها شيئاً، رغم أنه كان قد أقام فترة بتهامة اليمن، واتخذ مدينة "الجند"^(٢) قاعدة له خلال نزاعه وحروبه مع أرباط قائد جيش اليمن السابق، ولما تغلب على أرباط ذهب إلى صنعاء، واتخذها قاعدة لحكمه، وكونه اتخذ أدلاء من العرب، فهذا يؤكد أنه لم يكن يعرف عنها شيئاً، وأنها لم تكن تدين له بالطاعة، وكانت خارجة عن دائرة نفوذه وسيطرته، وأنه لم يفرض هيمنته

(١) هذا الحوار، وغيره من تفاصيل الحدث ورد في المراجع السابقة، وفي الصفحات المشار إليها أو فيما بعدها فليرجع إليه من أراد.

(٢) مدينة "الجند" بتهامة اليمن، شرقى مدينة تعز بمسافة فرسخين تقريباً، وكانت فيما سبق تعد قاعدة إقليم تهامة اليمن، وبعد فترة تحولت الشهرة إلى عدن فأصبحت القاعدة.

إلا على الأجزاء التى كانت خاضعة لنفوذ الحكام السابقين الذين تغلب عليهم، وأنه سار في حملته هذه سير الغزاة لجيرانهم.

ولذا يقول الدكتور صالح العلى: "إن أبرهة إذا كان قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصارى، فهو لا يستطيع إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، وإذا كان قد فعل ذلك فإن نطاق أمره ينحصر في اليمن، وهى البلاد التى يحكمها، ولا يمتد نفوذه إلى غيرها من المناطق، فمكة لا تغتاظ من إنشاء كنيسة نصرانية، لأن مركزها الدينى لا علاقة للنصارى به، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليها، فضلاً عن أن هناك عدة بيوت مقدسة لم يرد في التاريخ خير استيلاء مكة منها، فلماذا تستاء من القليس" ^(١) ونضيف بأن ما آثار حفيظة ذلك الذى ذهب إلى القليس، وتغوط فيها، هو ما أذاعه أبرهة من أنه بناها ليحول حج العرب إليها، وبعث منادين في أحياء العرب بذلك، بينما هؤلاء العرب لا يخضعون لنفوذه ولا سيطرته .. ولولا ذلك لما أثرت الحفائظ، فقد كانت بنجران كنيسة قبل، وبعد، ولم يثبت أن أحداً أساء إليها، أو إلى أهلها بشئ. وكان يطلق عليها أحيانا "كعبة بنجران" ^(٢) . وقد وردت بهذا المسمى في شعر الأعشى ^(٣) .

(١) انظر محاضرات في تاريخ العرب ٢٦٠/١ للدكتور صالح أحمد العلى.

(٢) القزوينى، أخبار البلاد والعباد ص ١١٢٦.

(٣) الأغاني للأصفهاني ١٣٥/١٠.

- أن عبد المطلب بن هاشم حين خرج إلى أبرهة بالمغمس، خرج معه عمرو بن نفثة بن عدى من كنانة، وهو يومئذ سيد كنانة، وخويلد بن وائلة الهذلي، سيد هذيل ففاوضوا أبرهة في الرجوع عن عزمه، وعرضوا عليه إعطاءه ثلث أموال تهامة، مما يخرج من نتاج أرضها، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، لكنه أبى^(١) وهذا دليل واضح على أن أرض تهامة الحجاز لم تكن خاضعة له، وليست ضمن نفوذه، وإلا فكيف يعرضون عليه نتاج أرض يسيط نفوذه عليها؟ ففيه عندئذ إثارة له وسخرية به.

- كما نلاحظ أن ابنه يكسوم، الذي خلفه في الحكم، لم يحاول إعادة الكرة، ولو من قبيل العمل على إعادة سمعة أبيه، وتأكيد هيبتهم في نفوس العرب، ولم يرد له أى أثر في المنطقة، كرد فعل لما وقع لأبيه، مع أن حكمه استمر عشرين عاماً، كانت غاية في الظلم والفساد، وكذلك أخوه مسروق الذي تولى الحكم بعده، لكن منطقتنا ظلت بعيدة عن أى نفوذ حبشى أو غيره، كما هو شأنها في السابق. كما لم تتأثر بعقيدتهم المسيحية وإنما ظلوا يمارسون عقيدتهم الشركية التي جاء الإسلام وهم عليها.

(١) الطبرى ١٣٤/٢، والأزرقي ١٤٥/١.

وحتى نجران التي كان الحادث الذي وقع فيها سبباً في مجئ
الحبشة إلى اليمن، ظلت بعيدة عن هيمنة الأحباش فقد حكمها
ذو ثعلبان، الذي استنجد بالحبشة^(١).

ويرجع البعض دوافع أبرهة للقيام بحملته هذه إلى دوافع سياسية
بهدف التحرك لمحاربة الفرس، بايعاذ من الروم، أو بأمر من نجاشي
الحبشة^(٢) ويُردُّ بأن طريق أبرهة إلى فارس كان أقرب لو أنه عبر الخليج،
بدلاً من قطعه بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها الشرقي، وتعرض نفسه
وجيشه لمخاطر الصحراء، كما يعلل البعض الدوافع بأنها كانت اقتصادية
بغرض ضرب تجارة قريش، والاستيلاء على خط التجارة البري الموازي
للبحر الأحمر^(٣) وتُردُّ هذه المقولة بأنه كان بمقدوره منع تجارة قريش من
دخول اليمن، أو التدخل لمنعها من الوصول إلى أرض الحبشة، لكن ذلك
لم يحدث، فقد استمرت علاقتهم مع الحبشة وملكها منوطة بالاحترام
والتقدير، وازدهرت قبيل الإسلام .. وكان كثير من الصحابة رؤّادها في
الجاهلية. واستمرت علاقة رؤساء القبائل في وسط شبه الجزيرة، ببيوتات
إخوانهم من أهل اليمن، وطيدة، وليس أدل على ذلك من ذهاب وفود
العرب لتهنئة سيف بن ذي يزن بعودة الملك إليه، فقد خرج وفد قريش
وعلى رأسه عبد المطلب، ووفد من ثقيف، ووفد من عجز هوازن - وهم

(١) المعارف لابن قتيبة، ص ٦٣٧.

(٢) د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٧/٤.

(٣) د. صالح أحمد العلي، المصدر السابق ٢٦٠/١-٢٦١، ود. إبراهيم ييغون، المصدر السابق ص ٥٩.

بنو نصر، وجشم، وسعد بن بكر - ووفد من عدوان، وفهم، ووفد من الأزد، ووفد من غطفان، ووفد من تميم، ووفد من أسد، ووفد من قبائل قضاعة^(١) وغيرهم. وهذا دليل على حب قبائل وسط الجزيرة العربية لبيوتات اليمن وحكامها، ذلك الحب غير المشروب بالهيمنة والسيطرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض المؤرخين حين يحللون الوقائع التاريخية بحثاً عن أسبابها يرجعون المسببات فيها إلى أسبابها الطبيعية، أو المعلوم إلى علته العادية، دون النظر إلى خوارق العادات، وهم بذلك يقعون في خطأ لإغفالهم الجانب الأساسي في تسيير حركة الكون، فمدارك الإنسان مهما ارتقت قاصرة عن الفهم والإحاطة بكافة أسرارها، فهناك خوارق للعادات المألوفة لدى البشر، وهى أبعد من مدارك الإنسان، ويعجز العقل عن إيجاد تفسير لها، وعندئذ ينبغي عليه أن يردّها إلى القدرة والحكمة الإلهية التى تُسَيِّر الكون، لأنها من صنعه سبحانه وتعالى، وت فوق ما تعودده الناس وألفوه من تأثير الأسباب في مسباتها .. نقول ذلك لأن البعض قد ربط ما أصاب أبرهة بالطير الأبايل، بظهور وباء الحصبة والجُدري، وانتشاره في بعض البلدان: كييلوز عام ٥٤٤م، والقسطنطينية عام ٥٦٩م، وأن الحجارة الصغيرة التى حملتها الطير، كانت عبارة عن نوع من الطين المختلط بذرات رملية، حملتها الطير من منطقة مجذورة - أى

(١) الأزرقى ١/١٤٩.

مصابة بوباء الجدري - إلى مكان جيش أبرهة، ثم تساقطت عليهم تلك
الحجارة^(١).

وهذا القول في مضمونه يعنى أن ردّ أبرهة عن البيت، ومن ثمّ
هلاكه، ليس بمعجزة إلهية، وإنما بسبب طبيعى!!، وهو رأى لاقيمة له،
لكن خطره في نقله دون تحليله لبيان ضعفه ووهنه، ودعونا نتساءل: لماذا
طارت تلك الطيور المتكاثرة، وأقبلت من مسافات بعيدة، حاملة تلك
الخصاصة الملوثة بوباء الجدري، ولم تسقط من أرجلها إلا على أم رأس أبرهة
وجيشه؟! بينما أهل مكة جميعاً قد تركوا بيوتهم، وخرجوا في الشعاب
ورؤوس الجبال، ينظرون ماذا يفعل أبرهة بالبيت العتيق، وبلدهم الآمن
بأمان الله، منذ دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام^(٢)، ولماذا لم يضل أحد
هذه الطيور طريقه ويذهب إلى بعض أهل مكة - وهم على مقربة - فيرمى
عليه ما يحمله، فيصاب مثلما أصيب أبرهة وجيشه، ثم تنقل الأخبار
والروايات ذلك؟! بل لماذا ذهب أثر تلك الجرثومة من الخصاصة بمجرد
سقوطها، ولم يستمر عالقاً فيها إلى أن أقبلت قريش تتفقد المكان وتنظر
مخلفات المهزوم، فتصيب كل من وطعها بقدمه، ويتنشر الوباء فيهم؟! ..
لماذا .. ولماذا .. لاشك أنه رأى سقيم، ومثله من يبرر نجاة موسى عليه

(١) انظر د. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق ص ١٤٢، فيما نقله عن الأستاذ يوسف أحمد، في كتابه الحمل
والحج، المطبوع في القاهرة عام ١٩٣٧م.

(٢) وذلك في قوله تعالى: " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً " سورة إبراهيم، آية ٣٥.

السلام، وخروجه إلى الشاطئ المقابل، وهلاك فرعون، بعملية المد والجزر في البحار. وغير ذلك.

وأيا كان فإن تلك الحادثة قد زادت البيت هبة وإجلالاً في نفوس العرب، ورفعت من شأن قريش، حتى أطلق عليهم: أهل الله، وأهل حرم الله^(١) ولا ريب أن هذا كله كان تمهيداً وإرهاصاً لأن يُبعث النبي ﷺ، منهم فيجئ بالإسلام الذي أعز الله به العرب كافة وجعلهم إخوة متحايين.

ومن المناسب هنا الإشارة إلى معلومة تعتبر على جانب من الأهمية، ربما ترفع الإيهام أو الخطأ الذي يقع فيه البعض، وهي أن جسم الكعبة يتكون من أربعة جدران، وأربعة أركان، كل ركن يقع في جهة من الجهات الأربع - الشرق والغرب، والشمال والجنوب - ولها واجهة وهي التي بها باب الكعبة والملتزم، والمقابل لهذه الجهة يعتبر الخلف لها.

يقول الأزرقى نقلاً عن ابن اسحاق: إن الخليل إبراهيم - عليه السلام - لما بنى البيت جعل طوله في السماء (أي الارتفاع إلى أعلا) تسعة أذرع، وعرضه (أي البيت) اثنين وثلاثين ذراعاً، من الركن الأسود (الأسعد) إلى الركن الشامي، من وجهه^(٢) (أي من وجه البيت) ومن هذا يتضح أن للكعبة وجهاً، وهو الذي به بابها والملتزم وأمامه مقام إبراهيم،

(١) ابن الأثير ١/٤٥١، ٤٥٢، والأزرقى ١/١٥٢، والأوائل ١/٦١.

(٢) أخبار مكة ١/٦٤، وشفاء الغرام، للقاسي ١/١١١، وأيضاً: حسين عبد الله باسلامه، تاريخ الكعبة ص ٤١.

وما يقابله هو الخلف، ولها يمين: وهو الجدار فيما بين الحجر الأسعد حتى الركن اليماني، ولها شمال: وهو الجدار المقابل الملاصق لحجر اسماعيل، وهذا بالتقريب، لأن المقابل لليمن هو الركن اليماني، والمقابل للشام هو الركن الشامي.

وقد تعارف العرب قديماً، وربما منذ عهد الخليل ابراهيم - عليه السلام - على إطلاق اسم اليمن على كل مايقع جهة يمين الكعبة، والشام على كل مايقع جهة شمالها .. وذلك بدلاً من أن يقولوا يميناً وشمالاً، فكانوا يقولون: يَمَنًا وشَامًا.

يقول الأزرقى: لما انتهى ابراهيم - عليه السلام - من بناء الكعبة أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحج، فقال: يارب ما يبلغ صوتي؟ قال الله سبحانه: أذن وعلى البلاغ، فعلا المقام (أى مقام ابراهيم) وأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يمنا (أى جهة اليمن) وشاماً (أى جهة الشام) مؤذناً في الناس بالحج ..^(١) فكانوا يقولون لكل من اتجه جنوباً: ذهب إلى اليمن، حتى لو كان منتهى وجهته، وغاية ذهابه، هى أرض تهامة الحجاز، والسرارة، ونجران .. وكذلك الحال بالنسبة لمن اتجه شمالاً، وبهذا أيضاً يعلل بعض المؤرخين إطلاق اسم اليمن عليها، لكونها تقع يمين الكعبة^(٢) وشاع

^(١) أخبار مكة ٦٧/١.

^(٢) انظر مرصدا الاطلاع للبغدادى ١٤٨٣/٣، ولم يصب ياقوت الحموى في قوله إن الكعبة ليس لها يمين ولا يسار، انظر ٤٤٧/٥.

هذا التعارف بين المؤرخين في كتاباتهم من أن اليمن اسم جهة، حتى أنهم كانوا يطلقونه على أجزاء الأرض التي تقطنها القبيلة الواحدة، إذا ما تفرعت إلى فروع، وانحاز كل فرع بجهة من الأرض، فيقولون مثلاً: آل فلان تيامنوا، وآل فلان تشاءموا .. أى جهة اليمن، وجهة الشام، بدلاً من كلمتى: جنوب، وشمال. يقول الهمداني، عند وصفه بلد وادعة النجدية: ... ووادى عَرْد، ووادى نجران، فإلى جبل شوك .. والذي تشاءم في هذه البلاد، وخالط: شاكر الحناجر ..^(١) ويقول القزويني، عند حديثه عن تفرق الأزد عند انهيار سد مأرب: كانوا عشرة أبطن، ستة منهم تيامنوا .. وأربعة تشاءموا^(٢) بدلاً من أن يقول شمالاً وجنوباً ومعروف أن الذين تيامنوا لم يقيموا جميعهم بأرض اليمن، وإنما ذهب فريق إلى عمان، وأيضاً الذين تشاءموا لم يذهبوا إلى الشام جميعهم، وإنما منهم الأزد الذين أقاموا بالسراة، والأوس والخزرج الذين اختاروا يثرب، وطى الذين أقاموا بجبلى أجا وسلمى وغيرهم، ومما يؤيده ما قاله يهود يثرب لمحمد بن مسلمة قبيل البعثة، من أنه يبعث نبي من قبل اليمن^(٣) . فمن قبل اليمن، أى من جهة اليمن بالنسبة ليثرب، وأنه يأتى بالحقيقية، فمكة المكرمة التي بعث النبي ﷺ منها هي في جهة اليمن بالنسبة لأهل يثرب، ومن المؤكد أنه ليس

^(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٥٠، وانظر أيضاً اليمن الخضراء ص ١٧٥، فقد جاء فيه: .. يقال حولان الشام للاحتراز عن حولان التي تسكن الجنوب.

^(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤١، وأيضاً انظر مرصد الاطلاع للبغدادى ١٤٨٣/٣.

^(٣) انظر المغازى للواقدي، ٣٦٧/١.

مقصودهم حين قالوا ذلك لمحمد بن مسلمة، هو أن النبي المنتظر سيبعث من أرض اليمن نفسها.

من هذا يتضح المراد من قولهم: ذهب إلى اليمن، أنه ليس بالضرورة أن تكون قدماء وطئت أرض اليمن. وإنما اتجه صوبها فقط .. فإن رغبتا تحرى ذلك تتبعنا خطى الذهاب، فإن وجدناه دخل إحدى بلداتها، أو التقى بإحدى القبائل المتوطنة بها عرفنا أنه دخل أرضها ..

ومن الأسلوب الذى شاع استعماله بين العرب أنهم كانوا يطلقون عبارة "أهل اليمن"، أو اليمانية على القبائل التى تعود في نسبها إلى قحطان، بصرف النظر عن تواجدهم على أرض اليمن نفسها، أو غيرها من البقاع في شبه الجزيرة العربية، ومن يتتبع حركة الفتوحات الإسلامية يلحظ أن المؤرخين عند تدوينهم لها، يستعملون هذه العبارة لوجود قبائل من أهل اليمن في الشام، والعراق، وخراسان، ومصر وغيرها .. وقد جاء في عهد رسول الله ﷺ إلى صاحب أيلة - على حدود الشام - عندما قدم إلى الرسول ﷺ بتيوك، ليعلن إسلامه، فكتب له كتاب صلح جاء فيه: .. هذا أمان من الله ومحمد النبي رسول الله إلى يوحنا بن روبة، وأهل أيلة، أساقفتهم، وسائرهم .. ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن^(١)، أي القبائل المقيمة بتلك البلاد، والتي تعود في نسبها إلى قحطان .. وقحطان كانت مواطنهم الأصلية هي بلاد اليمن.

(١) المواهب اللدنية ١٥٢/٢.

كما نلاحظ أن البعض من أبناء عدنان كان يخاطب الأنصار - الأوس و الخزرج -: أنتم يا بني قيلة^(١) ، وليس ذلك من قبيل الاستهجان بهم، وإنما من قبيل التكريم ، وهذا لايعنى بالتأكيد إضافة البقاع التي انتقلوا إليها في هجراتهم المتتالية إلى أرضهم الأصلية، وهى اليمن .. بقدر ما فيه إشارة إلى الموطن الأصلي لهم ..

وعموماً فعلينا تتبع ما دوّنه قدامى المؤرخين المنصفين الذين نشطوا في تدوين تاريخ الإسلام منذ انبثاق فجره، بمنهج الإسناد عن الرواة، عند ذكرهم الأخبار، وبالأسلوب الذى شاع بين العرب، أو تعرفوا عليه، ثم نتبع جزئيات الحوادث، وحركة مسيرتها، بمعين النظر لتحليلها، وإدراجها في كليات، حتى لانفع في وهم نبى عليه نتائج خاطئة، أو نرسل القول بغير دليل.

وعلى كل فإن الملامح والشواهد في عصر ما قبل الإسلام تؤكد ارتباط قبائل المنطقة بمكة، وهو بالتأكيد ليس ارتباط سيطرة وهيمنة، وإنما ارتباط ولاء روحى ووجدانى للبيت العتيق، بالإضافة إلى المصالح المتبادلة في التجارة وغيرها. ولقد تأكد هذا الارتباط، في ظل الإسلام.

(١) قيلة - بفتح القاف وسكون الياء - هى أم الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة.

الباب الثالث

حالة شبه الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام

١- موقف القبائل العربية من الإسلام :

كان مجتمع وسط الجزيرة العربية - سواء أهل المدر أو الوبر - يسوده غالباً التشاحن والتنافر، والقتل والنهب، ويتزع إلى عدم الخضوع إلى أية سلطة مدنيه تكون قيداً على تصرفاته، فيما عدا سلطة ذوى المكانة والرئاسة فيهم من بنى أبيهم، بالإضافة إلى تفشى الوثنية فيه، وتساوت دواعى العصبية في الحق، وفي غيره، وتجمعت فيه محاسن الفضائل وأضدادها، ولعل أبلغ وصف لحالة العرب فى ذاك الوقت هو ما وصفهم به جعفر بن ابى طالب، حين طلب منه النجاشى ملك الحبشة، أن يحدثه عن الدين الذى فارقوا من أجله دين آبائهم واتبعوه، فقال جعفر - وقد أجمع على يصدقّه فيما ساءه وسره - : أيها الملك، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وألا نشرك به شيئاً، نخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وآداء الأمانه، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة، والصيام .. وعدد عليه

أمور الإسلام .. ثم قال: فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك^(١)

ومع أنه كانت هناك إرهابات توحى بقرب ظهور نبي، يعيد الناس إلى الحنيفية السمحة، دين الخليل إبراهيم - عليه السلام -، وكان أهل الكتاب فى ترقب لمبعثه، ويظنون كل الظن أنه منهم، فلما جاء من العرب حقدوا عليه وعليهم، وناصروه العدا، إلا قليلاً منهم، وكذلك كان شأن حكماء العرب الذين ضاقت صدورهم بالوثنية، ونفذت بصيرتهم إلى ما هو أسمى وأجل، كانوا يتطلعون إلى هاد يهدى الناس إلى عبادة الإله الحق، وذلك مثل ورقة بن نوفل ابن عم خديجه أم المؤمنين، وزيد بن عمرو بن نوفل، ابن عم عمر بن الخطاب، وأمية بن أبى الصلت، والبعض حرم على نفسه الخمر كعبد المطلب بن هاشم، وابنه أبى طالب^(٢) والوليد بن المغيرة، وقيس بن عاصم التميمي، وغيرهم، من ذوى النظرة الثاقبة.

وكان من المنتظر أن تكون قبيلة قريش أول القبائل إيماناً واتباعاً لما جاء به محمد ﷺ ولو بدافع العصبية التى استشرت فى نفوسهم، فجئحت بهم عن الحق أحياناً. لكنه دين بما يشتمل عليه من عقيدة، وعبادة،

(١) الكامل لابن الأثير ٨٠/٢، والطبري ٣٢٩/٢، والسيرة الحلبية ٣١/٢.

(٢) السيرة الحلبية ١٨٤/١، والأوائل لأبى هلال العسكري ٨٣/١، والجمهرة ص ١٥٠.

وتشريع يصلح للبشرية جمعاء لا مجال فيه للعصبية، والعاطفة، والقراية،
والرحم، إلا بحق .. ولذا خاطب الله نبيه بقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾^(٢) وتحدثت
فيه المسؤولية الفردية ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٣) كما تحدثت أيضا
المسؤولية الجماعية ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤)

وفى قول الرسول ﷺ : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته^(٥)

عادته قبيلة قريش بما لم تعاده قبيلة أخرى، ولا ريب أن هذا كان
لحكمة أرادها الله سبحانه، وربما يكون منها القضاء على العصبية
الجاهلية، التي تكون لغير الحق، فيما لو ناصرته قريش، مؤمنها ومشركها،
من البداية، فهل كان يصمد المشركون من قريش أمام العرب؟ فغالب
الظن أنهم كانوا لا يصمدون مهما تقاربت أواصر القرى، ولكن موقفهم
مثل المنافقين. أما المؤمنون منهم فقد أثبت التاريخ أنهم كانوا صادقين فى
إيمانهم، وفدوه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم، وتغير هنا عنصر الولاء إلى
ما هو أسمى وأجل.

(١) سورة القصص، آية : ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران، آية : ٢٠ .

(٣) سورة المدثر، آية : ٣٨ .

(٤) سورة آل عمران، آية : ١٠٣ .

(٥) رواه مسلم .

لما بُعث النبي ﷺ ، ظل ثلاث سنين يدعو سراً، ثم أمره الله بتبليغ الرسالة، والدعوة، بلا قتال^(١) فلما اشتد إيذاؤهم بضعفاء المسلمين جاءه جماعة من الصحابة، منهم: عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وعثمان بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص. فقالوا: يا رسول الله كنا في عزٍ ومنعةٍ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فأذن لنا يا رسول الله في قتالهم؟ فقال لهم: إنى لم أؤمر بقتالهم، كُفوا أيديكم عنهم، وأصبروا فسيجعل الله لكم مخرجاً^(٢) ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى قال لهم: تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم، قالوا: إلى أين؟ قال: لو خرجتم إلى الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه^(٣) فهاجروا إلى الحبشة مرتين.

وازداد سفهاء قريش في إيذاء الرسول ﷺ، ومن بقى بمكة من ضعفاء المسلمين، ودفعت الحمية بعض بنى هاشم ممن لم يسلموا للدفاع عن محمد ﷺ، حتى أن حمزة بن عبد المطلب كان سبب إسلامه أن أخذته الحمية عندما علم أن أبا جهل قد آذى محمداً في بعض المرات أذى شديداً، فأنطلق إليه مسرعاً، وراه جالساً بالمتندي مع بعض رؤساء قريش،

(١) نزل قول الله تعالى: "فاصدع بما تؤمر" لإظهار الدعوة، ثم نزل قوله سبحانه: "فأعرض عنهم" أى لا تقاتلهم إن آذوك أو قاتلوك، ومن معك .

(٢) السيرة الحلبية ٣٤٥/٢.

(٣) الكامل لابن الأثير، ٧٦/٢، والسيرة الحلبية، ٣/٢، والطبرى، ٣٢٨/٢.

فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِالْقَوْسِ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ مَعَهُ، فَشَجَّهُ شَجَّةً مَنكَرَةً، وَقَالَ
أَتَشْتَمُهُ، وَأَنَا عَلَى دِينِهِ، أَقُولُ مَا يَقُولُ، فَارْدَدَ عَلَى إِنْ اسْتَطَعْتَ !؟ .

وَقَامَتِ بَنُو مَخْزُومٍ تَنَاصَرُوا أَبَا جَهْلٍ عَلَى حِمْزَةٍ، لَكِنْ أَبَا جَهْلٍ - وَقَدْ
خَشِيَ مِنْ فِرْقَةِ حَزْبِهِ - قَالَ: دَعُوا أَبَا عِمَارَةَ فَإِنِّي قَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا
قَبِيحًا. ثُمَّ انْدَفَعَ حِمْزَةٌ إِلَى الرَّسُولِ فَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ^(١) وَظَلَّ بِجِوَارِ الرَّسُولِ
يَحْمِيهِ. وَقَطَاعَتُ قَرِيشَ بَنِي هَاشِمٍ، لَا يَبْعُرُونَهُمْ، وَلَا يَتَتَاعُونَ مِنْهُمْ، وَلَا
يَنْكَحُونَهُمْ وَلَا يَنْكَحُونَ مِنْهُمْ، وَكَانَتِ الْعِيرُ تَنْزِلُ مَكَّةَ بِالتَّجَارَةِ، فَيُخْرِجُ
أَحَدُ بَنِي هَاشِمٍ إِلَيْهَا، فَلَا يَبْعُرُونَهُ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِنْ بَاعُوا فَخَفِيَّةً وَزِيَادَةً
كَبِيرَةً فِي ثَمَنِ السَّلْعَةِ^(٢) ثُمَّ تَوَفَّى عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَقَبْلَهُ زَوْجَتَهُ خَدِيجَةَ، قَبْلَ
الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سَنِينَ^(٣) وَذَهَبَ إِلَى ثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ يَلْتَمِسُ مِنْهُمْ النُّصْرَةَ
لِتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ^(٤) وَكَانَ يَعْضِرُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ عَلَى
الْقَبَائِلِ، الَّتِي تَأْتِي مَكَّةَ لِلْحَجِّ، وَلِحُضُورِ عَكَازٍ. عَلَيْهِ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِيُبَلِّغَ
رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَاتَى أَحَدَ بَطْنِ كِنْدَةَ الَّتِي قَدِمَتْ إِلَى مَكَّةَ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ،
فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى نَصْرَتِهِ فَأَبَوْا، وَأَتَى إِلَى بَطْنٍ مِنْ بَنِي كَلْبٍ، يُقَالُ لَهُمْ
بَنُو عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مَا عَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِلَى بَطْنٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ
فَأَعْرَضُوا، وَإِلَى بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: " أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ تَابِعْنَاكَ،

(١) الكامل لابن الأثير، ٨٣/٢.

(٢) السيرة الحلبية ٢٥/٢، ٢٦، وابن الأثير ٨٧/٢ - ٩٠.

(٣) ابن الأثير ٩٠/٢.

(٤) ابن الأثير ٩١/٢.

فأظهرك الله على من خالفك ، أياكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: أفنَهْدِفُ نَحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟ لاحاجة لنا بأمرك^(١) وأتى بنى عبس، وبنى سليم وبنى مُحارب من فزارة، وبنى مرة، وعذرة، وقضاة، وغيرهم، فكان بعضهم يقول له: أهلك، وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، وقال له بطن من بنى شيان بن ثعلبة من بكر بن وائل، وكانوا يقيمون فى أرض السواد بالعراق، خاضعين للحيرة، نحن لانجبر على كسرى، ولكن نأخذك لتظلل فى بلاد العرب بالقرب من سواد العراق، وننصررك مما يلى مياه وأرض العرب، دون مياه كسرى، فنحن لانجبر عليه.^(٢)

ويسدو أنه كان للعرب قاعدة متبعة فى عملية الجوار، فليس كل القبائل يجبر بعضها على بعض، وإذا دخلت قبيلة أو عشيرة فى أرض قبيلة أخرى وحالفتها، فإن الحليفة لاتجبر على مخالفتها، لأنها تعتبر دخيلة فلا تكف يد الأصيلية، ولذا نلاحظ أن بنى شيان شرطوا فى حمايتهم له ﷺ، أنهم لايجبرون على كسرى فى الأرض الى يهيمن عليها، وتخضع لنفوذه، وهى سواد العراق، أما ما عداها من بلاد العرب فهم يجبرونه ويحمونه من أيّ من القبائل العربية. وفى هذا أيضا تأكيد لما سبق أن قلناه إن أرض العرب، وبالأخص وسط شبه الجزيرة لم تخضع لسلطة أيّ من تلك الممالك أو غيرها.

(١) ابن الأثير، ٩٣/٢.

(٢) السيرة الحلبية ١٥٤/٢، ١٧٥.

ومما يؤكد قاعدة الجوار هذه أن الرسول ﷺ عندما كان فى الطائف وأراد العودة إلى مكة بعث إلى سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وهو قرشى ذو مكانة وثراء بمكة، أن يجيره حين دخوله مكة، فأجابته: إن بنى عامر - عشيرة سهيل - لا تجير على بنى كعب. وكانت بنو كعب لها بطون عديدة، منهم بنو عدى رهط عمر بن الخطاب، فبعث الرسول ﷺ إلى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، فأجاره.^(١)

ولما أراد الله إظهار دينه، وانجاز وعده، خرج النبى ﷺ فى موسم الحج كعادته، يعرض دعوته ونفسه على وفود القبائل، فلقى رهطاً من الخزرج، فعرض عليهم الدعوة، فقال بعضهم لبعض: هذا والله النبى الذى تتحدث عنه اليهود. فأمنوا وصدقوا، وعادوا إلى يثرب يبشرون به، حتى فشا الإسلام فيها، فلما كان الموسم التالى قدم وفد أكبر، وجلسوا إليه وآمنوا، وعاهدوه على نصرته ومآزرته، واستأذنه ضعفاء المسلمين فى الهجرة إلى يثرب، فمكث أياماً لا يأذن لهم، ثم قال لهم: لقد أريت دار هجرتكم، أريت أرضاً سبخة ذات نخل بين لابتين - أى حرتان - ولو كانت السراة - جبال السراة - أرض نخل وسبخة لقلت هى، هى .. ثم قال لهم فى اليوم التالى: أخبرت بدار هجرتكم، إنها يثرب، من أراد أن

(١) السيرة الحلبية ٦٢/٢، والجمهرة، ص ١١٥.

يخرج فليخرج إرسالاً .. — اى متابعين^(١) — ثم تابعهم الرسول ﷺ مهاجراً إليها، بعد حوالى ثلاثة أشهر من بيعة العقبة الثانية مع الانصار^(٢).

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الدعوة فقد آزرتهما القوة ممثلة فى فريضة الجهاد، لأعلاء كلمة الله. وإنصاف المقهورين، الذين اضهدوا، وعُذِّبُوا وسُلبت منهم أموالهم، وأخرجوا من ديارهم بغير ذنب اقترفوه إلا أن قالوا ربنا الله. ولو استطردنا فى الحديث عن الذين عُذِّبُوا حتى ارتدوا، والذين ماتوا خلال التعذيب، والذين فُرقَ بينهم وبين زوجاتهم إبان الهجرة، والذين أُعيلوا بعد الهجرة مكبلين بالأغلال، لطال بنا الحديث .. لكننا نود أن نؤكد على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يشيع خصومه عنه تلك المقولة الباطلة، فلقد أقام الرسول ﷺ يدعو أهل مكة، ومن يفد إليها من قبائل العرب ثلاث عشرة سنة^(٣) وأزر السيفُ الدعوة عشر سنين، بل كانت الدعوة سابقة له فى كل المواطن الى استل فيها من غمده، وكتب التاريخ شاهدة بما تحمله من وصايا الرسول ﷺ لأمراء الجيوش والسرايا .

(١) ابن الأثير ، ٩٥/٢ ، والسيرة الحلبية ، ١٨٠/٢ .

(٢) السيرة الحلبية ، ١٨٨/٢ ، وفى شفاء الغرام ٣٢٩/٢ ، نقلاً عن صحيح البخارى من حديث أبى موسى الاشعري " عن النبي قال : رأيت فى المنام أنى مهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهى أنها البصرة ، أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب .. " .

(٣) ابن الأثير ، ١٠٨/٢ ، والسيرة الحلبية ، ١٥٣/٢ .

وعلى كل فإن الدعوة الإسلامية فى مرحلة ما قبل الهجرة أخذت تنمو نموها الطبيعى رغم المعاناة التى لقيها الرسول ﷺ، وما نزل بأصحابه من سفهاء قريش، ليكون ذلك قدوة للمصلحين فى كل عصر.

أما الهجرة نفسها فكانت بداية الانتصارات التى حققها الله للمسلمين، حيث باءت مؤامرة المشركين، وتدبيرهم قتل الرسول ﷺ ليلة الهجرة بالفشل، وأصبحت يثرب أول عاصمة للدولة الإسلامية، ونزل القرآن الكريم يُبَكِّت أهل مكة إخراجهم الرسول، وعدم موازرتة: ﴿الْإِنْتَصَرُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾^(١) وقال الرسول ﷺ، " لما خرج من مكة أما والله إني لأخرج منك، وإننى أعلم أنك أحب البلاد إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت "^(٢) ولما قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا قادرين على الانتصار ممن ظلمهم، أذن الله لهم بامتشاق الحسام، دفاعاً عن النفس، وإعلاء كلمة الله، وتأمين الدعوة: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾^(٣) ومن ثم كانت المواجهات مع قريش ومن والاهما، أو تحزب معها، وحمى وطيس القتال فى كثير من المواطن، وأصبح لاهم لقريش، ولاشاغل لها إلا القضاء على الدعوة. حتى قال الرسول ﷺ، حين أراد أداء العمرة فى السنة السادسة من الهجرة، ومنعته قريش من دخول مكة: يا ويح قريش قد

(١) سورة التوبة، آية ٤٠.

(٢) روى الحديث بعدة أسانيد فى كتب السنة، انظر أخبار مكة للأزرقي، ١٥٣/٢.

(٣) سورة الحج، آية ٣٩.

أكلتهم الحرب! ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان الذي أراحوا، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرغين. (١)

وعلى ضوء سير الأحداث فيما بعد الهجرة نلاحظ أن موطن بعض القبائل على خريطة الواقع كانت بالصورة التالية تقريباً، وبخاصة مكة وما حولها التي تعتبر منطقة دراستنا امتداداً لها:

قبيلة قريش (٢) بكافة بطونها تقيم بمكة، فيما عدا فرع من بني مخزوم كان يقيم في تهامة جنوب الطائف، وفرع آخر يقيم ناحية بيشة وتبالة (٣) وكان يقيم بمكة وأحوازها بطون من خزاعة وكنانة، كما كانت جُلّ بطون كنانة، وكذا بطون خزاعة تتوزع على الساحل ابتداء من جنوب ينبع ورضوى، ثم امتداداً إلى الجنوب بتهامة الحجاز حتى أم جحدم (٤) وقد أسلمت بطون من كنانة وخزاعة قبل فتح مكة، ومعظم الذين لم يسلموا منهما قبل الفتح كانوا يميلون للرسول ﷺ، ويتعاطفون مع المسلمين، ولذا عندما اجتمعت قريش في دار الندوة (٥) ليتشاوروا في

(١) ابن الأثير، ٢/٢٠٠.

(٢) كل من كان من ولد فهر (وهو قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة من مضر، فهو قرشي، وأما ما تفرع من أولاد أخوة فهر، أو أبناء عمومته وأجداده فليسوا من قريش، وإنما من كنانة. انظر الجهمرة ص ١٢، ١٨٠ وقيل غير ذلك.

(٣) صفة جزيرة العرب للهمداني، ص ٢٥٣، ٢٥٨.

(٤) انظر الهمداني، ص ٥٨، ٦٥، ١٣٠، و السيرة الحلبية، ٢/٥٥٣.

(٥) دار الندوة كان قد بناها قصي بن كلاب، الجذ الأعلى للرسول ﷺ، لتجتمع فيها قريش للمشورة في كل أمر ذي شأن.

أمر محمد ﷺ، ليلة الهجرة، قالوا: لا يدخلن أحد معكم فى المشورة من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد^(١) وعند عقد صلح الحديبية فى العام السادس من الهجرة، دخلت خزاعة مع رسول الله ﷺ فى الحلف، ودخلت بنو بكر بن عبد مناة من كنانة مع قريش - فقريش فرع من كنانة -، وهذان البطنان من خزاعة وكنانة كانا يقيمان فى مكة وأحوزاهما، وكانت بينهما عداوة قديمة، ثم ما لبثت بنو بكر أن عدت على خزاعة، وقامت قريش بمساعدة بنى بكر سرّاً، فكان ذلك نقضاً منهما للعهد، وسبباً فى فتح مكة عام ٨ هـ، حيث خرج سالم بن عمرو الخزاعى إلى المدينة مستنجداً بالرسول ﷺ، ووقف أمامه وهو جالس بالمسجد، قائلاً:

يارب إننى ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتليدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم يبتوتنا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعاً وشجداً ^(٢)

فقال النبى ﷺ: نُصِرْتُ يا عمرو بن سالم، واطلع عمرو بن سالم الرسول ﷺ على تفاصيل ما حدث، كما أطلعه أيضاً على عقد الحلف

(١) السيرة الحلبية، ١٨٩/٢، ٧٠٠.

(٢) رويت هذه الأبيات فى بعض المصادر فيها زيادات، و نقص، أنظر السيرة الحلبية ٥/٢، وابن الأثير ٢/٢٤٠، و البداية و النهاية لابن كثير ٣١٠/٤.

السابق الذى كانت خزاعة قد عقدته مع جده عبد المطلب بن هاشم. فطلب منه الرسول ﷺ أن يعود إلى مكة، ويخفى أنه أتى إلى المدينة، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها^(١) وكان من كنانة من تزعم الأحابيش^(٢) وهى مجموعة قبائل متفرقة، تحالفت مع قريش، كما كان من بطون كنانة التى أسلمت مبكراً بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة، منهم بطن غفار رهط أبى ذر الغفارى، الذى قدم مكة قبل الهجرة فأسلم، ثم رجع إلى قومه وأخذ يدعو للإسلام فأسلم على يديه بعض قومه، وعندما بلغهم هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة أنطلقوا إليه، واسلمت عشيرتهم، وكانت مواطنهم بين رضى وينبع، مجاورين لقبيلة جهينة فى مواطنها ينبع ورايح.

ومن القبائل التى تقطن مواطن تعتبر منطقتنا - المعنية بهذه الدراسة - امتداداً طبيعياً لها، قبيلة هوازن، وهى بطون عديدة، منها ثقيف والأحلاف أهل الطائف، ومنهم سعد بن بكر، الذين استرضع فيهم النبى ﷺ، وكانوا ببادية الطائف، ومنهم بنو نصر بن معاوية عشيرة مالك بن عوف النصرى، قائد هوازن يوم حنين، وبنو جشم رهط ذريد بن الصمة،

(١) السيرة الحلبية، ١٠/٢، وتاريخ ابن خلدون، ٤١/٢، وابن الأثير، ٢٣٩/٢، والبداية والنهاية ٣٧٨/٤.

(٢) بعض المؤرخين الحديثين. فهم خطأ أنها الحالية كانت تقيم بمكة، استدلالاً على ذلك من اسمها، بينما الاسم اطلق عليها لكونها تعاقدت يوماً بجوار جبل بمكة يقال له: حباشة، وقيل: من التحيش أى التحميم، وهى بطون من كنانة، وهذيل، وهوازن وغيرها. أنظر الأزرقى ١١٥/١، والجمهرة، ص ١٨٨، والسيرة الحلبية، ٤٨٩/٢، ٦٩٥.

الشاعر الفارس المشهور، ومنهم عثمان بن أبي العاص، الذي ولاه الرسول ﷺ إمارة الطائف، وكانت له جهود ومشاركات في فتوح فارس، وإليه ينسب شط عثمان بالبصرة، وكانت أمه صفية بنت أمية بن عبد شمس، ومنهم بنو عامر بن صعصعة أحد أفخاذها بنو هلال بن عامر، الذين منهم أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، التي يقال لها أم المساكين، وأختها لأُمها أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، التي تزوجها الرسول ﷺ، بعد وفاة أختها زينب، كما كانت منهم لبابة الكبرى، أم خالد بن الوليد، وأختها لأبيها لبابة الصغرى أم الفضل بن العباس بن عبد المطلب وإخوته، فهما ابنتا الحارث بن حزن بن بجير، وهما أيضاً أختان من الأب لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وكانت عمتهم صفية بنت حزن هي أم أبي سفيان ابن حرب^(١) وغير هؤلاء من بطون هوازن العديدة، وقد توطنوا الطائف وأحوازها، وبعض براديهها، وبادية مكة، وأمتدت مواطنهم حتى تربة شرقاً، وجنوباً بالقرب من جرش، وجاوروا بطون الأزد، وخثعم، وغامد وبارق، وزهران^(٢) وقد أوردت كتب السير والمغازي أن عمر بن الخطاب قاد سرية في السنة السابعة الهجرية إلى عجز هوازم في تربة^(٣) غير أن تلك المنطقة لم تكن وقفاً على بطون هوازن، إنما تخللتها بطون من قريش، وعنز والأزد وغيرهم^(٤) وكانت منازل هذيل فيما حول مكة، جهة يلملم وبتن

(١) أنظر فيما سبق: الجمهورية ص ٢٧٢-٢٧٤، و السيرة الحلبية ٤٠٩/٣، والطبري ١٦٧/٣، ١٦٨.

(٢) الحمداي، ص ٢٥٨ - ٢٦٢، و السيرة الحلبية ١٤٦/١، و معجم ما أستعجم ٨٧/١.

(٣) الطبري، ٢١/٣، ١٥٤، وابن الأثير، ٢٢٦/٢، والمغازي للواقدي، ص ٧٢٢، والسيرة الحلبية ١٩١/٣.

(٤) الحمداي، ص ١٤٨، ٢٥٣، ٣٥٥.

عرنة، وعرفة، ونخلة، وأوطاس، وجبلي غزوان، ويسوم، أعلى جبل شاهق متصل بالطائف وتسكنه القردة في أعاليه^(١)، وقديماً نظّر أعرابي فرأى القردة في علو بعيد منه، تقذف نفسها هنا وهناك، فقال متعجباً: الله أعلم من حطها جبل يسوم^(٢)! وتعجبه جاء من كيفية إرتقائها هذا الجبل الشامخ، تُرى إلى أي مدى يبلغ عجب هذا الاعرابي، لو عرف أن هذا الجبل أصبح ممهداً بقوة عزيمة الرجال في عصرنا الحاضر، حتى إرتقته السيارات!؟ ونستطرد بعد ذلك إلى موقف قبائل المنطقة المعنية بالدراسة من الإسلام.

٢- موقف قبائل المنطقة من الإسلام :

سبق أن تناولنا في صدر هذا البحث^(٣) بالسرد معظم قبائل منطقتنا (جازان وعسير ونجران) على وجه التقريب، وإنما قلنا على وجهه التقريب لعدة اعتبارات، منها أن منطقتنا في الوقت المتقدم تاريخياً - والذي نحن بصدد ذكر وقائعه وأحداثه - لم تكن فيه محدة إدارياً كما هو شأنها في الوقت الحاضر، فبطون القبائل المذكورة قد تتوزع فيها ثم تمتد إلى ما جاورها من أراضٍ، وهذا يعنى أن التداخلات في مواطن القبائل في ذاك

(١) يبدو أنه جبل الهدى حالياً، الذي مازالت به القردة، وتم التغلب على علوه الشاهق.

(٢) الجمهرة ص ١٩٦ - ١٩٨، و الحمداني، ص ٣٢٣ و أسماء جبال تهامة لعرام، ص ٤٣٠ وآثار البلاد للقرطبي، ص ٨٩.

(٣) أنظر ص ٣٤-٤٦ من هذا البحث .

الوقت أمر وارد، ومنها أنه حدثت تداخلات فى مواطن بعض القبائل ببلاد العرب بصفة عامة إبان الفتوحات الإسلامية، ونزحت بطون عديدة إلى البلدان المفتوحة ثم استقروا فيها. وحين نزوحهم شغرت مواطنهم فى بلاد العرب، فشغلتها بطون أخرى من بنى أبيهم، أو من غيرهم، لذا فإن الفترة التى نحن بصدد ذكر وقائعها، أعقبها نزوح وهجرات، واستيطان، ومن المجازفة أن يقال إن كل القبائل ظلت فى موطنها منذ ذلك التاريخ حتى الآن، وعلى نفس مساحة الأرض التى كانت تشغلها فى ذاك الوقت، بالإضافة إلى أن مساحات شاسعة من الصحارى والريديان لم يكن يسكنها أحد، وهى أرض موات من أحيائها تملكها.

لكن الحقيقة المؤكدة أن الأرض نفسها ثابتة لاتنزع ولاترح، ومستقرة فى موضعها تدور مع الكرة الأرضية، حيث دارت، وهى راسخة فى مكانها بجبالها، وسهولها، ووديانها، ومياهها وغير ذلك من معالم الطبيعة، والتغير إن حدث إنما يأتى من قاطنيها، وإلا فأين هم العرب البائدة، أول من قطنها؟

كما سبق أن أشرنا إلى أن قبائل المنطقة المعنية بالدراسة، وإن كانوا مستقلين إداريا فى تصريف شعورهم على مواطن إقامتهم، وغير خاضعين لأية هيمنة، شأنهم فى ذلك شأن كافة قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، إلا أنهم كانوا يرتبطون وجدانياً بمكة المكرمة، لكونها شُرُفت بوجود البيت العتيق فيها، والذى يعظمه العرب على كافة نخلهم، ويأتونه فى المرسوم كل عام للحج، فقد كان الحج من بقايا ملة إبراهيم — عليه

السلام - (١) وقد حافظ العرب على أدائه بشعائر ومناسك معينة حتى جاء الإسلام، واحتلت الكعبة مكانة رفيعة من نفوسهم، وليس أدل على ذلك من تصدى أحد زعماء القبائل - كما سبق أن قلنا - وهو نفيل بن حبيب الخثعمي، لأبرهة الأشرم، حين مروره في طريقه إلى مكة فقاد جموعاً من بطون شهران، وناهس، والأزد، وغيرهم، وقاتل أبرهة بالقرب من تبالة (٢) كما كانت قبائل المنطقة تكن لقريش الود، لأنهم أهل الله، وخدمته بيته، ويستنكفون أن يصدر منهم ما يُشين، ولهذا عقدت قريش حلف الفضول، لنصرة المظلوم، ومنع المظالم في الحرم، وذلك عندما أتى رجل من زييد، وظلمه العاص بن وائل السهمي، في سلعة باعها منه، فقاموا مع الزبيدي حتى نال حقه، وقدم آخر من قبيلة بارق، وثالث من خثعم، فظُلما في الحرم، فقام أهل حلف الفضول معهما حتى استردا حقهما (٣) وتمثل حسن العلاقات فيما بين قبائل المنطقة وقريش في تسهيلات مرور قوافل التجارة القرشية بأرض قبائل المنطقة، وتداول السلع فيما بينهم، وقيام بعض أهل المنطقة كمندوبين لها في التجارة، بمدن ييشة، وجرش، ونجران (٤).

(١) السيرة الحلبية، ٤٧٩/٢.

(٢) سبق أن تعرضنا لذلك، انظر صفحة ٨٠ وما بعدها من هذا البحث، وانظر أيضاً الأزرقى ١٤٢/١، والطبري،

١٣١/٢، وابن الأثير ٤١/٢.

(٣) انظر أنساب الأشراف للبلاذري، ص ١٢، ١٣، و السيرة الحلبية ٣١٥/١.

(٤) دكتور. السيد عبد العزيز سالم المصدر السابق ص ٣٠٥.

كما كان الإقدام على المصاهرات والزواج له أثره البالغ فى توطيد العلاقات، فعصية النسب بالمصاهرة لاتقل شأناً فى معظم الأحوال عن عصية الدم، فنلاحظ أن قبائل المنطقة قد وقع بينها وبين قريش مصاهرات من قديم. فقد ذكر المؤرخون أن إحدى الفواطم والعواتك اللاتى ولدن الرسول ﷺ كانت من الأزد، فأُم قصى بن كلاب الجد الأعلى للرسول ﷺ هي فاطمة بنت سعد بن سيل من آزد شنوءة^(١) وأيضاً: فإن عاتكة أم النضر بن كنانة، هي عاتكة بنت مر من الأزد، وكانت أمها أيضاً اسمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث^(٢) وتزوج سعد العشيرة من أسماء بنت أبى بكر بن مناة بن كنانة من مضر، وكان له منها، ومن غيرها، عشرة أبناء أكبرهم الحكم الذى به كان يكنى، وكان قد ذهب بهم إلى الحج فسألوه من هؤلاء؟ قال: هم عشيرتى، فسمى سعد العشيرة^(٣) وكان موطنه مع أخيه مراد (يحابر) بتهامة اليمن، فلما تكاثروا نزح منهم من نزح إلى أرض تهامة الحجاز، ببحوار أخوالهم من كنانة، وكان منهم فيما بعد آل الحكم ابن سعد العشيرة، الذين حكموا منطقة جازان فى بعض الفترات التاريخية اللاحقة، وتزوج أحد أبنائهم وهو: عبد الله بن سعد بن جابر بن عمير الحكمى، من آمنة بنت عفان أخت الخليفة عثمان بن عفان^(٤) وتزوج أبو أزيهر الدوسى، من قبيلة دوس رهط أبى هريرة، من أخت هشام بن المغيرة

(١) ابن الأثير، ٣٤/٢، و البدء و التاريخ، ٥/٥، و الأزرقى، ١٠٤/١.

(٢) ابن الأثير، ٣٥/٢.

(٣) الجمهرة، ص ٤٠٧، و البدء و التاريخ للمقدسى، ١٢٠/٤.

(٤) الجمهرة، ص ٤٠٩.

المخزومي، القرشي، كما تزوج عثمان بن عفان أم عمر بنت حنبل بن عمرو الدوسي^(١) وتزوج عبد الله بن الحارث بن سبخرة بن نصر من زهران من أم رومان بنت عامر بن عمير من كنانة، فولدت له: الطفيل بن عبد الله، ثم خلفه عليها، أبو بكر الصديق، فولدت له أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وأخاها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فالطفيل أخوهما من الأم وكان أسن منهما^(٢). وكانت خثعم بنى عمومة بجيلة، لها بطون عديدة منها شهران الذين منهم بنو عُميس عشيرة أسماء بنت عُميس زوجة جعفر بن أبي طالب وأم أبنائه، وأختها سلمى بنت عُميس زوج حمزة بن عبد المطلب، وأم ابنته الوحيدة أمامة^(٣) وغير ذلك من زيجات ومصاهرات أضفت جواً من الود وأسهمت في توطيد العلاقات بين قبائل المنطقة وأهل مكة، وأشاعت الأمان إلى حد ما، فأصبحوا ينتقلون من مكان إلى آخر دون خفارة لتجارتهن، ويرتادون الأسواق التي كانت تقام في غير الأشهر الحرم^(٤) دون خوف، فمثلاً كانت توجد سوق حُباشة بتهامة لقبائل الأزدي وبارق ودوس وغيرها من القبائل، وتقام فيما بين وادي حليٍّ ومخايل، على مسافة ست ليالٍ من مكة، وتقام في غير الأشهر الحرم وهي آخر سوق خُرَيْت من أسواق الجاهلية، وكان ذلك في عهد الدولة العباسية فقد كان ولاية مكة بعد الإسلام يرسلون إليها والياً معه الحراس للحفاظ على الأمن

(١) الجمهرة ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) الجمهرة، ص ١٣٧، ٣٨٣.

(٣) الجمهرة، ص ٣٩١، والطبقات لابن خياط، ص ٨.

(٤) الأزرقي، ١٩١/١.

فيها، وفي الطريق المؤدية إليها ، فلما كانت ولاية داوود بن عيسى بن موسى لمكة عام ١٩٧هـ، بعث والياً إليها ومعه بعض الجند، فقتلت الأزد وإلى السوق من قبل داوود أمير مكة، فأشار عليه فقهاء مكة في ذلك الوقت بتخريبها وإغلاقها. (١)

وكان النبي ﷺ يعمل بالتجارة قبل البعثة، وكان شريكاً في التجارة لقيس بن السائب، وقيل: لأبيه السائب بن يزيد بن أبي السائب الصيفي، ولذا لما قدم عليه السائب يوم فتح مكة، قال له النبي ﷺ: مرحباً بأخي وشريكي، كان لا يدارى ولا يمارى (أى لا يماطل أو يخاصم شريكه، فى بيعه وشرائه) وقيل إن حكيم بن حزام اشترى وقتها من الرسول ﷺ، بزاً من بزّ تهامة، كان قد اشتراه الرسول من سوق حُباشة وقدم به إلى مكة، فلما رآته خديجة عند ابن عمها حكيم بن حزام - ولم يكن الرسول قد تزوجها بعدُ - أرسلت خادمها ميسرة إلى الرسول فذهب معه إلى سوق حُباشة واشترى لها بزّاً، وحمله إليها ميسرة (٢) وعرفت فيه الأمانة يومها، فعرض عليه الذهاب بتجارتهما إلى الشام، والتي صحبه فيها أيضاً ميسرة، ثم تزوجها الرسول ﷺ بعد عودته من تجارة الشام بفترة قليلة. (٣)

(١) الأزرقي ، ١٩٢/١ .

(٢) السيرة الحلبية ، ٢٢٢/١ ، ٢٢٣ ، ومعجم البلدان ، ٢١٠/٢ .

(٣) السيرة الحلبية ، ٢٢٨/١ .

ونلاحظ أن بعض الأفراد قدموا مكة عندما علموا بمبعث الرسول ﷺ وأسلموا وعادوا إلى مواطنهم، بعد أن طلب منهم الرسول العودة خوفاً عليهم من أذى قريش، وذلك قبل الهجرة، على أن يوافوه بالمكان الذى يهاجر إليه عند سماعهم به^(١) من هؤلاء: سواد بن قارب الدوسى، كان يتكهن فى الجاهلية، فأتاه رؤيته من الجن وأخبره بمبعث الرسول ﷺ، فقدم مكة قبل الهجرة، وأسلم، ثم أخبره النبى بما سمعه من رثيه، فسُرَّ به النبى ﷺ وقال له: أفلحت ياسواد^(٢) وقدم ضماد الأزدي وقيل خالد بن ضماد الأزدي^(٣)، من أزد شنوءة - وكان يُرقى من مس الجن - عندما بلغه قول سفهاء قريش: إن محمداً مسه الجن، فقدم مكة قبل الهجرة وجلس إلى الرسول ﷺ، وقال: يا محمد إنى أرقى من الريح (أى الجن) وإن الله يشفى على يديّ من شاء، فهل لك؟. فقال له الرسول ﷺ: "إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أنزل عليه قرآنا هدى للمتقين." فقال ضماد: أعد على كلماتك هذه، فأعادها الرسول ثلاث مرات، فقال ضماد: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هذه، هات يدك أبايك على الإسلام، فبايعه الرسول وقال له: وعلى قومك يا ضماد، قال: وعلى

(١) وكان من الذين قدموا مكة قبل الهجرة وأسلموا، وطلب منهم الرسول العودة إلى موطنه، أبو ذر الغفاري،

أنظر السيرة الحلبية ٤٥١/١ .

(٢) السيرة الحلبية، ٣٢٢/١ .

(٣) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، للدكتور / محمد حميد الله، ص ١٩٥ .

قومى يارسول الله^(١) ثم انفلت قائما فتعرض له أبوجهل، فمنعه بعض رؤساء قريش قائلين له: أتريد هلاكنا، إن قومه تمر بأرضهم تجارتنا.

وقدم مكة الطفيل بن عمرو الدوسى، وكان شريفاً فى قومه دوس، فمشى إليه رجال من قريش يحذرونه من الجلوس إلى محمد، أو سماع ما يقول، وأكثروا عليه فى النصح لأنهم خشوا إن اتبعه مثل هذا بما له من رئاسة فى عشيرته، يتبعه الكافة منهم، يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ثم غلوت إلى الكعبة، فوجدت الرسول قائماً يصلى، فسمعت منه كلاماً حسناً، فقلت فى نفسى: ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى من سماع ما يقوله، فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته، وتبعته، وسمعت منه القرآن، بعد أن أخبرته خير قومه معى، فما سمعت قط خيراً من ذلك. فاسلمت، ثم قلت: يارسول الله إنى امرؤ مطاع فى قومى، وأنا راجع إليهم أدعوهم إلى الإسلام، فادع الله أن يكون لى عوناً، فقال: اللهم أجعل له آية، فخرجت حتى إذا كنت فى ثنية فى ليلة كانت مظلمة خرج نور من بين عينى مثل المصباح، فقلت: اللهم فى غير وجهى، فلانى أخشى أن يظنوا أنها مثلة، فتحول النور من رأسى إلى سوطى، فجعل الناس يتراوون ذلك النور كأنه قنديل معلق فى سوطى، وعُرف الطفيل

(١) السيرة الحلبية ، ٣٩/٢ .

بذى النور^(١)، ولما عاد الطفيل إلى أرض قومه دوس، جعل يدعو قومه إلى الإسلام، ولما بلغهم هجرة الرسول إلى المدينة قدم وفد دوس من ثمانين رجلاً مسلماً يقودهم الطفيل، ومنهم أبوهريرة^(٢) وتوافق وصولهم المدينة مع وصول وفد الأشعريين، وفيهم أبو موسى الأشعري، قادمين عن طريق الحبشة مع جعفر بن أبي طالب، ومن معه من مهاجري الحبشة، فوافوا المدينة والرسول يحاصر خيبر سنة ٧ هـ، فبيتوا ليلتهم بالمدينة، ثم انطلقوا جميعاً منها بعد صلاة الفجر إلى خيبر، فسر الرسول ﷺ بقدمهم واشركهم فى غنائم خيبر، وقال: والله ما أدرى بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر، أم بقدم جعفر؟^(٣)

ولما أراد الرسول ﷺ، المسير إلى الطائف بعد حنين وفتح مكة، بعث الطفيل بن عمرو الدوسى إلى هدم صنم ذى الكفين ببلاد دوس^(٤) وأن يأتى بمن أسلم من قومه، ويوافيه بالطائف، فانطلق مسرعاً، فهدم الصنم، ثم قدم ومعه أربعمئة من رجالات قومه، وبعض مسلمى القبائل المجاورة، ووافى رسول الله ﷺ بعد مقدمه بمواقعه بالطائف بأربعة أيام،

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧٨/٥ والمواهب اللدنية ، ١٩٢/٢ - ١٩٥ ، وقيل إن الذي أضاء له عصاته هو :

عباد بن بشر الأشهلي ، وفي حديث رواه البخاري ، وقيل هو : أسيد بن حضير الأنصاري

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢٩٩/١ ، ويجوز أن يكون قد وقع ذلك لهم جميعاً .

(٢) السيرة الحلبية ، ٦٩/٢ ، ٧٥٨ ، والجمهرة ص ٣٨٢ ، ٩٢٧ ، والمغازي للواقدي ص ٦٨٣

(٣) السيرة الحلبية ٧٥٥/٢ - ٧٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ٧٩/٥ .

(٤) أورد الأستاذ رشدي صالح ملخص ، محقق كتاب أخبار مكة للأزرقي ، تعليقات مفيدة عن صنمي ، ذي

الخلصة ، و ذي كفين ، بما لا مزيد عليه هنا ، أنظر : ٣٧٤/١ - ٣٧٩ ، والمغازي ص ٨٧٠ .

فلما رآهم الرسول ﷺ، سُرَّ، وقال: يامعشر الأزد من يحمل رايتكم، فقال
الطفيل ومن معه: من كان يحملها فى الجاهلية وهو النعمان بن الزرّافة
اللّهى، فقال النبى ﷺ: أصبتم، وحملها النعمان يوم الطائف.^(١)

وقدم الطفيل ومعه دبابة ومنجنيق، ونصبت يوم الطائف، وقيل إن
الذى قدم بها يزيد بن زمعة، ويقال خالد بن سعيد بن العاص، قدم بها
من جرش، ويقال إن الذى صنعها ونصبها يوم الطائف هو سلمان
الفارسى كما وفد على الرسول ﷺ سعد بن مالك الأزدي، وعقد له
الرسول راية على قومه، استمرت معه حتى شهد بها فتح مصر مع عمر
ابن العاص^(٢)، وقدم المدينة فى السنة العاشرة جرير بن عبد الله البجلي،
وكان الرسول ﷺ، قال لأصحابه: يطلع عليكم من هذا الفجّ (أى هذه
الناحية مشيراً بيده) من خير ذى يمن (أى من خير قبائل جهة اليمن)^(٣)،
على وجهه مسحةٌ مُلْك، فطلع جرير، على راحته، ومعه مائة وخمسون
من قومه، فنزلوا، فأسلموا وبايعوا، يقول جرير: فبسط الرسول ﷺ يده،
فبايعنى، وقال: على أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، وتقيم
الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتنصح المسلم، وتطيع الوالى وإن
كان عبداً حبشياً. قلت: نعم، فبايعنى، ثم جعل الرسول ﷺ يسأله عما

(١) الجمهرة ص ٣٨٢، و المغازي ص ٩٢٣، ولقد ورد فيه: النعمان بن الزرّافة اللّهى، وقيل: النعمان بن
الزراع حريف الأزد.

(٢) المغازي للواقدي، ص ٩٢٧.

(٣) كتاب " نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية " للشيخ عبد الحى الكتاني، ١/ ٣٢٠.

وراءه، فقال: يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامهم، التي كانت تعبد، قال: فما فعل ذا الخلصة - وهو صنم لبجيلة والأزد وخنثهم - قال: هو على حاله قد بقى، والله مُريحٌ منه إن شاء الله، فبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذى الخلصة، فأنطلق فما أطل الغيبة حتى رجع، فقال له الرسول ﷺ: هدمته؟ قال: نعم، والذي بعثك بالحق، وأخذت ما عليه وأحرقته بالنار، فتركته كما يسوء من يهوى هواه، وما صَدَدْنَا عَنْهُ أَحَدًا^(١) وكان قدم إلى المدينة في أعقاب جرير، فیس بن أبی غرزة الأحمسی، بطن من بجيلة، ومعه مائتان وخمسون رجلاً من أحمس، فقال الرسول ﷺ: من أنتم؟ قالوا نحن أحمسُ الله. فقال: وأنتم اليوم لله، وأمر الرسول بلال أن يعطى ركب بجيلة، وأن يبدأ بالأحمسيين، فلما أمر الرسول جرير بالذهاب لهدم ذى الخلصة، قال جرير يا رسول الله: إني لا أثبت على الخيل، قال جرير: فمَدَّ الرسول يده ومسح على صدرى، وقال: اللهم اجعله هادياً مهدياً، يقول جرير: فما وَهَنْتُ بعدها أبداً. ثم قاد زهاء مائتين من خيل أحمس وانطلق فهدم الخلصة وعاد. فبارك الرسول في رجال وخيل أحمس^(٢) ودعا لهم.

وكان جرير قد قاتل بعض رجال من خنثهم بعد هدم ذا الخلصة، فقدم منهم وفد فيهم عَنَّثُ بن زجر، وأنس بن مُدْرِك، إلى المدينة، واعلنوا

(١) طبقات ابن سعد ٣٤٧/١، والأزرقي ٣٨٠/١، والطبري ١٥٨/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٨٨/٥ - ٩٠.

(٢) طبقات ابن سعد، ٣٤٧/١، ٣٤٨، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤٢٢/٤.

إسلامهم وطاعتهم، وقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله،
فأكتب لنا كتاباً تتبع ما فيه، فكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، شهد فيه جرير
ابن عبد الله، ومن حضر من الصحابة. ^(١)

وقدم وفد الأزدي، فيهم صرد بن عبد الله الأزدي، أزد شنوءة، في
بضعة عشر رجلاً، فأسلموا وأمره الرسول ﷺ على قومه، فقد كان
أفضلهم، ثم أمره الرسول أن يجاهد بقومه من يليه ممن لم يسلموا من
القبائل، فخرج حتى نزل جرش، وكانت مدينة حصينة، دخلها بعض
بطون متفرقة من القبائل وأغلقوها عليهم، وتحصنوا بها، فحاصروهم شهراً،
فاستعصت عليه، ثم تنحى عنها إلى جبل يقال له: شكر، فظنوا أنه انهزم،
فخرجوا في طلبه، فصف جيشه، وعطف عليهم، وأعمل فيهم السيف،
وقتل منهم عدداً، وأخذ خيلهم، وكان أهل جرش قد بعثوا رجلين قبل
وصول صرد إليهم، ليذهبا إلى المدينة، فينظران ويكلمان الرسول ﷺ في
شأن إسلام أهل جرش، ويبدوا أنهما تباطأ في إعلان إسلام قومهما،
وأخذ العهد لهم من الرسول، مع أنهما أسلما عقب وصولهما المدينة،
فكانا ذات يوم بمجلس الرسول ﷺ عصراً، فسأل الرسول ﷺ، من
بمجلسه بأي بلاد الله شكر هذا؟ فقام الجرشيان، وقالوا: يا رسول الله،

(١) طبقات ابن سعد ، ٣٤٨/١ ، قيل كان هناك جماعة من الصحابة قد فاقوا الناس طولاً وحسن هيئة منهم: العباس
ابن عبد المطلب ، وولده الفضل بن العباس ، وقثم بن العباس وجرير بن عبد الله البجلي ، وقيس بن سعد بن
عبادة ، و الأشعث بن قيس الكندي ، وعدي بن حاتم الطائي ، وزيد الخليل بن مهلهل الطائي .
انظر : الكامل للمبرد ، ٣٠٩/١ ، و البداية والنهاية لابن كثير ، ٩١/٥ .

ببلادنا جبل يقال له: كَشْر، فقال: إنه ليس بكشْر، ولكنه شَكْر، قالوا: فما له يارسول الله؟ قال: إن بُدِنَ الله لُتُنَحَرَ عنده الآن، فلم يفهم الرجلان معنى قول الرسول، فسألا أبا بكر وعثمان بن عفان وكانا على مقربة منهما بالمجلس، فقالا لهما: إنه ينعى لكما قومكما، قوما إلى الرسول فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما، فقاما إليه وسألاه، فقال: اللهم ارفع عن قومهما، واهلهما. ثم خرج الرجلان مسرعين إلى قومهما، فوجدوا أن صُرْدَ بن عبد الله أصاب قومهما في اليوم والساعة التي أخبرهما فيها رسول الله، فأنهيا لقومهما ما أعلمهما به الرسول، فأسلموا جميعاً، وخرج منهم وفد إلى المدينة، فلما وقفوا على الرسول ﷺ، قال لهم: مرحبا بكم^(١) أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة، أنتم مني وأنا منكم، وجعل شعارهم: مبرور - وهو الشعار الذي اختاره صُرْدَ بن عبد الله - فطلبوا من الرسول أن يحمي لهم حمى حول قريتهم جرش، على أعلام معلومة، للفرس، والراحلة، والمثيرة التي تثير الأرض، وتكون حمى لهم ومرعى، ومن رعاها غيرهم فهو سحت، وكتب لهم بذلك كتاباً^(٢) ويعتبر أهل جرش بهذا الطلب الجماعي، أول

(١) كلمة "مرحباً" يقال إن العرب لم تكن تستعملها، إلا نادراً، ثم استعملوها بعد أن تكرّر وقوعها من الرسول ﷺ، السيرة الحلبية ٢٥١/٣.

(٢) الطبري ١٣٠/٣، ١٣١، وطبقات ابن سعد، ٣٣٧/١، ٣٣٨، وسيرة ابن هشام ٢٣٤/٤ والإصابة، ١٨٧/٢، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٢٦٤/١، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٤٢.

بلد تم تحديده بحدود معلومة فى بداية تكوين الدولة الإسلامية بعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، على ما نعتقد.

وذكر ابن كثير^(١) أن وفداً من الأزد، سبعة نفر، فيهم سويد بن الحارث الأزدي قدموا على رسول الله ﷺ، فلما دخلوا وسلموا على الرسول أعجب بما رأى من سمتهم وزيهم، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فتبسم النبي وقال: إن لكل قوم حقيقة، فما حقيقة إيمانكم، وقولكم؟ قالوا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رُسُلُك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا يا رسول الله أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً .. وبعد أن عدوها على مسامع الرسول ﷺ، قال لهم حكماء، علماء، .. وأثنى عليهم ثم أوصاهم بوصايا خمس وأكرم وفادتهم.

وقدم وفد غامد على رسول الله ﷺ فى شهر رمضان عام ١٠هـ، وكانوا عشرة رجال، نزلوا ببيقع الغرق، فلبسوا من صالح ثيابهم، ثم انطلقوا إلى الرسول ﷺ فسلموا عليه، ثم أقرؤا بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآناً، وأجازهم الرسول مثلما يجيز الوفود، وعادوا إلى بلادهم^(٢).

(١) انظر البايه و النهايه ، ١٠٦/٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ، ٣٤٥/١ .

كما قدم وفد بارق على الرسول ﷺ بالمدينة، فأسلموا، وبايعوا، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق، لا تُجزئ ثمارهم، ولا تُرعى بلادهم في مربع، ولا مَصيفٍ إلا بمسألة من بارق، ومن مرّ بهم من المسلمين في عركٍ أو جَدبٍ فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أئِنعت ثمارهم فلا بن السبيل اللقاط، بوسع بطنه من غير أن يقتشم (أى يجتثه ويقتلعه ليحمله معه) ^(١).

ووفد على رسول الله ﷺ، بالمدينة خالد بن ضماد الأزدي، وكتب له كتاباً جاء فيه: أن له ما أسلم عليه من أرضه على أن يؤمن بالله، لا يشرك به شيئاً، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى أن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم شهر رمضان، ويحج البيت، ولا يأوى محدثاً، ولا يرتاب، وعلى أن ينصح لله ولرسوله، وعلى أن يحب أجباء الله، ويبغض أعداء الله، وعلى محمد النبي أن يمنعه مما يمنعه منه نفسه وماله وأهله، وأن لخالد الأزدي ذمة الله، وذمة محمد النبي إن وفى بهذا ^(٢) وكان ضماد أبو خالد قد وفد قبل على النبي. كما وفد على الرسول ﷺ جنادة الأزدي، وقومه، فكتب لهم الرسول ﷺ بمكة كتاباً جاء فيه: إن

^(١) طبقات ابن سعد ، ٢٨٦/١ ، ٣٥٢ .

^(٢) طبقات ابن سعد ، ٢٦٧/١ ، ويبدو أن خالد وفد على رسول الله ﷺ مرتين : إحداهما قبل الهجرة ، والثانية بعدها .

لجنادة وقومه ومن اتبعه، عهد الله، ما اقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وذمة محمد بن عبد الله^(١).

وعام الفتح بعث الرسول ﷺ إلى أبي ظبيان الأزدي من غامد كتاباً يدعو به ويدعو قومه إلى الإسلام، فأجابه في نفر من قومه بمكة عام ٨ هـ بعد فتحها، وكان مع أبي ظبيان من قومه: مخنف، وعبد الله، وزهير بن سليم، وعبد شمس بن زهير، وجندب بن كعب، وكتب النبي ﷺ لأبي ظبيان كتاباً، وكانت له صحيفة، وأدرك عهد عمر بن الخطاب وكان صاحب راية قومه يوم القادسية^(٢).

وكان الرسول ﷺ قد كتب كتاباً لمن جاء من خثعم مع جرير بن عبد الله البجلي، عندما ذهب لهدم صنم ذي الخلصة، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لخثعم من حاضر بيشة، وباديته، أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً، في يده حَرثٌ من خبارٍ أو عزاز، (أى ما سهل ولأن من الأرض أو ما صلب منها) تستقيه السماء، أو يرويه اللّثي فزكى (أى نما) عمارة في غير أزمة، ولا حطمة، فله نشره وأكله، وعليهم في كل سيح العشر، وفي كل غرب نصف العشر^(٣) كما كتب الرسول ﷺ كتاباً لبطن من باهلة كان في

(١) طبقات ابن سعد ، ٢٧٠/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ، ٢٨٠/١ .

(٣) طبقات ابن سعد ، ٢٨٦/١ ، ومجموعة الوثائق السياسية ، ص ٢٤٣ .

بيشة^(١) ووفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عقب الهجرة، الحارث بن عُمير من بنى لُهب من الأزد، وكان بنو لُهب وبنو أسد ين خزيمة أعيف العرب^(٢) في زجر الطير، وتقصى الأثر، والأشباه وقوة الفراسة، وظل الحارث ملازماً للرسول ﷺ قيل هو الذى حمل كتاب النبى الى ملك بَصْرَى بالشام، فلما نزل أرض مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى، ولما عرف أنه يحمل كتاباً من رسول الله ﷺ، وأنه أحد الرسل الذين بعث بهم رسول الله ﷺ إلى الملوك، قتله، ولم يقتل من حَمَلَةِ كُتُب النبى سواه، ولما بلغ ذلك النبى اشتد عليه الأمر، وندب الناس للخروج إلى مؤتة عام ٨هـ^(٣) وكان ذلك قبل فتح مكة.

وكان من بارق، من الأزد: عروة بن أبى الجعد البارقى، الذى صحب الرسول ﷺ وروى حديث: " الخيل معقود فى نواصيها الخير"^(٤) كما كان من غامد: مخنف بن سليم بن الحارث، والحجن بن المرقع بن سعد بن الحارث، وأبو زينب زهير بن عوف، أحد من شهدوا على الوليد

(١) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٢٤٤ .

(٢) الجمهرة ، ص ٣٧٦ .

(٣) المغازي ، ص ٧٥٥ .

(٤) طبقات ابن خليفه خياط ، ص ١١٣

ابن عقبة بأنه شرب وسكر^(١) ومن غامد صخر الغامدى له صحبة روى حديث الرسول ﷺ: "بورك لأمتى فى بُكُورِها"^(٢) وغيرهم .

كما وفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عبد الجدد بن ربيعة بن حجر الحكمى، من بنى الحكم بن سعد العشيرة^(٣) وكان لعبد الجدد صحبة ورواية^(٤) ومن بنى الحكم أبو موسى الحكمى محدث^(٥) ومنهم عبد الله بن سعد بن جابر الحكمى، كانت تحته آمنه بنت عفان أخت الخليفة عثمان ابن عفان، وولدت له محمد بن عبد الله^(٦) كما كان من رجالاتهم عبيد ابن خلّيل الحكمى^(٧) وأبو عقبة الجراح بن عبد المطلب الحكمى، الذى كان والياً على خراسان، والبصرة، من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، عام ٩٩هـ، ثم والياً على أرمينية من قبل هشام بن عبد الملك عام

(١) طبقات ابن خليفه خياط ، ص ١١٣ ، و الجمهرة ، ص ٣٧٨ .

(٢) طبقات ابن خليفه خياط ، ص ١١٣ .

(٣) سمي بسعد العشيرة ، قيل : لأنه حضر الموسم في الحج قبل الإسلام و حوله بنو العشيرة ، فسئل من هؤلاء ؟ فقال : هم عشيرتي ، وقيل : لأنه كان يركب حوله من بني من صلبه ثلاثمائة فارس ، انظر الجمهرة ، ص ٤٠٥ ، وتمة المختصر في أخبار البشر ، لابن الوردي ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٤) كتاب الأنساب للسمعاني ، ٤ / ١٨٣ .

(٥) الطبقات لخليفه خياط ، ص ٧٣ .

(٦) الجمهرة ، ص ٤٠٩ .

(٧) الأنساب للسمعاني ، ٤ / ١٨٣ .

١١٢هـ^(١) وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي، الذي أرسله عبد الملك بن مروان في ألفين من أهل الشام مدداً إلى الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال شبيب الحروري عندما هاجم الكوفة عام ٧٧ هـ، ثم لقتال ابن الأشعث عام ٨٢هـ^(٢).

وعلى كل فقد كان موطنهم يبدأ من جنوب أم جحدم بتهامة الحجاز، ويمتد جنوباً حتى حدود ولاية فروة بن مسيك المرادى بتهامة اليمن، ويجاورهم جنوباً بطون من قبيلة عك، وواقد من ثقيف، وبنو عقيل ابن كعب بن عامر، ويحاذيهم شرقاً بطون من حاشد وبكيل والأزد وغيرهم من القبائل التي لا تخضع لأية سلطة عليهم قبل الإسلام، وسوف تتضح الصورة أكثر عند التعرض للترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ بالباب الرابع من هذا البحث .

وخلاصة هذا السرد للوقائع أنه منذ البعثة والوفود من أبناء المنطقة تترى، وتحث الخطى، سواء كانوا أفراداً أو جماعات، نحو الرسول ﷺ، تعلن إسلامها، وطاعتها، وانقيادها، ومن الوفود من ظل يحوار الرسول ﷺ، ومنهم من عاد لموطنه يدعو إلى الإسلام، حتى إذا كان فتح مكة عام ٨هـ، ومن ثم إسلام أهلها وأهل الطائف، إلا ودخلت جميع البوادي

(١) وكان والياً للحسن بن هاني، الشاعر المعروف بأبي نواس، وقيل : بل هو منهم وليس من موالى الجراح الحكمي، انظر : نسب عدنان و قحطان للمبرد، ص ٢٩، و الجمهرة، ص ٤٠٨، والأنساب للسمعاني ١٨١/٤، وانظر الطبري، ٥٥٧/٦، ٥٥٩، و ٧٠/٧-٧٥.

(٢) الطبري، ٢٥٩/٦، ٢٧٧، والبدية والنهاية، ٢٠/٩-٤٦.

والأحواز المحيطة بهما ممن لم يكن أسلم منهم من قبل، دخلوا فى حظيرة
الإسلام جميعاً، وضمهم ترتيب إدارى واحد، نتحدث عنه فى موضعه
كما سبق أن قلنا. ونتقل الآن إلى منطقة نجران، نتعرف وقائع الأحداث
فيها منذ ظهور الإسلام .

نجران :

اكتسبت نجران شهرة تاريخية بحادث الأخلود الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم^(١) وسبق أن تحدثنا عنه^(٢)، وحملت المنطقة اسم أحد أشهر أوديتها الستة وهو وادى نجران^(٣) الذى يخترقها من الشرق إلى الغرب، وتقع عليه أشهر بلدانها، والتى كانت قاعدتها فى ذلك الوقت (نجران) وبجوارها بلدة (رعاش أو الحصن) موطن نصارى نجران فقد جاء ذكرها فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى نصارى نجران، حيث قال: إلى أهالى رعاش كلهم...^(٤) وكانت محاطة بسور منيع، ولذا كان يطلق عليها الحصن، وكان بداخلها مبنى الكنيسة، ونلاحظ أنه يوم فتح مكة هرب إلى نجران كلا من هبيرة بن أبى وهب المخزومي وعبد الله بن الزبعرى^(٥)، ولم

^(١) سورة البروج.

^(٢) انظر ص ٥٢-٥٦، من هذا البحث.

^(٣) فى بلاد عسير لفواد حمزة، ص ١٦٧، وقيل كان هناك نهر يقال له : البحر وان بنيت عليه تلك الكنيسة المشهورة، أو كما يقال عنها : كعبة نجران، وأنها بنيت من قبة تتكون من ثلاثمائة جلد آدم، وأنه لم يكن يأتيها خائف إلا آمن، ولا جائع إلا شبع، وكان عبدالمسيح بن دارس بن معيفر، العاقب، يجنى من هذا النهر عشرة آلاف دينار كل عام، ولهذا فقد كان غنيا، ولم ينحب إلا ابنة تزوجها يزيد بن عبد المدان، فورث هذا الثراء. الأغاني، ١٣٥/١٠ وما بعدها.

^(٤) كتاب الأموال لابن زنجويه، ٢٧٩/١، ومعجم ما استعجم للبكري، ٦٦٠/٢.

^(٥) كان هبيرة بن وهب متزوجا من أم هانئ بنت أبى طالب، وأنجبت منه جعدة وهانئ، وكان هو وابن الزبعرى يهجران بشعرهما الرسول ﷺ، والمسلمين فأباح دمهما يوم الفتح، فلما علما بذلك فرا إلى نجران يحميان بهما، فبعثت أم هانئ إلى هبيرة كى يعود بعد أن استأمنت له من النبی ﷺ، فلم يعد، ثم ما لبث أن مات --

يأمننا من الخوف - كما يقول الواقدي - حتى دخلا حصن بجران، فقبل
لهما ما وراء كما؟ قالوا: أما قريش فقد قتلت، ودخل محمد مكة، ونحن
والله نرى أن محمداً سائر إلى حصنكم هذا، فجعلت بنو الحارث بن كعب
يصلحون ما رث من حصنهم وجمعوا ماشيتهم في الحصن^(١) وكان يقيم
بمنطقة بجران في ذلك الوقت بطون من قبائل مختلفة منها:

- بطون من بنى الحارث بن كعب بن عمرو من مذحج وأشهرهم
بنو عبد المدان بن عمرو بن الديان، وكانت لبنى الحارث سطوة وجاه،
أصحاب زرع وتجارة، وكانت لهم مع غيرهم وقائع مشهورة لهم الغلبة في
معظمها ولذا فإن الرسول ﷺ سأل وفدهم حين قدم بإسلامهم: بم كنتم
تغلبون من قبل من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا، استحياء: لم نكن نغلب
أحداً، قال: بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا: كنا يا رسول الله
نجتمع ولا نتفرق، ولا نبداً أحداً بظلم قال: صدقتم، وأمر عليهم قيس بن
الحصين ذى الغصنة^(٢) وكان يقصدهم الشعراء فيمدحونهم لينالوا
جوائزهم، وقد مدحهم الأعشى قائلاً:

-- مشركاً وأما ابن الزبيرى فكتب له حسان بن ثابت شعراً يحثه فيه على القلوم، والدخول في الإسلام
فعاد، وأسلم، واعتذر للرسول عليه السلام، وندم على ما كان منه، الجمهرة، ص ١٦٥ وابن الأثير ٢/٢٥٠.
^(١) المغازى للواقدي، ص ٨٤٧، والطبرى ٢/٦٣، وابن الأثير، ٢/٢٥٠، والجمهرة، ص ١٤١، ١٦٥.
^(٢) سمي ذو الغصنة، لغصنة كانت تعزیه في حلقه حين يتكلم، وكان فارساً من ذوى المرباع، أى الذين كانوا
يأخذون ربع الغنمة التى يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم، حضرها أم لم يحضرها. أنظر سيرة ابن هشام
٢٤١/٤.

فكعبة نجران حتم^١ عليـك حتى تناخى بأربابها

نزور يزيد وعبد المسيح وقيساً همو خير أربابها

ونظروا لمنعتهم هذه فلم يخضعوا لهيمنة أحد، والكعبة التى عنهاها
الأعشى هى البيعة أو الكنيسة التى بنوها فى نجران^(١)، وقيل لدريد بن
الصمة وكان فارس هوازن، وله معهم وقائع مشهورة: أينجو بنو الحارث
ابن كعب من هجائن؟ وقد قتلوا أخاك خالداً؟^(٢) فقال: إن القوم جمة
مذحج، وهم أكفاء جشم - أى قبيلة دريد - ولا يجمل بى هجاؤهم،
ولكنه لم يلبث أن عابثهم بشعر، فرد عليه عبد الله بن المدان بشعر مماثل
ليس فيه كثير هجو^(٣)، منهم الربيع بن زياد بن عبد المدان والى خراسان
عام ٥١ هجرية فى عهد معاوية^(٤).

- بطن من بنى يام بن أصبى بن رافع من حاشد من همدان
وتفرعت منهم بطون عديدة، وكانوا يتصفون بالقوة والمنة، وكان منهم
رجال صالحون: كزييد بن الحارث اليامى، وابن عمه طلحة بن مطرف
الذهلى اليامى، وكان أحدهما من شيعة على بن أبى طالب، والثانى

(١) تاريخ ابن خلون، ٥٧/٢، والأغانى، ١٣٥/١٠.

(٢) قيل إن الذى قتلوه من أخوة دريد، هو عبد الله بن الصمة، وليس خالداً.

(٣) الأغانى، ١٥/٩، ١٦.

(٤) الصيرى، ٢٨٥/٥.

عثمانيا من أتباع معاوية، وكانا يلتقيان فلم تحدث من أحدهما للأخر
كلمة خشنة إلى أن ماتا^(١)

- قبيلة نهد بن زيد بن ليث، من قضاة، وكان منهم حنظلة بن
نهد، الذى كان يعد من أشرف العرب فى الجاهلية، وكانت له منزلة
بعكاز فى مواسم العرب، وكان يجاورهم فى منازلهم بنجران بنو
عمومتهم من جرم، ثم وقع بينهم خلاف وتباعد، فلحق نهد وحالفت
بنى الحارث، ونزحت جرم إلى زيد ببلادهم وحالفتهم، ثم ما لبث أن
وقعت حرب بين بنى الحارث بن كعب وبين زيد، وكانت الواقعة فيها
على زيد، فعادت جرم مرة ثانية إلى بنى عمومتهم نهد، وأقاموا معهم
بنجران حتى ظهر الإسلام^(٢) وكانت مواطنهم بنجران تتصل فى جنوبها
الغربى بأرض بنى عقيل بن عامر، وأرض خثعم^(٣) بالقرب من تبالة، ومما
لوحظ أنه فى عمرة الحديبية عام ٦هـ والرسول ﷺ مقيم على أبواب مكة،
وقد منعه قريش من دخولها لأداء العمرة، والرسول تروح وتعود بينه وبين
قريش، لقى بعض الصحابة جماعة من رعاة الشاة والنعم، يسوقون قطيعا
ضخما، فاستوقفوهم وسألوهم من أين؟ قالوا: من بنى نهد نستتبع مواقع
الغيث نرعى الشاة والإبل، فاشترى منهم الصحابة بعض ما كان معهم من
لبن وغيره، وأخبروا الرسول ﷺ بأمرهم، فأذن لأصحابه أن يأكلوا مما

(١) الجمهرة، ص ٢٩٤.

(٢) معجم ما استمع، للبكرى ٣٢/١، ٤٣، وتنمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) ١٤٠/١.

(٣) الأغاني، ١١/١٤١.

اشترؤه منهم^(١)، ونزحت منهم بطون عديدة إبان الفتوحات الإسلامية، واستوطنوا الشام والعراق، وخراسان، وإفريقيا، والأندلس، منهم قسورة ابن معلل النهدي ولى سجستان لبنى أمية، ومنهم المحدث عثمان النهدي، الذى أدرك الجاهلية وأسلم فى حياة النبى ﷺ ولم يره وأدى الزكاة لعماله ثلاث سنين ثم قدم المدينة فى عهد عمر بن الخطاب وشهد اليرموك، والقادسية، وغيرها، وتوفى وعمره مئة وثلاثون عاما^(٢).

أما بنو جرم فأقبل وفد منهم على رسول الله ﷺ بالمدينة عام ٩هـ — يتقدمه سلمة بن قيس الجرهمى، والأصقع بن شريح الجرهمى، وهوذة بن عمرو بن يزيد الجرهمى، فأعلنوا إسلامهم، وإسلام من وراءهم من قومهم، وكتب لهم الرسول ﷺ كتابا على ما أسلموا عليه من أرضهم^(٣)

ونلاحظ أن الراوى عن وفد قبيلة جرهم يعطينا صورة واقعية عن بعض ما كان يدور فى المنطقة إبان البعثة النبوية وعن مدى ارتباطها وتأثيرها بما يحدث وسط بلاد العرب، وبالأخص مكة المكرمة. يقول عمرو ابن سلمة بن قيس الجرهمى: كنا بحضرة ماء يمر الناس عليه، وكنا نسألهم: ما هذا الأمر الذى حدث فى مكة؟ فيقولون: رجل زعم أنه نبى الله، وأن الله أرسله، وأن الله أوصى إليه كذا .. وكذا. فجعلت لا أسمع شيئا مما

(١) المغازى، ص ٥٧٥، والسيرة الحلبية، ٧١٦/٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ٢١٣/٩، والجمهرة، ص ٤٤٦-٤٤٧.

(٣) الطبقات لابن سعد، ٣٣٥/١، ٣٣٦.

يتلونه من القرآن إلا حفظته، كأنما يُغَرَّى في صدرى بغراء حتى جمعت وحفظت قرآنا كثيرا، وكانت العرب إذ ذاك تُعاب وتُلوم لتركها دين آبائها إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فيقولون: انتظروا فإن ظهر وانتصر على قومه فهو صادق، وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبى بإسلام حينا وعشيرتنا مع رؤساء القبيلة، وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقيم، ثم أقبل، فلما دنا منا تلقيناه، فلما رأيناه، قال: جئتكم والله من عند رسول الله حقا، إنه يأمركم بكذا .. وكذا، وينهاكم عن كذا .. وكذا، وأن تُصلُّوا كذا .. وكذا .. وليؤمكم أكثركم قرآنا. فنظروا فلم يجدوا أحدا أكثر قرآنا منى، للذى كنت أحفظه من الركبان العابرين بحينا فقدموني بين أيديهم فصليت بهم وأنا أصغرهم^(١)

وكانت أرض نهد وأرض جرم مجاورة لأرض بنى عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر، وذهب وفد عقيل بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وبعد إعلان إسلامهم، قدموا للرسول ﷺ ما يثبت أن هناك واد فى حوزتهم، وهو وادى العقيق، وكان به نخل ومياه، وقيل معدن، فكتبه الرسول ﷺ لهم فى كتابهم^(٢)، وكان هناك عقيق آخر، ماء لبنى جعدة وجرم، تخصموا فيه إلى النبى ﷺ، مع بنى عقيل فقضى به لبنى جرم^(٣) وهو ماء

(١) الطبقات لابن سعد، ١/٣٣٧.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٦٣، وطبقات ابن سعد، ١/٣٠١، ٣٠٢.

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموى، ج ٤، ص ١٣٩، والجمهرة ص ٤٥١.

فى أرض بنى عامر، كما جاء فى الإصابة^(١) فقال أسماء بن رباب بن معاوية الجرمى، يخاطب عشيرته من جرم :

وإنى آخر جرم كما قد علمتم إذا جمعت عند النبى الجامع

فإن أنتم لم تقنعوا بقضائيه فإننى بما قال النبى لقانع

كما كان بنجران بطن من شاكر، وسواها^(٢) والذين تنصروا كانوا من أفراد هذ القبائل ومن غيرهم، كما كانت بها طائفة حرفية تعمل فى صناعة الجلود، والنسيج وغيره مما اشتهرت به بنجران. ويبدو أن معظم قبائل منطقة بنجران كانت تضمهم تحالفات فيما بينهم.

وكانت تربطهم بقريش علاقات تجارية، بالإضافة إلى ترددهم على مكة فى مواسم الحج ممن لم يتنصروا منهم، وكانوا هم الأغلبية من أبناء المنطقة، أما الذين تنصروا فقد بلغهم خير بعثة رسول الله ﷺ من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، فالظاهر أنهم كانوا يترددون عليها لأنه تجمعهم ديانة واحدة، فقدم وفد منهم إلى مكة قبل الهجرة، وسألوا عن رسول الله ﷺ، فوجدوه جالسا حول الكعبة، فجلسوا إليه، وأخذوا يسألونه، ثم قرأ عليهم القرآن، فسالت أعينهم من الدمع، ويقال إنه نزل فى شأنهم قوله

(١) الإصابة، ج ١، ص ٤٠، ٣٩، ترجمة أسماء بن رباب، وفى معجم البلدان، أن قاتل هذين البيتين هم معاوية بن عبد العزى بن ذراع الجرمى، بينما فى الإصابة أن قاتلها هو أسماء بن رباب، بالياء بعد الراء.

(٢) الحمدانى، ص ٢٧٩.

تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) فقد عرفوا أنه الموصوف في كتابهم، لكنهم قاموا، وقالوا: ننظر ونرى، فلما قاموا من حول الرسول ﷺ إعتزضهم نفر من قريش، فقالوا لهم خيكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تراتلون الأخبار لهم، لتأتوهم بخير الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى كدتم تفارقون دينكم، وتصدقوه فيما قال! لا نعلم ركبا أقل وأحق عقلا منكم. فقالوا لهم: لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه^(٢).

لكن للمرء أن يتساءل إذا كان أصحمة ملك الحبشة قد تعاطف مع المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده، وحماهم من قريش عندما بعثت تطلب ردهم إليها فامتنع، وازداد عطفه عليهم، وفي بعض الروايات يقال إنه أسلم^(٣)، أفلم يكن من الأولى بنصاري نجران أن يتبعوا الرسول ويدخلوا في حظيرة الإسلام؟ خاصة وأن النبي الذي ينتظرونه جاء من بين العرب وأن غالبيتهم عرب مثله، أخرى بهم أن يدعموه، ويسارعوا في تأييد ما جاء به، لكن يبدو أن الرهبانية قد فعلت فعلها فيهم، ورائت على أبصارهم غشاوة العvisية لعقيدتهم^(٤) أو خشوا على مناصبهم مثل غيرهم

(١) سورة المائدة، آية ٨٣.

(٢) السيرة الحلبية، ٣٨/٢.

(٣) ابن الأثير، ٢١٣/٢.

(٤) تاج العروس، للزبيدي، يقول أنه كان بالبيعة (الكنيسة) أساقفة مقيمون، أي ترهبوا، ٦٥٥/٣.

عمن لم يسلموا لهذا السبب.. لكن الحقيقة أنه أسلم منهم أناس، وحتى الذين لم يسلموا ظلوا مواعدين ومسالين، ولم ينجرّفوا غالباً - فى تيار النزاع بين المسلمين وخصومه كما فعل اليهود من بنى قينقاع، وبنى النضير، وقريظة، وخيبر. ولذا نلاحظ أن جيوش المسلمين التى وجهت إلى المنطقة لم ترغمهم على الدخول فى الإسلام، مثلما أرغمت القبائل حيرانهم التى تدين بالوثنية على الدخول فى الإسلام، وإنما خيّرتهم بين الإسلام، أو دفع الجزية إن استمروا على نصرانيتهم، وهو مبدأ إسلامى فى غاية العدل والإنصاف بالنسبة لمعاملة أهل الكتاب بصفة عامة، ثم وفّد منهم وفد على النبى ﷺ، بالمدينة فى السنة العاشرة من الهجرة. وقيل كان لهم فيما بعد إتصال بالأسود العنسى^(١)

واختلف فى عدد الوفد^(٢) ولما قدموا المدينة، دخلوا المسجد وجلسوا إلى الرسول ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وتلى عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا:

قد كنا مسلمين قبلك، فقال لهم: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادة الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن الله ولدًا.

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، ص ٤٦٣، طبعة قطر.

(٢) فمن قائل إنهم كانوا أربعة عشر، الطبقات لابن سعد، ٣٥٧/١، ومن قائل إنهم كانوا ستين، السيرة الحلبية، ٢٣٥/٣، ٢٣٦.

وجلسوا يحاورن الرسول، حتى همَّ بمباهلتهم، فتراجعوا وطلبوا
الموادعة والصلح، فصالحهم، وكتب لهم بذلك كتاباً للصلح جاء فيه :
عليهم دفع جزية ألفى حلة منها ألف تدفع فى رجب، وألف فى صفر^(١)،
وكل حلة أوقية (أى قيمتها أوقية من فضة)، وعليهم مثواة (أى ضيافة)
رسلى عشرين يوماً فدون ذلك، وعليهم عارية "ثلاثون درعاً، وثلاثون
فرساً، وثلاثون بعيراً، إذا كان باليمن كيد (للمسلمين) وما هلك مما
أعاروا رسلى من دروع، أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسلى حتى
يؤدوه إليهم ولنجران (أى النصارى منهم) وحاشيتهم حوار الله، وذمة
محمد النبى ﷺ على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم
وشاهدهم، وبيعهم وصلواتهم، لا يُغَيَّر أسقف عن أسقفته، ولا راهباً عن
رهبانيته، ولا واقفاً عن وقفانيته، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير
ليس ربا (أى لا يتعاملوا بالربا) ولا دم جاهلية، ومن سأل منهم حقاً
فبينهم النصف، غير ظالمين، ولا مظلومين لنجران، ومن أكل ربا من ذى
قبل، فذمتى منه بريئة.

وشهد على هذه الصحيفة كل من أبى سفيان بن حرب وغيلان بن
عمرو، ومالك بن عوف النصرى، والأقرع بن حابس، والمستورد بن

^(١) عن كل حال : أى بالغ، حلة واحدة فى العام كما هو الشأن فى معاملة أهل النمة بالمناطق الأخرى كاليمن،
وعمان، والبحرين.

عمرو، والمغيرة بن شعبة، وعامر مولى أبى بكر الصديق^(١)، وكان وفدهم يتقدمه من رؤساء نصارى نجران كل من العاقب، وهو عبدالمسيح بن دارس بن عربى بن معيفر، من كندة، وكان يعتبر أميرهم وصاحب مشورتهم وكذلك السيد أبو الحارث بن علقمة، قيل إنه من بكر وائل^(٢) وهو أسقفهم وجيرهم، وأخوه كرز بن علقمة، وبشير بن معاوية بن علقمة النجرانى وغيرهم، وكانوا قد طلبوا من الرسول ﷺ قبل عودتهم أن يبعث معهم رجلا أميناً يحكم بينهم فى بعض الأمور، ويقبض الجزية، ومن ثم يعود. فقال لهم: سأبعث معكم أميناً، أى أمين؟ ونادى أبا عبيدة بن الجراح وقال لهم: هذا أمين هذه الأمة، ثم لحقهم أبو عبيدة بعد رحيلهم^(٣)، فكان هو أول من قبض الجزية من نصارى نجران.

وفى طريق عودتهم كان الأسقف أبو الحارث يركب دابة فعثرت به فذكر أخوه بشير - الذى كان يسير على مقربة منه - النبى ﷺ بسوء وهو يزبر الدابة، فزجره أخوه الأسقف قائلاً: لقد ذكرت نبياً مرسلًا بسوء، فقال بشير فى عجب: لا جرم؛ والله لا أحل عن دابتي حتى ألحق به، وأتبعه، ثم ضرب وجه دابته نحو المدينة فأسلم، وظل ملازماً للرسول

(١) الطبقات لابن سعد ٢٨٨/١، ٣٥٧، والطبرى ١٣٩/٣، وابن الأثير، ٢٩٣/٢، والسيرة الحلبية ٢٣٥/٢-٢٣٦، وكتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ٤٤٩/٢، والأموال لابن سلام، ص ٣٩، والبداية والنهاية لابن كثير، ٦٠/٥-٦٥.

(٢) تاريخ بن خلدون، ٥٧/٢، وفيه: أبو حارثة، بدلا من أبى الحارث.

(٣) الإصابة لابن حجر، ٢٥٢/٢، ترجمة أبى عبيدة، وقيل: ذهب مع وفد غير نصارى نجران، وانظر: التبيين فى أنساب القرشيين لموفق الدين بن قدامة، ص ٤٤١، وسيرة ابن هشام ٢١٩/٢، والرواتب الإدارية ٣٩٢/٢.

ﷺ بالمدينة، يجاهد حتى استشهد فى أحد المعارك^(١) وما أن استقر الوفد بنجران قليلا، حتى عاد العاقب عبدالمسيح، والأسقف أبو حارث إلى المدينة، فأسلما وحسن إسلامهما^(٢) وعادا إلى موطنهما بنجران ليكونا ضمن الدعاة إلى الإسلام.

ثم أقام نصارى نجران على ما كتب لهم به النبى ﷺ حتى قبضه الله، ولما ولى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - جدد لهم عهدهم، وفى بداية عهد عمر رضى الله عنه، أصابوا ربا، وكان فى عهدهم شرط ألا يأكلوا الربا، فأجلاهم عمر عن نجران^(٣)، وقيل كانوا قد تكاثروا وتحاسدوا فيما بينهم، فأتوا عمر بن الخطاب وطلبوا منه أن يجليهم عن نجران إلى موقع آخر، وكان عمر قد خافهم على المسلمين بالمنطقة، فاغتنمها فرصة وأجلاهم، أو وافق على إجلائهم، ولكنهم ما لبثوا أن ندموا وأرادوا أن يتراجعوا، وأتوا عمر يطلبون منه أن يستقبلهم من طلبهم الجلاء فأبى عمر^(٤)، وقيل أخرجهم لحديث روى عن رسول الله ﷺ فى مرضه الذى توفى فيه أنه قال : لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع فيها إلا مسلما، وفى رواية : لأخرجن

(١) طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر، ٣١٥/١.

(٢) طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، وابن الأثير، ١٩٣/٢، ١٩٤. وابن خلدون، ٥٧/٢.

(٣) السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، وابن الأثير، ١٩٤/٢.

(٤) ابن الأثير، ٣٥٨/١، وكتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ٢٧٦/١.

اليهود، والنصارى من الحجاز، وفى رواية أخرى : لا يجتمع فيه دينان^(١)، ويقول البعض إن مقصد الرسول ﷺ إخراجهم من الحجاز بدليل الرواية التى تنص على ذلك، وليس من جميع بلاد العرب، ولذا فإن عمر أجلاهم عن الحجاز فقط، فأجلى بقية اليهود الذين كانوا بخيبر، وفدك، والنصارى من نجران لأن نجران تعد آخر مناطق الحجاز ولم يجلهم عن تيماء، وهى من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز، ولم يجل آخرين فى مناطق أخرى من بلاد العرب^(٢) وقد جرت مناقشات فى القرن الثانى عشر الهجرى بين فقهاء الزيدية حول مسألة إقامة اليهود فى اليمن، وكان من رأى بعضهم أن قول الرسول ﷺ لا يسرى على اليمن^(٣) ولعل هذا يؤكد ما سبق أن قلناه عن نجران من كونها مرتبطة بالحجاز وجزء منه.

وقد كتب لهم عمر كتابا عند جلائهم يوصى بهم من نزلوا لديه من أمراء الشام والعراق، وفى المكان الذى يودون النزول فيه، وأن يوسعوا عليهم الأرض التى يريدونها وكان قد عوضهم أثمان أرضهم وبيوتهم وكل ما تركوه، وما لم يستطيعوا حمله معهم^(٤)، وهذا يعنى أن بلدهم وأرضهم التى عوضهم عنها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أصبحت ملكا

(١) أنظر : أبو داود، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وكتاب الأموال لابن سلام، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) أنظر : السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٦٧، ١٦٨، وابن الأثير ٢/٢٩٣.

(٣) كتاب اليمن قبل الإسلام، م. ب. بيتروفسكى، ترجمة الشيبى، ص ٢٤١.

(٤) كتاب الأموال للقاسم بن سلام، ص ١٤٣، والسيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والطبقات لابن سعد ١/٣٥٨.

للدولة يستثمرها لصالح الدولة، كما استثمرت أراضي بنى قينقاع والنضير، وقريظة، ثم خيبر فى عهد الرسول ﷺ .

وعلى كل فإن هذا هو موقف نصارى نجران، أما موقف القبائل أو بالأحرى موقف أهل الحضر والبادية وهم الغالبية الغالبة فى نجران فقد كان للإسلام معهم موقف آخر، أى لا صلح ولا دفع جزية كالنصارى أو اليهود، وإنما كانوا مثل بقية العرب، فى بلاد العرب خاصة، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ودعونا ننظر تتابع الأحداث وتربطها فى خلال فترة تكوين الدولة فى عهد الرسول ﷺ.

كان بنو الحارث بن كعب لهم صولة ومنعة فى الجاهلية، ودخلوا فى تحالفات مع القبائل الأخرى بنجران، كبنى نهد وجرم^(١)، وغيرهم، فازدادوا بذلك قوة ومنعة، وربما يكون إحساسهم بقوتهم دفعهم إلى التباطؤ فى الدخول إلى الإسلام، وليس مثل القبائل المجاورة لهم فى الشمال الغربى، خثعم، والأزد، وبييلة، وغيرها، فقد كانت ديار بنى نهد ويام، وجرم، وهى قبائل معظمها نجرانية تجاور ديار خثعم، وغيرها فى الجنوب من بيشة وتباله^(٢)، وهذه أسلمت، وتباطأ بنو الحارث بن كعب ومن

(١) الطبقات لابن سعد، ٢٦٨/١، وابن الأثير ٦٣٣/١، والبداية والنهاية لابن كثير ١١٠/٥-١١٢. وأيضاً معجم

مستعجم، للبكرى ٤٣/١، ونزحت بطون عديدة من نهد خلال الفتوحات.

(٢) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٥٣، ٣٥٢ جاء فيه "ليام وطن بنجران، يطرد ويتتابع منها ناحية الحجاز إلى

حدود زبيد ونهد من ناحية حارة، وملاح، وسمنان، فإلى ما يصالى خليف دكم من أعلى حبرة.

خالفهم بنجران، مما دعا الرسول ﷺ إلى أن يبعث لهم خالد بن الوليد يقود أربعمائة من المسلمين إليهم فى شهر ربيع الأول عام ١٠ هـ^(١)

وأمر الرسول ﷺ خالدا، إذا نزل بساحتهم أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، قبل أن يقاتلهم، فإن استجابوا للإسلام قبله منهم، وإن لم يستجيبوا قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم بلادهم فبث الركبان يضرِبون فى كل وجه، يدعون الى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبذلك دخل أهل نجران جميعا فى الإسلام، حاضرتهم، وباديتهم، - فيما عدا أهل الذمة، النصارى - وكتب خالد بذلك للرسول ﷺ يعلمه بإسلامهم وطاعتهم، فكتب له الرسول ﷺ أن يقبل إلى المدينة، وليقبل معه وفدهم^(٢) وكان خالد خلال إقامته بنجران يعلم أهلها الدين ويفقههم هو ومن معه من الصحابة بأمور الإسلام، وكان يث الركبان والدعاة إلى القبائل اليمنية المجاورة، وبالأخص قبيلة مذحج، التى كانت تقيم فيما بين صعدة وصنعاء فى الجنوب الشرقى من تلك المنطقة، ومذحج بطون وأفخاذ عديدة، منهم من كان أسلم ومنهم من هو متباطى، فبعث إليهم خالد الدعاة فلم يستجيبوا، ويبدو أنه أفاد

(١) طبقات ابن سعد، ٣٣٩/١، وقيل ذهب إليهم فى جمادى الأولى، سيرة ابن هشام، ٢٣٩/٤، ويقول محقق سيرة ابن هشام، فى تعليقه على نجران : إنها بلد بين اليمن وحر. أى أنها ليست من اليمن.

(٢) سيرة ابن هشام، ٢٣٩/٤، والطبقات، ٣٣٩/١، وتاريخ ابن خلدون، ٥٣/٢، والطبرى، ١٢٦/٣ وبهجة الخافق وبغية الأمثال، لابن عيسى العامرى، ٧٦، ٧٥/٢، والبداية والنهاية ١١١/٥.

الرسول ﷺ بموقف هؤلاء المتباطئين، لكى يأذن له بقتالهم .. لأن مهمته التى حددها له الرسول ﷺ، هى قبائل نجران، ولأن خالد استمر بنجران حوالى ستة أشهر، فإن الرسول ﷺ، أراد أن يوكل مهمة قبائل مذحج وغيرها من القبائل التى لم تسلم بعد بأرض اليمن إلى قائد آخر غير الذى طالت غيبته، فأوكل تلك المهمة إلى علي بن أبى طالب بدلا من خالد. وطلب من خالد أن يقدم بوفد من أهل نجران الذين أسلموا، وكانت تعليمات الرسول، إلى علي بن أبى طالب أن يذهب أولا إلى نجران ليقابل خالد ويقبض منه خمس ما معه من الغنائم، وماقبضه من زكاة ممن أسلموا، أو حزية من النصارى، وأن يخير جنود خالد فى البقاء معه أو العودة مع خالد، ومن أراد منهم الإستمرار فى الجهاد فلي انضم إلى من معه من جند، وكان مع على حين خرج من المدينة ثلاثمائة جندي^(١) كما كان ضمن التوجيهات النبوية لعلي ألا يقاتلهم إذا نزل بساحتهم حتى يقاتلوه، فإن قاتلوه فلا يقاتلهم حتى يقتلوا منه قتيلاً، وأن يبدأ بدعوتهم إلى الإسلام وأن يحرص على إسلامهم دون قتال، وقال له: لأن يهدى الله على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت^(٢) فانطلق إليهم على بن أبى طالب وكما يقول أهل السير والمغازى، كانت خيله أول خيل دخلت تلك البلاد - أى أرض اليمن - وبدايتها أرض مذحج^(٣) بين

(١) بهجة الحافل وبغية الأمان، لابن يحيى العامري، ٧٨/٢، وسيرة ابن هشام، ٢٠١/٤-٢٠٥.

(٢) المغازى للواقدي، ص ١٧٠٩، والطبقات لابن سعد، ١٦٩/١.

(٣) أنظر السيرة الحلبية ٢٢٤/٣، والمغازى للواقدي، ص ١٠٧٩، وطبقات ابن سعد، ١٦٩/٢.

صعدة وصنعاء المجاورة لنجران ويقول البراء بن عازب، وكان ممن عَقَّب مع على، أى انتقل من جيش خالد إلى جيش على، أى أنه كان قبلُ فى نجران يقول: فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بأرض مذحج^(١)، وهذا قول صريح فى أن أرض مذحج هى أول اليمن وليس قبلها شئ .. وكان هذا الجيش هو الجيش الوحيد الذى دخل أرض اليمن حتى توفى رسول الله ﷺ، وقد حدثت معه بعض مناوشات يسيرة من بعض مذحج، ثم أسلموا، فتقدم إلى أرض همدان فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وكانت بطون من همدان ومذحج وغيرهم أسلموا قبل ذلك. فكذب بذلك إلى رسول الله ﷺ^(٢) ثم وافى رسول الله بمكة فى حجة الوداع ليؤدى معه الفريضة، وخلف على الجيش أحد القواد وهو عائد، أما خالد بن الوليد فقد عاد إلى المدينة ومعه وفد بنى الحارث بن كعب، منتصف شوال عام ١٠ هـ، وكان الوفد يتقدمه كل من: قيس بن الحصين ذى الغُصَّة، وكان من ذوى الشأن والمكانة، حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب وقف يوما يخطب الناس فى خلافته، وتحدث عن موضوع تحديد الصداق - أى تحديد مهر النساء - فقال فى خطبته: لا تزدد امرأة فى صدقتها عن كذا .. وكذا .. ولو

(١) الطبرى، ١٣١/٣، وتاريخ ابن خلدون، ٥٥/٢، وفيه فلما بلغ على بن أبى طالب أوائل اليمن (هكذا)، وانظر

أيضا المغازى للواقدي ص ١٠٧٩، والطبقات لابن سعد، ١٦٩/١.

(٢) ابن الأثير، ٣٠٠/٢، والطبرى، ١٤٨/٣، والسيرة الحلبية، ٢٢٤/٣.

كانت بنت ذى الغصنة^(١)، كما كان ضمن الوفد يزيد بن عبد المدان، وكان بنو عبد المدان هم أولو الأمر فى بنى الحارث بن كعب بنجران فى ذلك الوقت، ومن الوفد أيضا أخوه يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قراد الزيادى، وشداد بن عبد الله الضبابى وعمرو بن عبد الله الضبابى، وعند قدومهم المدينة أنزلهم خالد بن الوليد لديه حتى استراحوا وأصلحوا من هتداهم، ثم صحبهم إلى رسول الله ﷺ فسلموا وأعلنوا إسلامهم ومبايعتهم، وتقول بعض الروايات إن الرسول قال لهم بعد أن سلموا، أنتم الذين إذا زُجِرُوا استُقدموا، قالها لهم على سبيل التقرير لتباطبهم فى الانضمام إلى الإسلام حتى وطأتهم الخيل^(٢)، ثم أخذ الرسول ﷺ يتحدث معهم عن حروبهم فى الجاهلية، وكيف كانوا يتغلبون على من حاربهم، وهو دليل على قوة بأسهم فى الجاهلية، وكانوا قبيل الإسلام وقعت بينهم وبين كندة حرب أسروا خلالها الأشعث بن قيس الكندى. فافتدى بثلاثة آلاف بعير، وكانت تعد أكبر فدية دفعت لعربى حتى ذلك الوقت^(٣)، وبعد أن أكرمهم الرسول ﷺ وأهداهم كما يهذى الوفود، أمر عليهم قيس بن الحصين وعادوا إلى نجران أواخر شوال عام ١٠هـ، ثم بعث الرسول ﷺ خلفهم عمرو بن حزم الأنصارى ليفقههم فى الدين

(١) أنظر : بهجة المحافل وبغية الأمثال، لأبى بكر العامرى، ٧٥/٢، والظاهر أن خطبة عمر هذه هى التى اعترضت فيها المرأة القرشية على قوله فى تحديد المهور، مستلذة بكتاب الله، مما جعل عمر يقول: أصابت امرأة وأخطأ عمر، أو قال : كل الناس أفتقه منك يا عمر، أنظر كتاب "مناقب أمير المؤمنين عمر لابن الجوزى" ص ١٤٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٩/٤-٢٤١، وتاريخ ابن خلدون، ٥٣/٢، وبهجة المحافل، ص ٧٦.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٦.

ويأخذ منهم صدقاتهم وزكاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهداً وأمره فيه بأمره، ويقول عنه بن خلدون: إنه كتاب وقع في السير مروياً واعتمده الفقهاء في الاستدلالات، وفيه أسس كثير من الأحكام الفقهية^(١)، وكان قيس بن الحصين يعتبر أميراً على بنى الحارث بن كعب فقط، ويبدو أنه كان لكل قبيلة أمير، والجميع يخضعون لرئاسة عمرو بن حزم لأن هذا هو الملاحظ في المناطق الأخرى.

المهم أن عمرو بن حزم استمر ولياً على منطقة نجران بكاملها في عهد الرسول ﷺ مع أنه كان يقدم إليها بعض الصحابة، إما لحمل باقى الصدقة إلى المدينة، أو لتعليم الناس أمور دينهم، ثم يعودون عند انتهاء مهمتهم إلى المدينة مثل أبى سفيان بن حرب الذى أرسله النبى ﷺ ليفقه الناس فى أمور دينهم ويؤمهم فى الصلاة، وراشد بن عبد ربه السلمى للنظر فى قضايا الناس، وقال شعرا وهو بنجران جاء فيه^(٢):

صحا القلب من سلمى وأقصر شأنه وردت عليه ما نفته تماضر

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

(١) تاريخ بن خلدون، ٥٣/٢، ٥٤، وبهجة المحافل، ٧٦/٢، والترتيب الإدارية للكتانى، ١٦٨/١، وسيرة ابن هشام ١٩٠/٤، ٢٤١، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى، للدكتور محمد حميد الله، ص ٢٧٣.

(٢) العقد الفريد لابن عبدربه، ٥١/٢، ونسب ابن كثير فى البداية والنهاية ١٠٩/١٠ البيت الثانى إلى معقر بن أوس البارقى، وقيل: إن أبا سفيان بن حرب أرسل أميراً على نجران فى عهد أبى بكر الصديق.

ويبدو أن القبائل فى المنطقة كانت بحاجة إلى من يساعد عمرو بن حزم الأنصارى فى بداية عمله، وبعد أن استقرت الأمور، عاد أبو سفيان وابن السلمى إلى المدينة، وبقي ابن حزم وهو الوالى المقيم بالمنطقة، واستمر كذلك حتى فتنة العنسى، ثم ذهب إلى المدينة عند وفاة الرسول ثم ذهب إلى العراق حين اقتضت الظروف، والتوسع فى الفتوحات تواجهه فى تلك الميادين فاستدعاه أبو بكر الصديق للذهاب مددا لخالد بن الوليد، وكان قد خلفه والياً على نجران، جرير بن عبد الله البجلي، ولما استدعى أيضاً إلى العراق خلفه على ولاية نجران يعلى بن أمية^(١) الذى أشرف على إجلاء نصارى نجران، بأمر من عمر^(٢)، وقيل: ذهب عمرو بن حزم إلى العراق أواخر عهد أبو بكر، وبقي مع المثنى بن حارثة عندما تركهم خالد واتجه إلى الشام^(٣).

ومن ينسب إلى نجران التى هى من أعمال مكة، كما يقول الزبيدى: بشر بن رافع النجرانى، أبو الأسباط، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى، قتيل يوم الحرة، لأنه ولد بها فى حياة الرسول ﷺ وقت أن كان أبوه والياً عليها، وعبيدة بن العباس بن الربيع النجرانى^(٤).

(١) يعلى بن أمية : هو يعلى بن أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحارث، الحنظلى، التميمى، نسب أحياناً إلى أمه: منية بنت جابر، عمه عتبة بن غزوان بن جابر المازنى، الذى اختط البصرة، وقيل : أخت عتبة، وقد نسب إليها يعلى، فقتل بن منية، وهو صحابى جليل، له دور بارز فى حروب الردة بالمنطقة، الجماهرة ص ٢١٣، ٢٢٩، وابن الأثير، ٤٠/٢.

(٢) كتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ٢٧٩/١.

(٣) الأخبار الطوال للدينورى، ص ١١٢.

(٤) تاج العروس للزبيدى، ٥٥٦/٣.

ويتضح من هذا العرض أن نصارى نجران أسلم بعضهم وأقام البعض الآخر على نصرانيته، وأعطى لهم الرسول ﷺ عهداً لأمانهم في ظل الإسلام بشروط نص عليها في العهد مقابل دفع جزية، أما القبائل العربية في نجران، وهم الغالبية فأسلم بعضها مبكراً، وأسلم الباقي منهم على يد خالد بن الوليد، ثم أقام بينهم فترة يفقههم في أمر الدين، وفي الوقت نفسه بث الدعاة والركبان إلى القبائل المجاورة من بطون مذحج بأرض اليمن. ولما كانت مهمته هي نجران فقط، فقد أرسل الرسول ﷺ علياً بن أبى طالب إلى أرض اليمن، فبدأ ببطون مذحج، وكانت خيله أول خيل وطقت أرض اليمن كما يقول المؤرخون.

٣- موقف الملوك والحكام من الإسلام :

عند ظهور الإسلام كانت هناك قوتان عظيمتان تحيطان ببلاد العرب أو بالأحرى بوسط شبه الجزيرة العربية من الشمال، هما دولة الروم البيزنطية، ودولة الفرس الساسانية، وقد استحكمت التنافس والصراع بينهما وتوزعت هيمنتهم على كثير من الأمم والشعوب، حيث نجد أن الحبشة كانت تربطها بدولة الروم التوافق في العقيدة، وما يتبع ذلك من الأمور الاقتصادية والسياسية، كما كانت تخضع للروم وتأثر بأوامرها كل الممالك والإمارات التي كانت تحكم الشام وفلسطين ومصر وغيرها حيث كانت شعوبهم تدين بالنصرانية.

أما دولة الفرس الساسانية فقد امتدت رقعتها إلى كثير من شعوب شرق آسيا كما امتد نفوذها إلى جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أن استعان بهم سيف بن ذى يزن الحميري عام ٥٧٥م لطرد الحبشة من اليمن^(١)، واستمر نفوذهم فيها حتى ظهور الإسلام.

ولأن رسالة النبي محمد ﷺ رسالة عامة للناس كافة وليست مقصورة على العرب وحدهم أو الجزيرة العربية دون سواها فقد كان من كمالات الرسالة أن يبلغها لرؤوس الأشهاد، عربهم وعجمهم، حتى لا

(١) اليمن الخضراء، ص ٤٠٨.

يكون للناس على الله حجة بعد البلاغ، ومقتضيات التبليغ.. ولأن رؤوس القوم وسرورات الرجال، هم الرعاة والحكام وأولو البأس والرأى فيهم، فقد بعث الرسول ﷺ كتابا إلى هؤلاء حَمَلَهُمْ فيها تبعة عدم إسلامهم وعدم إسلام رعاياهم، لأنهم تبعوا لهم قبولا أو رفضا، وكما يقال: الناس على دين ملوكهم، أى تابعون لهم فيما يدينون به، وفى كل ما يفعلونه.

لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة من الحديبية عام ٦ هـ بعد عقد هدنة مع قريش لعشر سنوات، وتهيأت الأسباب لمخاطبة هؤلاء الملوك والحكام وإبلاغهم ما أمره الله بإبلاغه. اختار ستة من أصحابه كل منهم يتكلم لغة القوم الذين بعث إليهم، وخرجوا من المدينة فى وقت واحد أوائل العام السابع الهجرى، وقيل يومها للرسول ﷺ إن الملوك لا تقرأ كتابا إلا إذا كان مختوما فاتخذ خاتما منذ ذلك اليوم^(١) يوقع به على كافة مكاتباته.

خرج عمرو بن أمية الضمري حاملا كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة، وكان المسلمون المهاجرون مازالوا هناك، جعفر بن أبى طالب ومن كان معه من المهاجرين، فيقال: إن النجاشى عندما قرأ الكتاب أسلم وبعث بإسلامه مع جعفر وعمرو بن أمية الضمري، وبقية المهاجرين الذين عادوا من الحبشة، ووافوا الرسول ﷺ بخير، هم وفد الأشعرين والدوسيين فقسم لهم أسهما من مغنم

(١) طبقات ابن سعد ٢٥٨/١، والسيرة الحلبية ٢٨١/٣، والطبرى ٦٥٢/٢، والمقدمة لابن خلدون ص ٢٢٠.

خير^(١)، وقيل لم يسلم النجاشي^(٢)، وعلى كل فإن موقفه يعتبر موقف المسالم
الموادع، ولذا نلاحظ أنه لم توجه له الجيوش مثلما وجهت إلى الروم والفرس.

وخرج دحية بن خليفة الكلبي يحمل كتابا إلى قيصر الروم، وكان
على مقربة من مدينة حمص بالشام، لأنه كان قد نذر إن نصره الله على
الفرس، الذين كانوا يحتلون جزءا من بلاده، أن يمشى حافي القدمين من
القسطنطينية عاصمة ملكه إلى بيت المقدس بفلسطين، فكان وقتها ينفذ
نذره، وشاع خبر مسيره ذاك، فأمر الرسول ﷺ دحية أن يدفع الكتاب إلى
حاكم بصرى، وهو بدوره يرفعه إلى قيصر، فدفعه إليه وهو بحمص فقرأه
قيصر واستدعى دحية وجعل يسأله عن أشياء من أمور الإسلام، ومن
خصائص الرسول ﷺ. ثم بعث من يبحثون في بلاده عن أحد من العرب
فجاؤوه بأبى سفيان بن حرب، وكان في تجارة بالشام، ولم يكن أبى
سفيان قد أسلم بعد فجعل قيصر يسأل وأبى سفيان يجيب، ويصدقه فيما
يقول، مخافة أن يتهم بالكذب أمام قيصر.. ثم سأل بطارقة الروم وغيرهم
حتى تيقن من نبوة الرسول محمد ﷺ ولكنه خاف إن أظهر إسلامه ألا

(١) طبقات ابن سعد، ٢٥٨/١، ٢٥٩، والسيرة الحلبية، ٢٩٣/٣-٢٩٥.

(٢) السيرة الحلبية، ٢٩٤/٣، نقلا عن ابن حزم، وانظر أيضا المواهب اللدنية ١٤١/٢، وفيه أن النجاشي الذي هاجر
في عهد المسلمين إلى الحبشة (وهو أصحمة) هو الذي أسلم، وبعث - بإسلامه إلى الرسول ﷺ وهو الذي
زوجه أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان، وصلى عليه الرسول ﷺ عند وفاته، أما الذي بعث إليه عمرو
الضمرى فلم يسلم.

يتبعه رؤساء الروم، وأن يخلعوه فآثر ملكه على الإسلام^(١)، فضاغ منه ملكه الذى استأثر به، ثم ما فتئ أن انضوى ملكه تحت راية الإسلام.

وانطلق حاطب بن أبى بلتعة اللخمى حاملا كتابا إلى المقوقس عظيم القبط بمصر، وكان يقيم فى ذلك الوقت بالأسكندرية، ويوجد حاكم عسكرى روماني يقيم بالقاهرة، بالحصن الذى اقتحمه عمرو بن العاص عند فتحه مصر، فكان بها حاكم للأمور الدينية وآخر عسكرى، ومتولى الأمور الدينية أولى بالخطابة فى مثل تلك الأمور، وقد تسلم المقوقس الخطاب وقرأه، وأكرم حاطب، ثم بعث معه بهدية إلى رسول الله ﷺ وجاريتين إحداهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ولما عاد حاطب وأخبر الرسول ﷺ بما فعل معه المقوقس، قال الرسول ﷺ: ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه^(٢)، وقد كان.

وحمل عبدا لله بن حذافة السهمى خطابا إلى كسرى يدعو فيه إلى الإسلام فلما قرئ عليه أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مزق ملكه !. ثم إن كسرى كتب إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذى بالحجاز فليأتياى بخبره، فبعث باذان كاتبه (قهرمانه) بابويه، ورجلا من الفرس يقال له: خرخرسة،

(١) ابن الأثير، ٢/٢١١، والسيرة الحلبية، ٣/٢٨٣-٢٩١، والطبرى، ٢/٦٤٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٩٢-٢٩٨، وابن خلدون، ٢/٣٦.

(٢) طبقات ابن سعد، ١/٢٦٠ وابن الأثير، ٢/٢١١، والسيرة الحلبية، ٢/٢٩٥-٣٠٠، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤/٢٠٣، وفيه أن اسمه: جريج بن مينا، وكان من أهل مصر الأقباط. وانظر أيضا المواهب اللدنية ٢/١٤٣.

وكتب معهما كتابا، وأوصى كاتبه بأن يراقب أحول الرسول ﷺ وأقواله ويتحرى مدى صدقه ويخبره بذلك عند عودته، فلما قدم المدينة قابل الرسول ﷺ ثم طلب منهما الذهاب والعودة إليه غداً، فلما كان في الغد دعاهما وأخبرهما بأن الخبر أتاه من السماء، بأن الله سلط عليه ابنه فقتله في يوم كذا.. وساعة كذا.. من شهر كذا.. وقال لهما ارجعا إلى من أرسلكما وأخبراه بذلك، وإنى أدعوكما وأدعوه إلى الإسلام فلما عادا إلى اليمن وأخبرا باذان بذلك، إذا بالبريد يأتى من فارس إلى اليمن يحمل كتابا من شيرويه بن كسرى إلى باذان يفيد فيه بأنه قتل أباه لسوء سلوكه، ويطلب منه أن يأخذ البيعة بالولاء والطاعة له ممن لديه من أبناء فارس. فعرف باذان عندئذ صدق الرسول ﷺ، فبعث بإسلامه إلى الرسول ﷺ هو ومعاونوه من أبناء الفرس^(١)، وقيل أن حادثة مقتل شيرويه لأبيه أبريز، كانت في العام التاسع الهجرى في نفس الوقت الذى حدده من قبل رسول الله ﷺ وعندها أسلم باذان^(٢)، وعلى هذا يكون إسلام باذان تم في العام التاسع وليس في السابع الهجرى، وعندما بعث باذان بإسلامه إلى الرسول ﷺ أقره الرسول ﷺ على الولاية باليمن جميعها كما كان.

وخرج شجاع بن وهب الأسدى يحمل كتابا إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، فأتاه بغوطة دمشق، وهو مشغول بالإعداد لاستقبال قبصر

(١) تاريخ الطبرى، ٦٥٤/٢، وابن الأثير، ٢١٣/٢، والسيرة الحلبية، ٢٩١/٣، والبداية والنهاية، ٢٩٩/٤-٣٠٢.

وطبقات ابن سعد، ٢٥٩/١، وتاريخ ابن خلدون، ٣٦/٢.

(٢) الأخبار الطوال للدينورى، ص ١٠٧.

الروم فى مسيره من القسطنطينية إلى بيت المقدس، فقد كان أحد ملوك العرب الخاضعين لنفوذ الروم، فلما قرأ الكتاب، أخذته حمية الجاهلية، وتوعد بإرسال جيش إلى المدينة، وأمر بإعداد العدة، ثم كتب إلى قيصر يخبره بخبر الكتاب وحامله ومن أرسله، وتصادف أن كان دحية الكلبي لدى قيصر حاملا كتاب رسول الله ﷺ إليه، فكتب قيصر إلى الحارث ألا يسير إلى المدينة، وأن يدع هذا الأمر، فلما جاءه خطاب قيصر تغيرت معاملته إلى الأفضل بالنسبة لشجاع بن وهب، وأكرمه، ولما عاد شجاع ابن وهب وأخبر الرسول ﷺ بما حدث قال : باد ملكه^(١). ثم ما لبث أن توفي الحارث قبل أن يرى زوال ملكه من يدى أبنائه من بعده.

وذهب سليط بن عمرو العامري - وهو أحد الستة الذين خرجوا من المدينة فى وقت واحد - إلى هوزة بن على الحنفى باليمامة حاملا كتابا من رسول الله ﷺ يدعو فيه إلى الإسلام، فلما نزل عليه حيّاه وحباه، ولما قرأ الكتاب تردد ثم كتب كتابا إلى رسول الله ﷺ طلب فيه أن يجعل له شيئا. فقال الرسول ﷺ عندما بلغه ذلك: باد، وباد ما فى يديه، فتوفى عام الفتح ٨هـ دون أن يسلم^(٢).

وبعث الرسول ﷺ عقب فتح مكة كتبا إلى غير هؤلاء من الملوك والأمراء وذوى الشأن فى جزيرة العرب وإلى رؤساء القبائل والبطون والعشائر يدعوهم إلى الإسلام، ممن لم يكونوا قد أسلموا بعد. فكان من

(١) طبقات ابن سعد، ٢٦١/١، والسيرة الحلبية، ٣٠٤/٣، ٣٠٥، والطبرى، ٦٥٢/٢.

(٢) طبقات ابن سعد، ٣٦٣/١، والسيرة الحلبية، ٣٠٣/٣، والطبرى، ٦٤٥/٢.

هؤلاء: جيفر وعبيد ابنا الجلندى الأزديين، بعمان، وكان جيفر وهو الحاكم فذهب لهما عمرو بن العاص فى ذى القعدة عام ٨هـ .. فأسلما وأسلمت رعيتهما، كما ذهب العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى، العبدى بالبحرين^(١) فأسلم، وتبعه فى إسلامه العديد من أهل المنطقة، وكانت بها طائفة من أهل الكتاب، أخذت منهم الجزية^(٢) وذهب مع العلاء، أبوهريرة ليعلم الناس، فأقام فترة ثم عاد.

وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذى الكلاع بن ناكور الحميرى، وإلى ذى عمرو فأسلما، وأسلمت ضريبة بنت أبرهة، امرأة ذى الكلاع، وتوفى رسول الله ﷺ وجرير بن عبد الله البجلي عندهم باليمن، فأخبره ذو عمرو بوفاة الرسول ﷺ فخرج جرير عائدا إلى المدينة^(٣).

كما كتب الرسول ﷺ إلى عدة من أهل اليمن، أمراء المناطق والمخاليف، ورؤساء القبائل والعشائر فاستجابوا، وأعلنوا إسلامهم، ووفدت وفودهم إلى المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وكتب لهم كتاباً يقر بعضهم فيها على ما فى أيديهم، ويولى بعضهم الإمارة على أحد المناطق أو المخاليف، أو الإمارة على قبائلهم وعشائرهم، ورتب الولايات فيها،

(١) أى منطقة الإحساء حالياً، وما يدخل فى حيزها. فقد كانت تسمى قديماً : البحرين.

(٢) طبقات ابن سعد، ٢٦٣/١، والطبرى، ٦٤٦/٢ و ٢٩/٣، ٩٩٥.

(٣) طبقات ابن سعد، ٢٦٥/١.

وحدد لكل ولاية أميراً، إلى غير ذلك من الترتيبات الإدارية، وهو موجود
بكتب التاريخ^(١).

ونستخلص من ذلك أن بعض الملوك والحكام وذوى الشأن أسلم،
وبعضهم تردد، ومنهم من أخذه الغرور فأودى به غروره إلى الهلاك،
وكانت الدولتان العظيمتان قد أنهكتهما الحروب واستشرى فيهما الفساد،
فكان ذلك تمهيدا لأقول نجميهما، وبزوغ شمس الإسلام على ربوعهما،
وما كان يحوزانه من ممالك وشعوب، وصدق قول الرسول ﷺ: يادوا..
وباد ملكهم..

(١) ومنها الطبقات لابن سعد، ٢٦٤-٢٨٧، والطبرى ١٢٠/٣-١٢٣، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي
والخلافة الراشدة، ص ٧٠-٧٧، والبداية والنهاية لابن كثير، ١٢٣-٣٣/٥

الباب الرابع

الترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ

١- أسس الترتيبات الإدارية لمناطق شبه الجزيرة العربية :

اقتضت ظروف الجزيرة العربية وأحوالها، أن ينظم العرب حياتهم إبان الجاهلية على أسس قبلية، واستوى في ذلك إلى حد بعيد أهل الحضر والبادية، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، وهي تتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد، يحملون اسمه اعتزازا به، ويتحملون مسئوليات وواجبات مشتركة تجاه الدفاع عن القبيلة وعن أى من أفرادها، ومن ثم التصدى لأيّ خطر يدهمهم، ويتقاسمون الغرم والغنم معا، ومن هذا المعنى فإن القبيلة تعتبر هي المظهر الأول البسيط للدولة.^(١) تحوطها مجموعة من الأعراف والتقاليد، تنظم حياتها بموجها.

وكان ترتيب القبيلة ترتيبا تنازليا يتكون من: الشعب ثم القبيلة ثم العمارة، ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة، ثم العشيرة^(٢)، أى أن أكبر تجمع

(١) من تقديم كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، للدكتور/ صالح أحمد العلي، ص ٧.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٠٤، كنز الأسباب ومجمع الآداب، حمد بن إبراهيم الحقيقل ص ٢٢.

يتمثل فى الشعب الذى تتفرع منه عدة قبائل، وأقل تلك التجمعات هى العشيرة وتقابل العائلة فى عصرنا الحاضر تقريباً.

جاء الإسلام فأبقى على تشكيلات القبيلة ونمط حياتها، التى كانت تحياها طالما كان ذلك يتفق مع مبادئه وتعاليمه، ولهذا نجد أن الله - عز وجل - حين بعث نبيه محمداً ﷺ أمره أن يبدأ بعشيرته وأهله ﴿١﴾ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴿١﴾

فالأقربون أولى بالمودة والرشد والهداية ثم من يليهم. وهكذا تتسع الدائرة لتشمل كافة القبائل ثم العرب ومن دخل فى حوزتهم، ثم لتشمل أبناء آدم جميعاً إلى يوم الدين وهو عمومية الرسالة.

ومنذ هذا الإبلاغ للأهل والعشيرة، صدر عن رسول الله ﷺ كم هائل من الأقوال والأفعال مصاحبة لنزول القرآن الكريم، توضح كافة الأمور التشريعية من توحيد وعبادات ومعاملات ومكارم أخلاق، وغير ذلك مما يحفظ الإسلام ويصون المسلمين، ويجعلهم أعزة إن اتبعوها.

كان من بين الأسس التى تعهد بها الرسول ﷺ فى منهجه لوضع الزبنيات الإدارية لإنشاء الدولة الإسلامية ما يلى:

(١) سورة الشعراء، آية ٢١٤.

* تغيير مفهوم الولاية فى العرف القبلى وغيره، إلى ولاية أسمى وأجل، فى ظل الإسلام، وهى الولاية لله - عز وجل - ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾^(١) ولأن الرسول محمد ﷺ هو مبعوثه لأهل الأرض فالولاية منوطة بطاعته فى كل ما يتعلق برسالاته، ومن ثم الإلتزام بكل ما يأمر به وينهى عنه ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾^(٢) والحث على التفانى فى الولاء، والطاعة والإنقياد حتى يكون الله ورسوله أحب إلى المسلم من نفسه وماله وولده.. وانتهى بذلك الولاء المطلق لرئيس القبيلة، ولأية رئاسة أخرى لا تكون فى طاعة الله ورسوله^(٣).

فقد جاء فى كتاب رسول الله ﷺ وعهده إلى عمرو بن حزم حين بعثه والياً على نجران: أن ينهى الناس - إن كان بينهم هيج - أن يدعوا أو يتداعوا إلى القبائل والعشائر^(٤) وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعى إلى العشائر والقبائل، فليُعطَفُوا بالسيف^(٥) حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده^(٦).

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

(٢) سورة النساء، آية ٥٩.

(٣) الدولة فى عهد الرسول ﷺ، للدكتور/ صالح أحمد العلى، مجلد ١، ص ١٠١.

(٤) أى إذا نادى المنادى للجهاد، أو استصرخوا لأى سبب كان فلا يقولون: يا آل فلان .. ويا آل فلان كما كانوا فى الجاهلية.

(٥) أى فليضربوا بالسيف.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير، ٨٨/٥، وتاريخ ابن خلدون ٥٤/٢.

* أن الإمارة أو الولاية كانت إما عامة أو خاصة، فالعامة ما يفرض فيها الوالى بالنظر فى سائر أعمال الرعية الذين يخضعون لولايته فى كافة الأمور الدينية والدنيوية غالباً.

وذلك كوالى الإقليم أو أى مصر من الأمصار، مثلما كان الوضع عندما توسعت الفتوحات فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبقية الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية والعباسيين، لكنه فى العهد النبوى لم ينل أحد من الولاة الإستقلالية التامة لحتمية الرجوع إلى الرسول ﷺ فى الأمور التشريعية التى كانت تعترض الولاة فى أعمالهم اليومية، وكانت تدور بينه ﷺ وبينهم مكاتبات تحمل إليهم توجيهات فيما يجب أن يتبعوه^(١) وكانت كافة الولايات على اتصال دائم ومستمر بالمدينة المنورة. لذا فإن الولاية فى عهده ﷺ كانت ولاية خاصة، إما لإدارة شؤون البلدة، أو القبيلة، أو الإقليم، أو لقيادة الجند عند الإستنفار، أو لتعليم أمور الدين والشرع، أو للقضاء بين الناس، أو لجمع الصدقات وحماية الجزية والخراج، أو غيره^(٢)

* أن رئيس القبيلة كان إذا سبق وتقدم معلناً إسلامه وإسلام من وراءه من قومه، ظل فى موقعه من رئاسة القبيلة وإدارة شئونها، وله ولقبيلته ما أسلموا عليه من أرضهم وما يحوزونه من المنافع الخاصة بهم والأرفاق المشاعة بينهم، وربما عقد له الرسول ﷺ لواء يقود قبيلته تحت

(١) انظر طبقات ابن سعد، ٢٦٥/١-٢٩٠، ومجموعة الوثائق السياسية، للدكتور محمد حميد الله، ص ١٧٩.

(٢) طبقات ابن سعد، ٢٦٦/١ وما بعدها، والأحكام السلطانية للماوردي ص ٣٠-٣٢، ١٤٧.

هذا اللواء عند الإستنفار إلى ساحة الجهاد وربما أيضا عهد إليه بجمع صدقات قومه، وأقطعه، أو أقطع القبيلة أو أحد أفرادها بعض الإقطاعات، وكتب لهم عهدا بذلك. مثلما فعل مع خالد بن ضماد الأزدي، وجنادة الأزدي، وأبى ظبيان الغامدي، وقبيلة بارق^(١) وخثعم وأهل جرش وبطون بني كعب وغيرهم من شتى القبائل.

* أن مكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء ورؤساء القبائل والعشائر كانت تحمل إليهم الدعوة للدخول في الإسلام، وفي الوقت نفسه تحمل لهم بواعث الترغيب في الإقدام والإسراع في أن من استجاب منهم سيظل في موقعه واليا أو أميرا أو رئيسا للقبيلة فمثلا: نجد أن المنذر ابن ساوى حاكم البحرين^(٢) أسلم مبكراً فظل بها والياً إدارياً، وكان بجواره العلاء بن الحضرمي للأمر الديني والإمامة في الصلاة والإشراف على جمع الزكاة وتوزيعها^(٣)، فلما توفي المنذر تولى مكانه العلاء بن الحضرمي بأمر من الرسول ﷺ وكذلك الشأن يجيهر الجلندي حاكم عمان، وبأذان في اليمن جميعها، وأمراء المناطق والمخاليف، كل استمر في موقعه حين بادر بالدخول في الإسلام، ليديره إدارياً، بينما إذا تردد وتأخر وسبقه آخر تتوافر فيه عناصر القيادة نال تلك الرئاسة لشرف سبقه، فمثلا: حين سبق فروة بن مسيك المرادي نظرائه وأنداده، ولاه رسول الله

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٩٦-١٩٨.

(٢) كانت منطقة الأحساء يطلق عليها في ذاك الوقت البحرين، أما البحرين الحالية فكانت تسمى جزيرة أوال.

(٣) طبقات ابن سعد، ٢٧٦/١.

ﷺ على قبيلة مراد وزبيد وبعض مذبح^(١)، مما أوغر صدور بعض من يرون أنهم أهل لها وأولى بها منه، كقيس بن المكشوح المرادى، وربما كان ذلك أحد الدوافع لردته ومناصرتة للأسود العنسى^(٢).

* أن كافة المدن والخواضر والبوادي مما اتخذته القبائل مواطن لها كان محدد المعالم لا تعزبه الجهالة، ولا يتداخل بعضها في بعض لأهمية معرفة ما يجبى عنه من عشر أو خراج أو جزية، إن كان يتوطنها أحد من أهل الكتاب وظل على دينه، وأنه كانت توجد حمى تحوط بالبلدان ومواطن القبائل أو على مقربة منها، تعد حرما لها، ويحذر على أى فرد حيازته، أو تملكه لأن منفعتة للجميع كالمرافق العامة.

فمعروف أن مكة المكرمة لها حرم وضعت على حدوده أنصاب وعلامات قيل: منذ الخليل إبراهيم عليه السلام، وأنها كانت تجدد بين الحين والآخر، وقد جددتها الرسول ﷺ عام الفتح، ثم كان يتم تجديدها كل فترة بعد ذلك^(٣) وجعل الرسول ﷺ للمدينة حرما، وهو ما بين جبلى غير إلى ثور بالقرب من أحد، أو إلى

(١) طبقات ابن سعد، ١/٣٢٧.

(٢) السيرة الحلبية، ٣/٢٥٩، والطبرى، ٣/١٣٤، وقيس بن المكشوح (اسم المكشوح : هيرة) فهو : قيس بن هيرة ابن عبد يغوث بن سلمة، من زاهر من مراد، إرتد ثم أسلم، وحسن إسلامه الجمهرة، ص ٤٠٧، وكذلك كان الشأن بعمرو بن معد يكرب الزبيدى. وقد أعلننا ذلك صراحة عند الردة.

(٣) شفاء الغرام، للفاسى ١/٥٤-٦٦.

أحد، وقيل حرمها على مسافة بريد من كل ناحية من النواحي الأربع، وأن النبي أرسل كعب بن مالك الأنصاري لوضع أعلام على أربع جبال محيطة بالمدينة^(١).

كما جعل الرسول ﷺ، البقيع - وهو غير بقيع الغردق الذى اتخذ مقبرة - حمى للمدينة، وكان بقدر ميل فى ستة أميال ترعى فيه خيل المسلمين، واتخذ البيضاء بالقرب من الريزة حمى لإبل الصدقة ولإبله^(٢)، ثم أضاف أبو بكر الصديق فى عهده الريزة حمى لإبل الصدقة، وأضاف عمر فى عهده حمى بالشرف مثل حمى أبى بكر لإبل الصدقة^(٣)، ونلاحظ أن أهل مدينة جرش طلبوا من الرسول ﷺ - عند وفودهم إليه بإسلامهم - أن يحمى لهم حمى حول قريتهم جرش على أعلام معلومة، فلبى الرسول ﷺ طلبهم وكتب لهم بذلك كتابا^(٤).

أما المرافق وكان يقال لها: الأرفاق، فهى مقاعد للناس بالأسواق وأفنية الشوارع، ومنازل الأسفار على الطرق، وفى القلوات، ودروب اجتياز السابلة فى المفاوز والقفار، وما تحتويه من آبار وأشجار وغير ذلك مما يعتبر منفعة عامة للجميع ولا يملكها أفراد، فكان على الحاكم حفظها، والقيام برعايتها^(٥).

(١) شفاء الغرام، ٣٣٧/٢، ٣٣٨، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

(٢) المغازى للواقدي، ص ٥٣٨، وحمى البقيع الذى اتخذ الرسول ﷺ، بصدر وادى العقيق على بعد عشرين فرسخا من المدينة. التراتيب الإدارية ٤٤١/١.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٨٥.

(٤) سيرة ابن هشام، ٢٣٤/٤، والطبرى، ١٣٠/٣، وطبقات ابن سعد، ٣٣٧/١.

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٨٧.

* أن الإسلام شمل أرض شبه الجزيرة العربية تقريباً، وذلك قبل وفاة الرسول ﷺ، وعلم به القاصي والداني ممن يعيش على ترابها، والمسلمون يعرفون معرفة تامة أرض كل ناحية ومواطن كل قبيلة من حيث حدودها وكونها أرض عشر، أو خراج أو جزية أو غير ذلك مما تترتب عليه الأمور التشريعية.

وكانت هناك أراض للمزارعة فمثلاً عند قيام يعلى بن أمية بإجلاء نصارى نجران بأمر من عمر بن الخطاب وتسلمه لأراضيهم وتعريضهم قيمتها، أصبحت هذه الأراضي ملكاً للدولة، فكتب يعلى إلى عمر يسأله عما يصنع فيها، وفي غيرها مما هي بهذا الوضع، فكتب له عمر: انظر كل أرض خلا أهلها عنها، فما كان من أرض بيضاء (أى ليست ملكاً لأحد) تُسقى سبحة (أى بآلة أو بغير جهد) أو تسقى السماء (أى دون آلة) فما كان فيها من نخل أو شجر فادفعه إليهم (أى لأهل المنطقة) يقومون عليه ويسقونه، فما أخرج الله من شئ فلعمرو وللمسلمين منه الثلثان ولهم الثلث، وما كان منها يسقى بغرب (آلة بهذا الاسم) فلهم الثلثان ولعمرو وللمسلمين الثلث، وادفع إليهم ما كان من أرض بيضاء يزرعونها^(١)، فمثل هذه الأراضي احتوتها السجلات، ودونت فى دواوين لكى يعرفون مساحتها ومن يقوم على زراعتها، وأين تقع؟ وغير ذلك من معلومات تكون لدى الدولة، ويعرفها من يوكل له الأمر بعد يعلى بن أمية أو حتى

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص ١٦٢.

بعد عمر بن الخطاب، وهو ما تنبه له عمر وسجله بتلك الدواوين. وأنه كانت هناك أرض مشاع تغدو إليها البادية في تتبعها لمواقع الغيث والكلأ والمرعى فإذا استوفوا غرضهم عادوا لمضاربهم ومواطنهم الأولى، التي قلما تركوها إلا لظروف قاهرة، ولكون ذلك نادرا، فإن هجرات القبائل كان حدثا معروفا يروونه في أحاديثهم وسجلته كتب التاريخ، لأنه غالبا كان بسبب المنازعات والحرب بين القبائل في الجاهلية، فلما جاء الإسلام قضى على المنازعات والمشاحة بين القبائل، ودعا إلى التآلف والمودة، وحدث استقرار في البادية فضلا عن الحاضرة، ولم تحدث هجرات إلا في سبيل الله، إبان التوسع في الفتوحات الإسلامية. وعلى ضوء هذا الاستقرار الذى منحه الإسلام للحاضرة والبادية تحددت معالم الأرض لكل لتنفيذ مقتضيات الشريعة وعدم التدخل في اختصاص الولاية أو الأمراء بكل ناحية.

* مما دعم هذا الاستقرار وساعد على تحديد معالم الأرض تلك الإقطاعات التى كانت يقطعها الرسول ﷺ للوافدين عليه بإسلامهم أو إقرارهم على ما أسلموا عليه من أرض ومياه مما يوحى باستمرار تملكهم لتلك الأرض فيما قبل الإسلام وبعده، أو تملكهم لها ابتداء لكونها كانت مشاعا، وبذلك ترفع المشاعة عنها فلا يحدث لهم من غيرهم مشاحة أو منازعة عليها، وبالتالي تتحدد معالمها، وكان كثير من تلك الوفود يطلبون من الرسول ﷺ أن يكتب لهم بذلك كتابا أو عهدا مكتوبا يحملونه في عودتهم لموطنهم، وظلت تلك الكتب والعهود يحتفظ بها الناس سنين

عديدة، ويتوارثها الأبناء عن آبائهم إعتزازاً بها وبكونها صادرة من الرسول ﷺ إلى الأباء والأجداد^(١) وتلك الإقطاعات أو العهود للأفراد أو للوفود مشروطة ضمناً بأل تكون حقاً أو ملكاً لغير من يطلبها، أو حتى من المنافع العامة التي يشترك الناس في الإنتفاع بها، فمثلاً: أقطع الرسول ﷺ بلال ابن الحارث المعادن القَبَلِيَّة^(٢) بأرض مزينة بينما امتنع عن إقطاع ما كان فيه منفعة للجميع، وذلك حينما جاء الأبيُّض بن حَمَال وافداً على رسول الله ﷺ وطلب منه أن يقطعه ملح مأرب، فهم أن يقطعه إياه إلا أن الأقرع بن حابس التميمي كان حاضراً بالمجلس فسارع قائلاً: يا رسول الله إني وردت هذا الملح في الجاهلية، وهو بأرض ليس فيها غيره، ومن ورده أخذه (أى أخذ حاجته منه) عندئذ توقف الرسول ﷺ عن إمضائه هذا الإقطاع للأبيض بن حمال لأنه يعد منفعة عامة^(٣).

كما امتنع الرسول ﷺ من إعطاء أرض قبيلة لقبيلة أخرى، وذلك عندما وفد عليه حريث بن حسان الشيباني بإسلامه هو وقومه، وقد رافقته في سفره امرأة عجوز، هي قبلة بنت مخزومة من بنى النضير، ذهبت إلى الرسول ﷺ تشكو إليه أخا زوجها الذي أخذ منها أطفالها بعد وفاة زوجها، فلما وصلا إلى المدينة، وضمهما مجلس الرسول ﷺ جعلت المرأة

(١) أنظر أمثلة لتلك الكتب والعهود في كتاب "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة" ص ١٩١ -

٢٣٥، والطبقات لابن سعد، ٢٦٦/١ - ٢٩٠.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٩٨.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٩٧.

تثنى على رفيقها فى الطريق وعلى شهادته وكرم أخلاقه أمام الرسول ﷺ ثم عرضت شكواها، وهذا بذلك روعها، ولكنها سمعت رفيقها فى الطريق، حريث الشيباني يطلب من الرسول ﷺ أن يكتب له ولقومه جزءاً من الدهناء^(١) قائلاً: اكتب بيننا وبين بنى تميم بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور، وهم الرسول ﷺ أن يأمر بكتابة ذلك له ولقومه، ففزعت المرأة قائلة: يا رسول الله إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك! إنما هذه الدهناء هى مقيد جملى ومرعى غنمى أنا وقومى وهى وطنى ودارى، ونساء بنى تميم، وأبناؤها وراء ذلك! عندئذ أمر الرسول ﷺ بالإمساك عن الكتابة وقال: صدقت المسكينة، المسلم أخو المسلم، يسعهما الماء والشجر^(٢).

وكان الأشعث بن قيس وغيرهم من كندة، قد نازعوا وائل بن حجر فى وادٍ بحضرموت^(٣) فادعوا ملكيتهم له منذ الجاهلية فسأل الرسول ﷺ بعض أقبال حمير وحضرموت عن حقيقة ذلك، فشهدوا به لوائل بن حجر فكتبه الرسول ﷺ فى كتابه لوائل حتى لا ينازعه فيه أحد^(٤).

(١) صحراء الدهناء معروفة، تقع فى الشمال الشرقى لنجد، تمتد من جنوب البصرة حتى الربع الخالى شرقاً.

(٢) طبقات ابن سعد، ٣١٩/١، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٢١٢، والبداية والنهاية لابن كثير، ٩٦/٥، وفيه: الحارث بدل الحريث.

(٣) هو وادى شبة المعروف والموجود حالياً بهذا الاسم.

(٤) طبقات ابن سعد، ٢٨٧/١، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٠٣، ٣٤٥.

وسأل صخر بن أبى العيلة الأحمسي، من خثعم، رسول الله ﷺ بئرا كان لبطن من بنى سُلَيم، تركوه قبل إسلامهم وهربوا خوفا من أن يطأهم جيش المسلمين فأعطاه له، ثم مالث بنو سليم أن قدموا على الرسول ﷺ فأعلنوا إسلامهم، ثم طالبوا صخر بإعادة البئر لهم فرفض، فشكوه إلى رسول الله ﷺ فبعث إليه، فلما قدم، قال له الرسول: يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماهم، فادفع إليهم ماءهم، قال: نعم يا رسول الله. ودفع لهم البئر^(١) لأن البئر كان يقع فى مواطنهم الأصلية التى كانوا قد تركوها وهربوا ثم عادوا إليها بعد إسلامهم، فمن حقهم الأرض بما عليها.

* كان يوجد فى العرب من له علم ودراية بأعمال المساحة والقياسات وتحديد الأراضى والخبرة بنوع تربتها، وغير ذلك من الأمور فلما جاء الإسلام وضع هؤلاء خبرتهم فى خدمته، فيما كان يعهد لهم القيام به من تلك الأعمال، ومن الصحابة الذين عرفوا بذلك: عتبة بن غزوان، الذى اختار موقع مدينة البصرة وخططها إلى إقطاعات^(٢)، وزيد ابن ثابت وكعب بن مالك، وجبار بن صخر أخو بنى سلمة، اللذان عهد إليهما النبى ﷺ وضع علامات لتحديد معالم حرم يثرب على الجبال المحيطة بها^(٣)، وتميم بن أسد الخزاعي الذى عهد إليه الرسول ﷺ بتحديد أنصاب

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٣٩٤/٤.

(٢) الحمرة، ص ٢٦١. والبداءة والنهاية، ٥٣/٧.

(٣) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

الحرم حول مكة المكرمة يوم فتحها عام ٨هـ^(١) وحذيفة بن اليمان الأزدي، وعثمان بن حنيف، اللذان بعثهما الخليفة عمر بن الخطاب في عهده لمسح أرض سواد العراق، فتولى حذيفة مسح تلك الأراضي فيما وراء دجلة وخطط ما بها من إقطاعات وتولى عثمان مسح ما دون ذلك، وتخطيط ما به من إقطاعات^(٢) وأبو الهيثم بن التيهان، وسهل بن أبي خيثمة وحباب بن صخر السلمي، وفروة بن عمرو البياضي، الذين بعثهم عمر إلى فدك وخير ليقوموا أرضها ويعوضوا أهل الكتاب الذين أجلاهم عنها^(٣) ويعلى بن أمية التميمي الذي أشرف على إجلاء نصارى نجران وتعويضهم عن أراضيهم وعقاراتهم التي تركوها^(٤) وغير هؤلاء كثيرون عملوا على تحديد المواقع والأماكن والبقاع وترسيم الحدود بالمناطق التي كانت بحاجة إلى تحديد،

* كان من اهتمامات الرسول ﷺ، إيجاد نوع من الترتيب الإداري، منذ وفد إليه أهل يثرب في موسم الحج، مكة المكرمة، قبل الهجرة، في بيعة العقبة الأولى وعقب بيعة العقبة الثانية طلب منهم أن يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبا يكونون كفلاء وعرائف على قومهم، ومسئولون عن

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس، ١٨٠/٢.

(٢) الأحكام السلطانية للمواردي، ص ١٧٤.

(٣) الكامل لابن الأثير، ٢٢٤/٢، والمغازي، ص ٧١٨.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٥٩، ١٦٢.

عشائريهم^(١) وكانوا بمثابة حلقة وصل بينه وبينهم، وكانت العرفاء فى زمن النبى ﷺ أمر معروف، فكان على كل عشيرة عريف، وكل قبيلة عدة عرفاء يرأسهم رئيس العرفاء، وهو رئيس القبيلة غالباً، واستمر الأمر كذلك إلى أن فرض العطاء فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأنشأ لهذا الغرض الدواوين: ديوان العطاء، وديوان الجند، وديوان الخراج، وغير ذلك^(٢).

فاهتمام النبى ﷺ بتحديد العرفاء فى القبائل، وتحديد موطن كل قبيلة هو لإيجاد نوع من الترتيب الإدارى المبكر، وكان إهتمامه بذلك أكبر كلما انتشر الإسلام فى البلدان وبين القبائل، فعيين الرؤساء على القبائل والأمراء على البلدان والمناطق، واستتبع ذلك تحديد إمارة كل أمير أو رئيس حتى لا تتداخل الاختصاصات وتحددت بذلك مسؤوليات كل منهم عن إقامة أمور الشرع وتوطين الاستقرار بمنطقته.

* كما راعى الائتلاف والتحالفات السابقة بين القبائل طالما كان ذلك لا يتعارض مع تعاليم الإسلام الذى يحث على الترابط والتآخى والمودة والتعاون، فامتد ذلك الارتباط إلى الأرض التى تقيم عليها القبائل بكل ما تشتمل عليه من منافع وتحيز إقليمي، بمعنى أنه لم تنزع من أية قبيلة أرضها أو تجلو عنها لتستقر فى مكان آخر إلا برغبتها، طالما دخلت

(١) الطبرى، ٣٦١/٢، ابن الأثير، ٩٩/٢، البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣، فقه السيرة، محمد الغزالي، ص ١٥٩.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٣٠.

الإسلام مالكة لتلك الأرض، واستمرت فى طاعته والولاء له. وعمل بالعرف السائد وأقوال أهل المدن ورؤساء القبائل والعشائر فى تحديد بلدانهم ومواطنهم، وأرفاقها والمشاع، من البوادرى والصحارى، فإذا حدث تنازع على أرض ما، تم التقصى عن حقيقة الوضع حتى يتم الوصول إليها مثلما حدث بين الأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى الذى ذكرناه سابقا.

* أن الأعرابى كان يعتز بانتسابه إلى آبائه وأجداده، أكثر من انتسابه إلى الأراضى والبلدان التى يقيمون عليها بمعنى أنه كان يقال: فلان الأزدى، والأسدى، والتميمى، ولم يقل عنه المكى، أو المدنى أو الصنعانى، إلا فى عصور متأخرة ذلك لأنه كان مرتبطاً بإسم القبيلة أكثر من ارتباطه بالأرض التى يقيم عليها، بل إن الأرض كانت هى أيضاً تنسب إلى القبيلة فيقال: أرض قبيلة هوازن وثقيف وأسد وميم، وغيرها، وهذا يعطى مدلولاً على كثرة الترحال والتنقل من أرض إلى أخرى إلا أن هذا لم يكن يقلل من إهتمامهم بالأرض التى يقيمون عليها ومن أنهم كانوا يدافعون عنها حتى الممات لأنهم بذلك يدافعون عن وجودهم وكيانهم المعيشى على تلك الأرض، وعار عليهم أن يطأها أحد رغماً عنهم، أو أن تنتزع منهم قهراً، لذلك سعوا إلى إيجاد نوع من الألفة والرباط والولاء مع جيرانهم، حتى يكونوا يدا واحدة على كل من يغير عليهم. وامتد هذا الولاء أو التحالف فى الأراضى المتجاورة حتى تشكلت تجمعات إقليمية صغيرة متجانسة ومترابطة سكانياً وجغرافياً .. وكان هذا هو الملاحظ فى منطقتنا

موضوع الدراسة من حيث تجانسها وتوافقها، ثم من حيث ارتباطها عاطفياً بمكة المكرمة .. وجاء الإسلام والمنطقة على هذا الوضع من قديم.. فكان حري بالإسلام ألا يشتت هذا التجمع، وإنما يؤكد ويدعمه، وهذا ما تم بالفعل كما نراه فيما بعد.

وعلى كل فهذه بصفة إجمالية أهم الأسس التي تعهدها الرسول ﷺ، للترتيبات الإدارية عند نشأة الولايات والإمارات التي تكونت منها الدولة الإسلامية منذ بزوغ فجرها حتى تعالت شمسها وضحاها.

٢- نصيب منطقتنا من تلك الترتيبات الإدارية :

أشرنا فيما سبق الى أهم الأسس التى تعهدها الرسول ﷺ لنشأة الولايات والإمارات التى تكونت منها الدولة الإسلامية، والتى من بينها ارتباط الأرض بجزءها الاقليمى، والعرف السائد بين العرب فى مدى هيمنتهم على مواطنهم، وأهمية تحديد تلك المواطن، والأرض ومرافقها، والمحوز منها والمشاع، لما يترتب عليه من أمور شرعية، وكذا مراعاة التحالف، والتوافق، والتجانس بين أهل المدر والوبر، كما أوردنا بعض القرائن والأدلة التاريخية على ارتباط منطقتنا موضوع الدراسة بكل من مكة والطائف، وإن كانت مكة لها النصيب الأوفر لتشرفها بوجود البيت العتيق بها، فهم يفلدون اليه للحج فى المواسم، لذا فان الارتباط كان ارتباطاً روحياً وعاطفياً، فى صورة من التوقير والإجلال، ولم يكن ارتباطاً إدارياً حيث لم تكن هناك دولة قائمة تهيمن على وسط شبه الجزيرة العربية، فيما قبل الإسلام .

ولما فتحت مكة، ودانت قريش للإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا بعداوتة، فدخلوا فى دين الله أفواجا، وتتابع وفودهم على المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وأسلم من حول

مكة من العرب، كنانة، وهوازن وخزاعة، وثقيب، والأزد وغيرها من قبائل المنطقة^(١)

وكانت وفود القبائل تقبل بإسلامهم واسلام من وراءهم من قومهم وعشيرتهم، فيقرهم الرسول ﷺ، على ما أسلموا عليه من أراض ومياه وغيره، ثم يختار من بينهم من يتولى تصريف أمور القبيلة من النواحي الإدارية، واستتباب الأمن، وإقامة أمور الشرع، وكثيرا ما كان يعقد له راية ليقود أبناء قبيلته إذا ما كان هناك هيج واستنفار عام للجهاد، فإذا ما توافرت شروط الولاية الدينية في ذلك الرئيس، كأن يكون أحفظهم للقرآن الكريم، وأفقههم في الدين، عهد إليه أيضاً بإمامتهم في الصلاة، وإذا لم يكن بعث معهم من يؤمهم، ويفقههم، ويقضى بينهم وفق تعاليم الشرع، وهؤلاء كانوا يعتبرون وكلاء أو مساعدين لأمراء المناطق بكل حاضرة أو بادية^(٢). وقد لاحظنا ذلك فيما سبق عند وفود قبائل المنطقة الى المدينة بإسلامها.

فعقب فتح مكة عام ٨ هـ استعمل الرسول ﷺ، والياً عليها عتاب ابن أسد^(٣) وترك معه معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، يعلمان الناس

(١) السيرة الحلبية، ٢٣٨/٣، وابن خلدون، ٥١/٢، والبداية والنهاية، ٤٦/٥

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١١

(٣) هو عتاب بن أسد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، كان عمره واحدا وعشرين عاما، قد غلبه الورع والزهد، أسلم يوم فتح مكة، ورأى الرسول ﷺ، فيه ملامح القيادة، بجانب ورعه وزهده فولاة مكة، وقال له وهو يودعه عائدا الى المدينة: استعملتك على أهل الله فظل واليا عليها الى أن توفي يوم وفاة أبي بكر --

القرآن، والتفقه بأمور الدين، وحدد لعتاب راتباً مقداره درهما كل يوم، فقام عتاب خطيباً فى الناس، بعد انصراف الرسول ﷺ الى المدينة، وقال: أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقنى رسول الله ﷺ درهما كل يوم، فليست لى حاجة الى أحد^(١)

وحج عتاب بالمسلمين فى تلك السنة، قيل بعهد من الرسول له بذلك، وقيل بصفته واليا على مكة ومخاليقها، وكانت مخاليفها هى المناطق المحيطة بها، أرض هذيل، وكنانة، وخزاعة، وغيرها من قبائل المنطقة، وتشمل أرض تهامة من جنوب ينبع تقريبا، ثم بامتداد ساحل البحر جنوبا حتى بداية ولاية فروة بن مسيك المرادى حين ولايته، وكان والياً فى البداية على الأشعرين، وزبيد، وبعض مذحج، فى تهامة اليمن^(٢) وكان الفاصل بين الولايتين - قبل الترتيب الجديد للولايات - هو أرض عك المجاورة للأشعرين وغالبا هى أرض لعسان ببطن تهامة^(٣) جنوب الشرجة

== الصديق - رضى الله عنهما - وقيل توفى بعد ذلك، البداية والنهاية لابن كثير ، ٤/٤١٣ ، وسيرة ابن هشام ، ٤/٢٣١ والسيرة الحلبية ، ٣/٥٩ ، ٢٣١ ، والأزرقى ، ١/١٥٣ ، والمغازى ص ٩٥٩ ، وشفاء الغرام بأختيار البلد الحرام ٢/٦٢ - ٦٧ .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، ٤/٤١٣ ، سيرة ابن هشام ، ٤/٢٣١ ، المغازى للواقدي ص ٩٥٩ ، والطبرى ، ٣/٩٤ ، والأزرقى ، ١/١٨٥ .

(٢) كان الرسول ﷺ قد ولاه اياها عند وفادته اليه عام ٩هـ ، انظر : البداية والنهاية ، ٥/٨٠ ، والطبقات لابن سعد ، ١/٣٢٧ ، ثم حدث تعديل لتلك الولاية فى الترتيبات الادارية للولايات والامارات ، التى نظمها الرسول ﷺ عقب حجة الوداع وستأتى على ذكرها بعد .

(٣) الهمداني ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(و بلدة الموسم الحالية) فقد كانت الشرجة ساحل بلد الحكم^(١) إذ ذاك، ويبدو أنه حدث تنافس بين فروة بن مسيك وبين نظرائه من أبناء القبائل والتي ولى عليها، مثل: قيس بن عبد يغوث (المكشوح) المرادى، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى نتيجة لرواسب قديمة، مما دعاهما فيما بعد الى الانضمام الى الأسود العنسى، وقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك :

وجدنا مُلكَ فروة شرَّ مُلكٍ حماراً سافَ مِنْخَرُهُ بَثْفِرٍ^(٢)
و كنت إذا رأيتُ أبا عمير ترى الحولاءَ من خُبثٍ وغدرٍ^(٣)

وكان من نتيجة هذا التنافس وغيره من العوامل^(٤) أن أعاد الرسول ﷺ تحديد تلك الولاية، وغيرها من الولايات فى المنطقة، فقلّص ولاية فروة وجعله على زبيد ومراد، وقيل على مراد فقط، وجعله تابعاً لإمارة الجند، وجعل الطاهر بن أبى هالة والياً على الأشعرين وعك، وتابعاً لإمارة مكة، لأن القبيلتين يعودان فى نسبهما الى عدنان، لأن النبى ﷺ، قال للأشعرين حين قدم عليه وفدهم: " أنتم مهاجرة اليمن من ولد إسماعيل " ^(٥) وقال حين أعاد ترتيب الولايات: " اجعلوا عمالة عك فى

(١) الهمدانى ، ص ٦٨ ، ٢٥٨ .

(٢) ساف : أى شم . والثغر : للحمر والسباع وذوات المخالب : الفرج .

(٣) وأبو عمير : لقب فروة . والحولاء : للناقة ، كالمشيمة للمرأة ، وهى التى يكون بداخلها الطفل المولود ، ويكون بها ماء يخرج على رأس المولود وجسمه . انظر البداية والنهاية ، ٨١/٥ .

(٤) كوفاة باذان والى اليمن بكافة مَخالفه . ودخول الإسلام جميع البلدان باليمن .

(٥) البكرى ، معجم ما استعجم ، ٥٤/١ .

بنى أبيها، معد بن عدنان^(١) وولى عليها الطاهر بن أبى هالة، وكانت
عك من القبائل التى انتسبت فى بعض الفترات الى القحطانية، غير أن
هناك من الشعر ما يفيد نسبتهم الى عدنان، ومنه قول العباس بن مرواس
السلمى وهو يفاخر عمرو بن معد يكرب الزبيدى بقبائل معد بن عدنان،
ويعتزى إليهم:

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد
وقول آخر من أبناء عك :

وعك بن عدنان أبونا، ومن يكن أباه أبونا يغلب الناس سوددا^(٢)

وبعض نسابى قحطان ينسبون عك هذا الى عك بن عدنان بن عبد
الله من الأزد^(٣) ومعظم بطون عك نزحت الى شمال أفريقيا والأندلس إبان
الفتوحات الإسلامية منهم القائد الإسلامي الشهير، أمير الأندلس عبد
الرحمن الغافقى^(٤) وكان الطاهر بن أبى هالة مساعد لعتاب، وقيل كان
مستقلا وسواء أكان الطاهر بن أبى هالة يخضع لإمارة مكة المكرمة، أو
يستمد تعليماته من المدينة المنورة مباشرة، فإن انفصال هذا الجزء عن ولاية
فروة بن مسيك يعطى دلالة على أهمية الترتيب الجديد، الذى استقرت

(١) الطبرى، ٣/٣١٨، والأغانى . ج ١١، ص ١٥٤، ١٥٥ .

(٢) البكرى، معجم ما استعجم، ١/٥٤ وابن خلدون، ٢/٣٠٠، والجمهرة، ص ٢١٠، ٣٧٥ .

(٣) ابن خلدون، ٢/٢٩٩ .

(٤) الجمهرة، ص ٣٢٨ .

عليه الأوضاع بالمنطقة، من حيث التآلف والتوافق بين القبائل فيما يخدم الإسلام، ودلالة أيضا على أن هذا الجزء امتداد لتهامة الحجاز، ولذا قال الطبري: "توفى رسول الله ﷺ، وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد، والطاهر بن أبي هالة: عتاب على بنى كنانة، والطاهر على عك" (١)، فالمقصود بأرض مكة تهامة الحجاز، والطبري اعتبر أن أرض عك والأشعرين ضمن تهامة الحجاز، وأنهما آخر الحدود الجنوبية لإمارة مكة المكرمة، واعتبرها ابن خرداذبة أيضا: من مخاليف مكة التهامية وكذلك ابن الأثير. (٢)

وكانت مواطن الأشعرين وعك تبدأ من جنوب الشرجة (الموسم) حتى بلاد قبيلتي مراد وزبيد التي تضم سهام، والمهجم (سردد)، والحصيب (زبيد الحالية) والقحمة (٣)، والمعفر، والكدراء، ومور، وغيره من بلدان وبوادي، وكانت مور هي الملاصقة جنوباً لموطن بنى الحكم بن سعد العشيرة (٤) أى أنها بداية ولاية الطاهر بن أبي هالة، ومنتهى ولاية عتاب بن أسيد فيما إذا لم يكن خاضعاً له.

أما بالنسبة لعسير (عسير السراة) فقد كانت خاضعة للطائف من حيث التبعية الإدارية فقد كانت ولاية الطائف تمتد من الطائف شمالاً ثم

(١) الطبري، ٢١٨/٣.

(٢) المسالك والممالك، لابن خرداذبة، ص ١٣٣، الكامل لابن الأثير حوادث عام ١٩٧ هـ.

(٣) هي غير القحمة - بفتح القاف - التي بساحل تهامة عسير، وشمال الموسم بحوالي ٣١٠ كيلاً.

(٤) الحمداني: ص ٧٣، ٧٥، ٢٥٨.

تنحدر جنوباً فى السراة بمختلف مخاليفها وأعراضها فى الجنوب والشرق حتى حدود ولاية خالد بن سعيد بن العاص، على ما بين رمع وزبيد، والى حدود ولاية عمرو بن حزم الأنصارى بنجران، ومن المرجح أن يكون الحد الفاصل بين ولاية الطائف بكل مخاليفها وسراتها وبين ولاية سعيد ابن العاص هو وادى طلحة الملك الذى سبق أن نوهنا عنه فى بداية البحث^(١) والذى يبعد عن صعدة بحوالى ٧٥ كيلو متر فى الشمال الغربى.

وكانت ولاية الطائف موزعة بين عثمان بن أبى العاص، ومالك بن عوف النصرى، من بنى نصر أحلاف ثقيف، عثمان على أهل المدر (أى الحضر) ومالك على أهل الوبر (أى البادية) وتشمل معظم قبائل السراة ومخالفه، ثم شاركهم بعد فترة عكرمة بن أبى جهل فكان على أعجاز هوازن، أى المنطقة التى بها حالياً تربة وما حولها شمالاً وجنوباً^(٢) وقيل كان عكرمة قد عهد إليه بجمع الصدقات، ولم يكن والياً^(٣) وأيا كان فمن سير الوقائع يتبين أن عثمان هو الرئيس، وهما مساعدان له، فقد كانت التعليمات من المدينة تصدر اليه بما يتعلق بالطائف والسراة ومخالفها، ثم يقوم هو بابلاغها لهما، ولرؤساء القبائل والعشائر، الذين يرأسون قبائلهم وعشائرهم، فإبان حركة الردة كتب أبوبكر الصديق الى عتاب بن أسيد: أن اضرب على أهل مكة وعملها (أى افرض على مكة وما يتبعها من

(١) انظر ص ١١ - ١٦ من هذا البحث .

(٢) الطبرى ، ٣١٨/٣ ، وقيل : استعمل سعد بن أبى وقاص على حمى الطائف ، المغازى للواقدي ص ٩٧٣ .

(٣) التراتيب الإدارية ، ٣٩٧/١ .

بلدان وبوادی، تجهيز) خمسمائة مقو (أى رجل قوى بآلاته واستعداداته) وأبعث عليهم رجلاً تأمنه، فسمى على كل قوم وقبيلة عدداً تجهزه وتعهده، وكان من بينهم رؤساء تلك القبائل، وحاملو الألوية بها، وأمر عليهم أخاه خالد بن أسيد، وانتظر تعليمات أبى بكر الصديق^(١) وكذلك كان الشأن بالنسبة لعثمان بن أبى العاص، فقد أمره أن يضرب بعثاً على أهل الطائف، وعلى كل مخالف بقدره، أى بكل ما يستطيع تجهيزه من المقاتلين، وأمر عليهم أخاه عبدالرحمن بن أبى العاص، وانتظر تعليمات أبى بكر الصديق^(٢) ولأن هؤلاء وغيرهم من الولاة كانوا يعتبرون نواباً عن الرسول ﷺ فى ولايتهم، ثم نواباً للخلفاء الراشدين من بعده، فلم تكن لهم صلاحيات عامة، بحيث يهيمنون هيمنة كاملة فى ولاياتهم، وإنما كانوا يخضعون للمحاسبة، والرقابة الشديدة، وكثيراً ما كانت التعليمات تتخطاهم الى أحد مساعديهم، أو مرؤوسيهـم من رؤساء القبائل، أو الشخصيات الهامة من أبناء المنطقة، اذا ما كان فى ذلك مصلحة، أو عمل يحتاج الى سرعة فى التنفيذ أو مهمة تحتاج الى حكمة، كما نرى ذلك كثيراً إبان مواجهة أبى بكر الصديق لحركة الردة .

وأيضاً مثلما بعث الرسول ﷺ جرير بن عبدالله البجلي - وهو من أبناء المنطقة - أوائل عام ١١هـ، الى ذى الكلاع بن حبيب بن مالك بن حسان تبع، والى أخيه عمرو باليمن، يدعوهم الى الإسلام، فأسلموا،

(١) انظر الطبرى ، ٣/ ٣٢٢ ، وابن خلدون ، ٢/ ٦٨ .

(٢) الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة .

وأسلمت امرأة ذى الكلاع، وكثيراً من قومهم ومن يلوذ بهم، وظل جرير لديهم يعلمهم القرآن، وأمور الدين حتى وفاة الرسول ﷺ، فأخبره ذو عمرو بوفاة الرسول، فخرج جرير مسرعاً إلى المدينة، وسار معه عمرو حتى خرج من بلاد اليمن^(١) فكلف أبو بكر الصديق خليفة رسول الله جرير بالعودة إلى السراة، وجمع ما يستطيع جمعه من أبناء القبائل بالمنطقة والتحرك نحو نجران لمساعدة قبائلها في القضاء على حركة الردة، ثم الانتظار بها حتى تأتیه تعليمات أخرى. مما سنذكره فيما بعد.

المهم أن الترتيبات النهائية للولايات أواخر عهد الرسول ﷺ كانت على الوجه الآتي:

١- عتاب بن أسيد على مكة وما حولها ويساعدة الطاهر بن أبي هالة على تهامة والحجاز، الممتدة جنوباً حتى نهاية أرض عك والأشعرين.

٢- عثمان بن أبي العاص، من قُسَيٍّ، من ثقيف على الطائف، ويساعدة مالك بن عوف النُصْرِي على سراتها، ومخاليقها، وعكرمة بن أبي جهل على عجز هوازن وما يمتد من تربة جنوباً حتى ولاية نجران.

^(١) طبقات بن سعد، ٢٦٥/١، ٢٦٦، والطبري، ١٨٧/٣، وبهجة المحافل، ليحيى بن أبي بكر العامري ٧٤/٢.

٣- عمرو بن حزم الأنصاري على نجران وأوديته^(١) من نصارى قبائل عريية أسلمت عليها، منذ قدم اليها خالد بن الوليد منتصف العام العاشر الهجري، وكانت الحدود الجنوبية لنجران ملاصقة لأرض بعض مذحج في صعدة، ثم همدان، وهم الذين قدم اليهم على بن أبي طالب - رضى الله عنه -، وقال أحد مرافقيه من الصحابة الى ذلك المكان: انها أول بلاد اليمن، وهى أول أرض يمنية تطوؤها جيوش المسلمين كما سبق أن ذكرنا ذلك^(٢) وبعث الرسول ﷺ، أبا سفيان بن حرب الى عمرو بن حزم ليجمع صدقات نجران، ويسهم مع ابن حزم فى تفتيهم بأمور الدين^(٣) وكان تحت هؤلاء أمراء عديدون على أقوامهم وقبائلهم، أو على بعض البلدان كصرد بن عبد الله الأزدي ولاء الرسول ﷺ على بلدة جرش، وتوفى الرسول، وهو عليها^(٤) وقيس بن الحصين ذى الغصة الذى ولاء الرسول على بطون بنى الحارث بن كعب بن نجران وغيرهما كثيرون من رؤساء القبائل بالمنطقة.

(١) انظر الطبري، ٣/٣١٨، وانظر فيما سبق ابن الأثير، ٢/٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) انظر فيما سبق ص ١٤١، ١٤٢ من هذا البحث.

(٣) انظر: نسب قريش، للمصعب الزبيرى، ص ١٢٢.

(٤) الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ٢/١٨٧، فى ترجمة صرد بن عبد الله، وطبقات ابن سعد

وكانت الولايات بأرض اليمن أواخر عهد الرسول ﷺ، على الوجه
الآتى^(١):

١- على صنعاء، وبعض مخاليفها، شهر بن باذان، تولاها بعد وفاة
أبيه باذان، ثم فيروز الديلمي، بعد مقتل الأسود العنسي الذي
قتل شهر بن باذان.

٢- على همدان ومخاليفها: عامر بن شهر الهمداني.

٣- على مأرب، ومخاليفها: أبو موسى الأشعري، وكان أبو موسى
الأشعري قد سبق له أن ذهب الى اليمن لجمع الصدقات، ثم
عاد الى المدينة مع علي بن أبي طالب، وشهد حجة الوداع مع
الرسول ﷺ^(٢)، ثم عاد اليها أميراً ضمن الأمراء الذين عينهم
الرسول ﷺ، وحدد لكل منهم منطقة لها حيز وحدود معلومة،
وذلك بعد حجة الوداع.

٤- على ما بين نجران، ورمع^(٣) وزبيد: خالد بن سعيد بن
العاص، وكان خالد قد ذهب أول الأمر عاملاً على الصدقات

^(١) الطبري، ٢٢٧/٣، ٢٢٨، ٣١٨، وسيرة ابن هشام، ٣٧٧/٢، والبداية والنهاية لابن كثير، ٣٤٦/٦،
وابن خلدون، ٥٩/٢.

^(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٨٨/٥.

^(٣) رمع: قرية: أو موطن أبي موسى الأشعري، ببلاد الأشعرين، بالقرب من غسان الماء الذي نزلته جماعة من
الأزد، في هجراتهم ابان سد مأرب، ثم نزحوا الى الشمال، وتوزعوا، منهم من استوطن السراة وما حولها --

مع فروة بن مسيك المرادى، فى ولايته: مراد، وزيد والأشعرين، وعند التعديل الجديد للولايات أنشئت ولاية فى المنطقة المذكورة، وتولاها خالد بن سعيد بن العاص.

٥- على مدينة الجند، ومخاليقها: يعلى بن أمية بن عبدة التميمى، وكان قد استقطعت من فروة بن مسيك بلاد زيد وضمت الى الجند، ولم يبق لفروة الا مراد قبيلته، فوليها، وكان تابعاً لولاية الجند أيضاً.

٦- وقسمت بلاد حضرموت الى ثلاث ولايات بين كل من: زياد ابن لييد البياضى الخزرجى، وعكاشة بن أصغر الغوثى، الأزدى، والمهاجر بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة أم المؤمنين، لكنه تخلف فى المدينة لمرضه، وظل بها الى أن توفى رسول الله ﷺ، وكان قد بعث الى زياد البياضى لينوب عنه فى إدارة ولايته، فأدارها خلال هذه الفترة حتى وقت الردة. وقيل: عين معاوية ابن كندة على أرض كندة، وأفرد كل ولاية بجيزها وحدودها^(١) وكان ملوك حمير قد أسلموا، وبعثوا باسلامهم الى النبى ﷺ: الحارث، ومسروح ونعيم بن عبد كلال، والنعمان

-- والمدينة ، وطى ، ومنهم من أقامو دولة الغساسنة بالشام، معجم البلدان ، ٦٨/٣ ، وصفة جزيرة العرب

للهمداني ، ص ٣٧٠ .

(١) الطبرى ، ٢٢٨/٣ .

وذو زرعة قيل ذى رعين، ومعافر، وهمدان، وكان رسوهم
مالك بن مرارة الرهاوى، وقد حمل كتابا من ذى زرعة الى
الرسول ﷺ، وصادف وصوله المدينة عودة الرسول من غزوة
تبوك فى شهر رمضان ٩هـ، وأسلم مالك بن مرارة ومكث هر
بالمدينة يحفظ القرآن، ويتفقه فى الدين ولما عزم على العودة فى
بداية عام ١٠هـ بعث الرسول خلفه وفدا فى ربيع الأول
رئيسهم معاذ بن جبل، يتكون من: معاذ بن جبل، وعبد الله بن
زيد، ومالك بن عبادة، ومالك بن مرة، وعقبة بن نُمير وأخريين،
وانضم إليهم مالك بن مرارة لأنه اجتهد فى حفظ القرآن
الكريم والتفقه فى الدين لينتشرها فى بلدان اليمن، ومخالفها،
وجميع أرضها وقراها، يعلمون الناس القرآن، وأمور دينهم
ويقضون بين الناس فيما يعنّ لهم، وكان الرسول ﷺ قد علّم
معاذ كيف يقضى بين الناس، ثم كان يبعث اليه بعد ذلك
الكتب تحمل أمورا تشريعية^(١) وكتب مع مالك الرهاوى كتاباً
الى ملوك حمير، جاء فيه: أما بعد، فانه قد وقع بنا رسولكم
منقلبنا من أرض الروم، فقلينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به ..
وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، وأنه من أسلم من يهودى
أو نصرانى فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن
كان على يهوديته، أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية ..

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٧٩، ١٨٠، وسيرة ابن هشام، ٢٣٥/٤، والأموال لابن سلام، ص ٣٨.

واذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله ابن زيد، ومالك بن عباد، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرة، وأصحابهم .. وأميرهم معاذ بن جبل .. فاستوصوا بهم خيراً^(١) ولذا فان معاذ بن جبل هو وأصحابه كانوا ينتقلون فى تلك الولايات بأرض اليمن ليعلمو الناس ويفقهوهم، ويحكموا بينهم بالاضافة الى جمع الزكاة، ولم يأت أحد منهم بمنطقتنا موضوع الدراسة لأن مهمتهم كانت قاصرة على أرض اليمن، والقبائل التى تتوطنها، وحدث أن رجلاً من قبيلة عكّ ترك موطن قبيلته

^(١) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٨١ ، وطبقات بن سعد ، ٢٤٦/١ ، ٣٥٦ ، وكتاب الأموال للقاسم بن سلام ، ص ٣٩ ، والبداية والنهاية ، ٨٦/٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، وفيه : أن معاذ بن جبل الخزرجى الأنصارى ، أحد خمسة حفظوا القرآن عن ظهر قلب على عهد رسول الله وتفقّه فى أمور الدين ، حتى صار من أعلم الناس بالحلال والحرام ، وكان شاباً وسيماً ، سخيّاً كريماً لا يسأله أحد الا أعطاه حتى أصبح عليه دين استغرق جميع ماله ، وألح عليه غرماؤه ، فكلم الرسول ﷺ ، ليطلب من غرمائه امهاله ، فرفضوا ، فلم يرح أن باع ما يملكه وقسمه بين غرمائه ، واستخلفه الرسول ﷺ ، مع عتاب بن أسيد بمكة ليعلم أهلها القرآن وأمور الدين ، وظل بها الى قبيل غزوة تبوك ، فانطلق الى المدينة وشارك فى تبوك عام ٩هـ مع رسول الله ﷺ ، ثم لما عادوا منها وجدوا رسل ملوك حمير بالمدينة ، ومعهم مالك الرهاوى ، فكان يجالسه كثيراً ، ثم بعثه الرسول الى اليمن أميراً على مجموعة ليعلم أهلها القرآن الكريم ، وأمور الدين ، ويقضى بينهم ، ثم ليحيره فى ماله لقاء ما يأخذه من سعاية فى جمع الصلقات . فلما عاد من اليمن فى عهد أبى بكر الصديق ، وكان معه مال كثير خاص به ، فأشار عليه عمر بن الخطاب بلفعه الى أبى بكر ليضعه ضمن مال المسلمين فى بيت المال ، فرفض أبو بكر وقال ، هو لك لا أخذ منه شيئاً . ثم ذهب مع جيوش المسلمين الى الشام ، وكان حامل لواء الميمنة لجيش المسلمين يوم اليرموك ، وقيل توفى فى طاعون عمواس عام ١٨هـ ، بعد أن عهد اليه أبو عبيد بن الجراح قبل موته فمات هو أيضاً ، البداية والنهاية ، ٩/٧ ، ١٠٥ ، والسيرة الحلبية ، ٢٦٢/٣ ، والتبيين فى أنساب القرشيين ، لموافق الدين بن قدامة ، ص ٤٤١ .

فى تهامة، وتوطن بلدة خيوان^(١) وهى من بلاد همدان، فتعرض له مالك بن مرارة الرهاوى، فتركه العكىّ وقدم على رسول الله ﷺ، بالمدينة، فقال: يا رسول الله، ان مالك بن مرارة الرهاوى قدم علينا - فى خيوان - يدعو الى الإسلام، فأسلمنا، وكلى أرض فيها رقيق ومال، فاكتب لى بها كتاباً، فكتب له كتاباً جاء فيه إن كان صادقاً فى أرضه، وماله، ورقيقه، فله الأمان، وذمة الله، وذمة محمد رسول الله. ^(٢)

وهذا يؤكد أن أرض عكّ الأصلية، وأرض الأشعرين التى تحت ولاية الطاهر بن أبى هالة، لم يدخلها معاذ بن جبل ورفاقه، لأنها خارجة عن نطاق مهمتهم، فمهمتهم محصورة فى أرض اليمن فقط، أما هذه فتابعة لإمارة مكة، وامتداد لأرضها.

ولكى نزيد تلك الارتباطات الادارية وضوحاً، لابد من التعرض لما أحدثته حركة الردة التى واكبت تنبؤ الأسود العنسى^(٣) وازداد لحيها بوفاة الرسول ﷺ وذلك للوقوف على أسلوب مواجهتها، ومعرفة الترتيبات الإدارية التى أتبعت حينذاك.

(١) خيوان : شمال صنعاء بمسافة ١٢٢ كيلو .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٩٣ .

(٣) الأسود العنسى ، هو : عبهلة بن كعب بن غوث بن صعب بن مالك بن عنس من مذحج ، كان كاهناً ، مشعبداً ، يستعمل السحر ، وقيل كان له اتصال بالجن .
الجمهرة ، ص ٤٠٥ ، والطبرى ١٨٥/٣ ، وابن الأثير ، ٣٣٦/٢ .

٣- حركة الردة :

بعد أن رجع الرسول ﷺ الى المدينة من حجة الوداع، أواخر ذى الحجة ١٠هـ، رتب بعض الولايات التى كانت بحاجة الى ترتيب، وتحديد، وبعث عليها الأمراء، وفى أوائل المحرم ١١هـ بعث المصدقين لجمع الزكاة، وصرفه فى مصارفه، ثم بدأ تجهيز حملة يقودها أسامة بن زيد الى مشارف الشام. وحث الناس على الاستعداد للذهاب فى جيش أسامة، ثم بدأ يشتكى من وجعه (الذى توفاه الله به) أواخر المحرم، وقيل: عقب انتهائه، وقيل لليلتين بقيتا من شهر صفر.^(١)

وخلال ذلك خرج الأسود العنسى على الناس متنبئاً، فى النصف الثانى من ذى الحجة ١٠هـ، عقب انسحاب جيش على بن أبى طالب من المنطقة، وعودته الى المدينة، وقت حجة الوداع، ثم عدم وصول بعض الأمراء الذين تم تعيينهم للولايات المحيطة به. ولتشجيع بعض شواذ القبائل له، الأمر الذى هيا له نجاحاً، وانتشر أمره، نظراً لقرب الناس بالجاهلية، ولذا اعتذروا بهذا السبب عند عودتهم الى الإسلام، خرج العنسى من كهف خبان^(٢) واستولى هو واتباعه على نجران، وأخرجوا منها عمرو بن

^(١) الطبرى ، ١٨٥/٣ .

^(٢) كهف خبان : قرية بوادى خبان قرب نجران (معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٤٠) وقيل : بلحج ، ولذا سمي أتباعه : لحجية لذلك ، وهى كانت داره، ونشأته ، وأرض عنس قبيلته كانت بالقرب من مخلاف خولان

حزم، فأنحاز ابن حزم الى قبائل نجران التى ثبتت على إسلامها فى انتظار تعليمات، أو مدد يأتى إليه من المدينة، ويبدو أن ابن حزم ذهب الى المدينة لهذا الغرض، فوجد الرسول ﷺ مريضاً، فبقى بها الى أن توفى رسول الله ﷺ، وبعد ذلك وثب العنسى على ولاية خالد بن سعيد بن العاص، الواقعة فيما نجران، ورمع، وزبيد، فاستولى عليها، وانطلق الى صنعاء، فاستولى عليها أيضاً، وقتل واليها شهر بن باذان، وتزوج امرأته، وأبقى على فيروز الديلمى، وداؤريه الديلمى ليساعده فى الإدارة، وكان فيروز ابن عم امرأة شهر التى تزوجها العنسى، وقامت بدور كبير فى تدبير وتنفيذ خطة الخلاص من العنسى فيما بعد.

كما وثب قيس بن المكشوح المرادى على فروة بن مسيك المرادى، واستولى على مراد وأرضها وأنحاز فروة الى من بقى على إسلامه من بطون مراد ومذحج وغيرهم الى مكان يقال له الأحسية^(١) ثم استولى العنسى واتباعه على الجند، وعدن، ثم بعض المدن الساحل بتهامة الحجاز كالشرجة^(٢) ولم يستول على شىء من أعمال الطائف التى كانت حدودها الجنوبية ملاصقة للحدود الشمالية لولاية خالد بن سعيد، ولذا يقول المؤرخون: غلب الأسود على ما بين صيهد - الربع الخالى - الى عمل الطائف .. أى حدود عمل الطائف^(٣) وظل الطاهر بن أبى هالة مقيماً فى

(١) انظر فى كل ماسبق الطبرى، ١٨٥/٣، ٢٣٠، وابن خلدون، ٦٠/٢، والبداية والنهاية، ٣٤٧/٦.

(٢) الشرجة بساحل الموسم.

(٣) انظر الطبرى، ٢٣٠/٣، وابن خلدون، ٦٠/٢.

ولايته - عك والأشعرين - وانحاز اليه بعض الأمراء كيعلى بن أمية، بعد أن استولى العنسى على الجند (إمارة يعلى)، ولذا يقولون: إن عك معترضون عليه، أى لم يتبعوه واعتضوا طريقه. وكذا همدان وتحيب وكثير من القبائل اليمنية لم يستجيبوا له.^(١)

وكان أول من كتب الى الرسول ﷺ، عن خير العنسى، فروة بن مسيك المرادى^(٢) فوصله الخبر وهو يحث الناس على الخروج فى جيش أسامة، فكتب الى نفر من الأقيال والأبناء ليجمعوا رجالاً ممن ثبتوا على إسلامهم لمحاربة العنسى، كما كتب الى الأمراء فى ولاياتهم يحثهم على التصدى للأسود. ممن ثبتوا لديهم على إسلامهم - وخرج جرير بن عبد الله البجلي من المدينة حاملاً كتب النبى ﷺ، الى كل من: ذى الكلاع، وذى ظليم، فاذا فرغ فلينطلق الى نجران، وكان كتاب النبى ﷺ الى أهل نجران كتاباً عاماً جاء فيه: إلى أهل نجران، إلى عربهم، وإلى ساكنى الأرض من غير العرب .. ثم حثهم فيه على التماسك، والتصدى للعنسى .. فانحازوا فى مكان واحد، وتهيأوا لمواجهة العنسى^(٣) كما أرسل الرسول ﷺ، وبر ابن يحنس الأزدي - وقيل: الديلمي - إلى دافويه، وجشيش، وهم من الأبناء، وإلى بعض الأقيال، ورؤساء القبائل، والأمراء فى ولاياتهم، فذهب أول ما ذهب الى معاذ بن جبل فى السكون بحضرموت، وتحرك معه معاذ

(١) تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس، للديار بكري، ٢٠٢/١، وابن الأثير، ٢٣٦/٢، ٣٣٧.

(٢) الطبرى، ١٨٧/٣،

(٣) الطبرى، ٢٣٢/٣، وابن الأثير، ٣٣٨/٢.

الى من يحمل اليهم كتباً، وعملاً معاً على جميع الناس، ودخل ابن يحنس صنعاء خفية والتقى بفيروز وأصحابه وأطلعهم على كتب رسول الله، وحثهم على التخلص من العنسى، إما بالمواجهة، أو غيلة^(١) وكان من حسن حظهم أن قيس بن المكشوح اختلف مع العنسى، وبدأ يعمل ضده^(٢) وأخيراً تمكن فيروز، وداؤويه، وقيس، من قتل الأسود العنسى غيلة بمساعدة من زوجته^(٣) وجاء الخبر من السماء الى النبي ﷺ، ليلة مقتل العنسى، فأخبر أصحابه قائلاً: إن الله قد قتل الأسود الكذاب، قتل البارحة^(٤) واصطلحوا على أن يتولى الأمر في صنعاء، بصفة مؤقتة معاذ بن جبل، لحين يعين الرسول ﷺ، والياً عليها، وكتبوا بخير العنسى، وأمر الولاية الى رسول الله، فوصل رسولهم المدينة آخر النهار الذي توفى في صباحه رسول الله ﷺ^(٥) وقيل: وصل ثاني يوم الوفاة، وآلت الإمارة الى فيروز، لأن معاذ قدم الى المدينة عند سماعه خبر وفاة الرسول ﷺ، ثم أقره أبو بكر عليها عقب توليته الخلافة.

كان بعض أتباع العنسى قد فروا من صنعاء عقب مقتله، واتخذوا المنطقة التي بين نجران ورمع وزيد مقراً لهم، أى ولاية خالد بن سعيد

(١) الطبرى، ٢٣١/٣، وابن خلنود، ٦٠/٢، والبداية والنهاية، ٣٤٧/٦، ٣٤٨، وابن الأثير ٣٣٨/٢.

(٢) الطبرى، نفس الجزء والصفحة، والبداية والنهاية، ٣٤٨/٦.

(٣) الطبرى، ٢٣٥/٣، والبداية والنهاية، ٣٥٠/٦.

(٤) الطبرى، ٢٣٦/٣، ٢٣٩، وابن الأثير، ٣٤٠/٢، ٣٤١.

(٥) الطبرى، ٢٣٦/٣، والبداية والنهاية، ٣٥٠/٥.

السابقة. أما نجران فقد هب أهلها بطرد اتباع العنسى. بمجرد سماعهم خبر مقتله.

وشاع خبر وفاة الرسول ﷺ، فتصدعت له القلوب، واضطربت الأرض، واستيقظت الفتنة، وصار العرب مابين مرتد، ومانع للصدقة (الزكاة) وواقف ينظر يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، والمسلمون حيارى بين فراق نبيهم وقائدهم يعتصرهم الألم، وبين ذئاب تتربص فريستها.

وكان الله قد ادخر أبا بكر الصديق - المتسم بالطيبة والوداعة طوال حياة الرسول - لهذا الموقف العصيب من دهشة الوفاة، ثم السقيفة، ثم ردة العرب، وأصبح هو فى جانب، وغالبية أولى الرأى والمشورة من الصحابة فى جانب، حيال ردة العرب يقول له عمر: تألف الناس، وأرفق بهم، فيجيبه أبو بكر بتعجب: أجبار فى الجاهلية، خوار فى الإسلام يا عمر؟! قد انقطع الوحى، وتم الدين، أينقص وأنا حى؟ لا والله^(١) والله لو منعونى عقاب بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه^(٢) ثم مالئ الصحابة أن رأوا صواب ما ذهب اليه أبو بكر، فحمدوا الله على قيادته لهم بعد وفاة رسول الله، وأيدوه وناصروه.

(١) تاريخ الخميس، للديار بكرى، ٢٠١/١، الطبرى، ٢٤٢/٣، ٢٤٣، والبداية والنهاية، ٣٥١/٦.
(٢) الطبرى، ٢٤٤/٣، أراد بالعقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ للصلقة، فقد كانت تؤخذ بعقالها، أى أن العقال على صاحبها، وقيل المقصود أقل شىء كانوا يلغونه ولو ما يقابل من عقاب البعير، ثم رفضوا دفعه لقاتلتهم حتى يلغوه.

وكان بعض الولاة قد تركوا أماكنهم فى إماراتهم، وقدموا الى المدينة عقب سماعهم بوفاة الرسول ﷺ، وبقي الكثير فى مواقعهم تحسباً لئلا يخطر يداهم المسلمين فى هذا الموقف العصيب، بل إن بعضهم قام بدور مشابه لما قام به أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله - من التصدى للمرتدين، وترسيخ دعائم الإيمان فى قلب الذين ثبتوا ..

فمثلاً سهيل بن عمرو بن عبد شمس، أحد زعماء قريش وخطيبها وشاعرها المفوه، الذى فاوض الرسول ﷺ نيابة عنها يوم الحديبية ٦هـ، وركب الصعب فى مفاوضاته يومها، حتى تغيط منه بعض المسلمين وفاض صبرهم. أسلم سهيل يوم الفتح، وحسن إسلامه، وظل هو وكثير من زعماء قريش بمكة بعد إسلامهم، ولم يهاجروا الى المدينة لأن الرسول قال: لا هجرة بعد الفتح، فكانوا عوناً لأمير مكة عتاب بن أسيد فى استقرار الأوضاع والأمن فى بلد الله الأمن، وفيما حوله، أو يتبعه من عمالات، وكان سهيل قد أسر ضمن من أسروا من المشركين يوم بدر، ولما عرض على الرسول ﷺ، تقدم عمر بن الخطاب وقال للرسول: دعنى يارسول الله أنزع ثنيته^(١) حتى يلدغ لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً، أو يهجوك بشعر بعد اليوم، فقال الرسول: دعه ياعمى، فلعله يقوم مقاماً تحمده فيه، ولا تذهبنه^(٢) فلما كان يوم وفاة الرسول ﷺ، واضطربت

(١) أى ماتقدم من أسنانه ، حتى يلدغ ، وفى رواية ، أى لا يستطيع نطق الحروف نطقاً سليماً .

(٢) البداية والنهاية ، ٣١٤/٥ ، الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكرى ، ٢٠١/١ .

الأرض، ودارت هممه في مكة تتحدث عن ردة بعض القبائل، وخشى عتاب بن أسيد أن يكون لها صدى ببلد الله الآمن، فقام سهيل خطيباً في المسجد الحرام: فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر أن وفاة الرسول ﷺ، أمر قضى به الله، شأنه شأن سابقيه من الرسل، وأن الله نعاه إلينا وهو بين أظهرنا، وأنه لم يفارقنا إلا بعد أن كملت الرسالة، وأدى الأمانة، وأن الإسلام أصبح في قوة، فمن ربنا أمره ضربنا عنقه دون هوادة^(١) عند ذلك خاف الناس، وكفت الألسنة. أليس هذا هو الموقف الذي قصده الرسول ﷺ، في إجابته على عمر يومها؟ سبحان مغير القلوب!

وفى الطائف وقف أميرها عثمان بن أبي العاص، خطيباً في ثقيف فقال: ناشدكم الله ألا تكونوا أول الناس ارتداداً، وأخرهم إسلاماً^(٢) وكذلك قام عوف بن مالك النصرى في الأحلاف وبعض البوادي وتوعد من يرتد عن الإسلام، ولذا قالوا: ثبت على الإسلام عقب وفاة الرسول ﷺ، ما بين المسجدين، وهذيل، وأهل السراة، وبجيلة، وخثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، وقال أبو هريرة: لم يرجع واحد من دوس، ولا من السراة كلها^(٣) وكذلك لم يرجع كثير من القبائل. فمثلاً يقول أبو مرزوق التحيبي — من قبيلة تحيب باليمن — لم يرجع واحد منا من تحيب، ولا من همدان، ولا من الأبناء بصنعاء، ولقد جاء خبر وفاة رسول الله ﷺ، إلى

(١) البداية والنهاية ٣١٤/٥ .

(٢) تاريخ الخميس، للديار بكري، ٢٠٢/١ .

(٣) تاريخ الخميس، للديار بكري ج ١، نفس الصفحة .

الأبناء، فشقت نساؤهم الجيوب، وضربن الخدود، وهن فى ذهول، وفيهم
المرزبانة، فشقت درعها^(١).

وعلى كل فقد ظل أميرا مكة والطائف، ومن يساعدهما من
رؤساء البلدان والقبائل والعشائر، متيقظين لأية بادرة تظهر فى ولايتهما،
وتوابعهما، حتى تواترت الأخبار الى مكة بتجمع ضئيل من شذاذ بعض
القبائل - مدلج، وخزاعة، وكنانة - يقودهم جندب بن سلمى، أحد بنى
شنوق المدلجى، تجمعوا بمكان يقال له: الأبارق، بتهامة، فيما بين مكة
والمدينة. فبعث عتاب بن أسيد كتيبة قادها أخوه خالد بن أسيد، فشقت
جمعهم، وأعادهم الى صوابهم، حتى ندموا على ما فعلوا، وقال فى ذلك
قائدهم، جندب بن سلمى، نادماً على ما كان منه:

ندمت وأيقنت الغداة بأننى أتيتُ التى يبقى على المرء عارها

شهدت بأن الله لا شىء غيره بنى مدلج فالله ربى وجارها^(٢)

وكتب عتاب بن أسيد الى أبى بكر خليفة رسول الله، مبشراً.

وفى إمارة الطائف حدث أيضاً أن تجمعت شرذمة من شواذ بعض
القبائل - خثعم، وبجيلة، والأزد - تحت قيادة حميضة بن النعمان الأزدى،

(١) تاريخ الخميس، للديار بكرى، والدرع بمثابة العبادة للنساء فى عصرنا الحاضر.

(٢) الطبرى، ٣/٣١٩، وابن خلدون، ٢/٦٨.

فبعث اليهم عثمان بن أبى العاص كتيبة قادها عثمان بن ربيعة الثقفى،
فضض جموعهم، وأعاد الرشد الى عقولهم. وفى ذلك قال عثمان بن ربيعة:

فضضنا جمعهم والنقُّ كالب
وقد تُعَدُّ على الغدر الفتوقُ

وأبرق بارق لما التقينا
فعادت خُلباً تلك البروق

وفى عمالة الطاهر بن أبى هالة - بأرض عك والأشعرين بتهامة،
وكانت امتداداً لعمالة مكة - تجمعت طائفة من شواذ القبائل، عندما سمعوا
خبر وفاة الرسول ﷺ، وكانوا على غير رئيس منهم، فكتب الطاهر بن
أبى هالة الى أبى بكر، ثم سار اليهم ومعه مسروق العكى، وكانوا قد
تجمعوا بالأعقاب بالقرب من الساحل. فهزمهم وشنت جموعهم. وقتل
منهم كثيرين ليهرب غيرهم، وجاءه كتاب أبى بكر، رداً على كتابه، وقد
فرغ منهم، وأقام هو ومسروق العكى فى هذا المكان ليأمننا الطريق.
ويتنظر تعليمات جديدة من أبى بكر.

وفى عدا هذه الأحداث الثلاثة فلم تكن فى ولايتى. مكة
والطائف ما يعكر صفو الأمن فيهما. وأصبحنا عوناً للإسلام، وللدولة
الإسلامية، بقبائلهم وأبنائهم الذين تحت الألوية التى عقدها لهم الرسول
ﷺ، قبل وفاته.

كانت فلول العنسى الذين هربوا من صنعاء ليلة مقتلهم، قد اتخذوا
المنطقة فيما بين رمع، وأبين، وزبيد - وهى الولاية التى كان فيها خالد بن
سعيد بن العاص - مركزاً لهم، ونشاطاً لتحركاتهم وإفسادهم، ويهددون

بذلك إمارة نجران، وجنوب ولاية الطائف، وجنوب عمالة مكة القائم فيها الطاهر بن أبى هالة، وذلك بالاضافة الى صنعاء، والمناطق الشرقية لمركز تلك الفلول، وبخاصة بعد أن انضم اليهم مرة ثانية قيس بن المكشوح، وزحف بهم على صنعاء فاستولى عليها، وهرب فيروز الديلمي أميرها الى أخواله من خولان. فأمسك ابن المكشوح أبناء فيروز وأبناء غيره ممن أصلهم فارسي، ويطلق عليهم الأبناء، وأراد نفيهم عن البلاد، وسيرهم مع حراس ليحملوهم فى البحر الأحمر الى بلادهم فازس فاستصرخ فيروز بقبيلة بنى عقيل بن ربيعة بن عامر، وبقبيلة عك لينقذوا أبناءه وطلعائه من حراس ابن المكشوح قبل أن يدفعوا بهم الى البحر، فأنقذوهم وأعادوهم الى فيروز، ووقفوا بجانبه بعد ذلك ضد ابن المكشوح^(١) وتلقى الطاهر بن أبى هالة تعليمات أبى بكر بالتحرك هو ومسروق العكى لمساعدة فيروز. فاستطاعوا جميعاً استرداد صنعاء من ابن المكشوح، وعاد فيروز إلى إمارتها.

ونظرا لتفاقم الخطر فى هذه المنطقة — أى ما بين رمع وزبيد، الملاصقة لجنوب كل من ولاية مكة، والطائف، ونجران — لتمرکز فالة العنسى بها، وضرورة القضاء على ذلك الخطر قبل أن يمتد أثره الى مناطق أخرى، وبخاصة الى عمالة مكة المكرمة، منطقة الحرم وأرضه، فقد أصدر أبو بكر خليفة رسول الله، عدة توجيهات وتعليمات تحمل طابع السرعة

(١) الطبرى، ٣٢٦/٣، وابن خلدون، ٦٨/٢.

وغالب الظن أنها لم تتخذ فى أية منطقة أخرى إبان فتنة الردة، مما يؤكد على حرصه البالغ لأهمية استقرار الأمن فيها، وفى كل ما يحيط بها من مناطق، وأنه أوكل مهمة استقرار الأوضاع فيها، وعلى حدودها الى أبنائها على وجه الخصوص، فقد خرجت توجيهاته كالاتى:

- كتب الى عتاب بن أسيد، وإلى مكة وأرضها، أن يضرب (أى يفرض) على أهل مكة وعملها تجهيز خمسمائة رجل مقو، أى كل منهم بكامل استعداداته القتالية، وأن يولى عليهم قائداً يأمنه، ويثق فى قيادته، وينتظر تعليمات أخرى^(١) وكان هذه مرحلة استنفار عام، أو طوارئ واستعداد للدخول لمعركة.

- كتب الى عثمان بن أبى العاص أن يضرب (أى يفرض) بعثاً على أهل الطائف، ومخاليفها، كل بخلاف بقدره، أى على كل قبائل السراة، وأعراض الطائف، كل قبيلة أن تجهز من الرجال بقدر حجمها، وقوتها، وأن يكون كل منهم بكامل استعداداته القتالية، ويولى عليهم من يأمنه ويثق فيه، ولما أقبلت الى عثمان جموع تلك القبائل ولّى عليها أخاه عبدالرحمن بن أبى العاص، وانتظر باقى التعليمات من أبى بكر.^(٢)

^(١) الطبرى، ٣/٣٢٢، وابن خلدون، ٢/٦٨.

^(٢) الطبرى، نفس الجزء والصفحة، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة، وفيهما أنه طلب اعداد عشرين رجلاً من كل قبيلة، أو بطن منها.

كان عمرو بن حزم قد انحاز الى بعض قبائل نجران عندما استولى
العنسي على نجران أوائل المحرم عام ١١ هـ. وكتب الى رسول الله ﷺ،
فكتب الرسول كتابا عاما الى أهل نجران، وإلى عربهم وإلى ساكني الأرض
من غير العرب^(١) وربما يكون هذا الكتاب من أواخر الكتب التي صدرت
عن الرسول ﷺ ولذا انحازت قبائل نجران في مكان واحد، وأخذت تستعد
لمواجهة العنسي فاذا به يترك نجران ويتجه الى صنعاء فاحتلها، وبقيت له
بقية بنجران أخرجها أهل نجران عندما علموا بمقتله، أما ابن حزم فإنه
عندما علم بمعرض الرسول ذهب الى المدينة، وظل بها بعد الوفاة،
وأصبحت نجران دون وال. لذا فان أبا بكر تدارك هذا الموقف وأمر جرير
ابن عبد الله البجلي، بأن يخرج الى السراة، ويقود ما يقدر على جمعه من
رجال قبيلته بجيلة والقبائل الأخرى، ويقا تل بهم من يسمع أنهم ارتدوا،
من شرادم الناس، ثم يتجه بعد ذلك الى نجران فيقيم فيها، حتى يأتيه
أمره^(٢).

- كتب أبو بكر الى عبد الله بن ثور بن أصغر الغوثي، الأزدي،
أن يجمع جموعاً من قبائل وسط تهامة وعسير، ويقيم مكانه حتى يأتيه
أمره^(٣).

(١) الطبري، ٢٣٢/٣.

(٢) الطبري، ٣٢٢/٣، وابن خلّون، ٦٨/٢.

(٣) الطبري، ٣٢٨/٣، وعبد الله هذا هو أخو عكاشة بن ثور، أحد الولاة الثلاثة الذين ولاهم رسول الله بأرض

حضر موت.

- كتب الى الطاهر بن أبى هالة، بأن يسير ومعه مسروق العكى، نحو ولاية أرض صنعاء لمساعد فيروز والأبناء ضد قيس بن المكشوح، بغرض العمل على استعادة صنعاء منه، وذلك بعد أن تأكد أبو بكر من أن عمالة الطاهر أصبحت مستقرة.

- ثم عقد أبو بكر لواء للمهاجر بن أبى أمية المخزومى - أخو أم سلمة أم المؤمنين - وكان الرسول ﷺ، قد ولاه كندة بحضرموت لكنه مرض وبقي بالمدينة. وكتب المهاجر الى زياد بن ليلى البياضى، الخزرجى بإدارة إمارته نيابة عنه لحين حضوره، ثم توفى رسول الله والمهاجر لم يرح المدينة بعد، فعقد له أبو بكر لواء يقاتل به الفارين المتمردين من أتباع العنسى، الذين يهددون جنوب كل من ولاية مكة والطائف، ونجران. وقد اتخذوا المنطقة فيما بين نجران ورمع وزبيد مركزاً لهم، فاذا فرغ منهم فليذهب الى ولايته بحضرموت، وكان المهاجر يعتبر آخر الألوية التى عقدها أبو بكر، وخرجت من المدينة الى كل الجهات أو بالأحرى من ذى القصة، كانت تعليمات أبى بكر الى المهاجر أن يتخذ مكة طريقه لتنضم اليه الحشود والقوات التى سبق أن طلب من الولاة تجهيزها، وحمل المهاجر كتباً لهم من أبى بكر بانضمامهم اليه، وتحت قيادته، فمر المهاجر بمكة فانضم اليه خالد بن أسيد بقواته التى سبق تجهيزها، ومر بالطائف فانضم اليه عبدالرحمن بن أبى العاص، بقواته، ثم سار حتى انضم اليه عبد الله بن ثور حين حازاه بالسراة، وأخيراً انضم اليه جرير بن عبد الله البجلي، عن

معه من قوات، حيث أصبحت نجران هادئة^(١) وانضم اليه أيضا فروة بن مسيك، وكان عمرو بن معد يكرب، قد وثب عليه، وخلعه عن ولاية قبيلته مراد، فأقبل فروة الى نجران فأقام فيها مع جرير بن عبد الله البجلي حتى قد قدم المهاجر بن أبي أمية فانضم اليه، وسار جميعهم تحت قيادة المهاجر الى منطقة تمركز القبالة المتمردين أتباع الأسود، وعند دخوله المنطقة التي بها المتمردون، استسلم كل من عمرو بن معد يكرب، وقيس ابن المكشوح، فبعثهما المهاجر لأبي بكر، فأنبهما ثم عفا عنهما وحسن إسلامهما، وأبلىا بلاءاً حسناً خلال الفتوحات الإسلامية، ثم مالبت عكرمة أن تقدم بجيشه الى المنطقة، وأسهم مع المهاجر فى القضاء على شراذم الفالّين بالمنطقة، ثم تقدم المهاجر الى صنعاء التي كانت قد استقرت الأمور فيها بجهود كل من فيروز والطاهر بن أبي هالة، وتولى الأمر فيها فيروز، ومنها كتب المهاجر الى أبي بكر بكل الذى صنع، وانتظر تعليمات أبي بكر قبل أن يتحرك الى ولايته فى حضرموت، فجاءه كتاب أبي بكر بأن يسير مع عكرمة لنجدة زياد البياضى، ثم يذهب لولايته، وقبل أن يتحرك من صنعاء عليه أن يأذن لمن معه، ومن انضم اليه من أهل ولاية كل من مكة، والطائف، ونجران، ومخاليفهم أن يعودوا لمواطنهم إلا أن

(١) الطبرى، ٣/٣٢٩، ابن خلدون، ٢/٦٨، ويقول ابن خلدون (إن تعليمات أبي بكر الى المهاجر ابن أبي أمية بأن يسير الى اليمن ليصلح من أمره. ثم ينفذ الى عمله، وأمره يقتال من هم بين نجران وأقصى اليمن)، وهذا واضح بأن المنطقة التي كان يقيم بها الفارون أتباع العنسى، وهى ما بين نجران، ورمع، وزيد، هى أقصى بلاد اليمن. أى آخرها شمالاً، وهى الجاورة لحدود ولاية مكة والطائف من الجنوب.

يؤثر أحد منهم الجهاد، فيسير معه. ثم أمده أبو بكر بعبيدة بن سعد^(١) وهذه أيضاً من التعليمات التي لم تصدر لأى قائد بشأن مواطنى أية منطقة خلاف مكة والطائف ومخالفيهما، ولذا نلاحظ أن جرير عاد واستقر فى نجران يدير شئونها، وبعد ذلك ذهب الى المدينة ليستأذن أبا بكر فى الذهاب الى ميادين الفتوحات.

أما عكرمة فظل بمنطقة ماين رمع وزبيد، بعد أن عاد لها الاستقرار فى انتظار تعليمات أبى بكر، فاذا به يصله كتاب أبى بكر يطلب منه سرعة السير الى زياد بن ليلى البياضى لنجدته، فانطلق عكرمة بمن معه من جند الى صنعاء، ومنها سار هو والمهاجر بمن معهما من جند الى حضرموت لنجدة زياد^(٢) وما يلاحظ أن من أورد نص كتاب أبى بكر لعكرمة لنجدة زياد، قال إن عكرمة كان بمكة، أو تبالة^(٣) لكن الصواب أنه كان بالمنطقة التى تمركز فيها الفارون أتباع العنسى وهى ماين رمع وزبيد .. وبقي فيها بعد أن تم القضاء على المتمردين فى انتظار تعليمات أبى بكر، وأن الذى غادرها هو المهاجر، ذهب الى صنعاء وغالب الظن أنه حدث خلط بين استدعاء عكرمة لعقد لواء له وبين تكليفه بنجدة زياد، ذلك أن عكرمة كان قد عين أواخر عهد الرسول ﷺ، والياً، ومصدقاً على عجز هوازن أى منطقة تربة وما حولها، ولما تنبأ العنسى واستولى

(١) الطبرى ، ٣/ ٣٣١ .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ، ص ٣٠٢ .

(٣) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ، ص ١٣٠ ، ٣٠٢ .

على نجران ذهب عكرمة الى تبالة لمراقبة العنسي، وجمع ما يقدر على جمعه من أبناء قبائل المنطقة، لمنع العنسي من القفز الى ولايتي مكة والطائف فيما لو فكر في ذلك. وبعد وفاة الرسول ﷺ وتولية أبي بكر، استدعاه أبو بكر من تبالة الى ذي القصة^(١) التي اتخذها أبو بكر مقراً له لعقد الألوية وتحريك الجيوش الى المناطق لمواجهة الردة، وكان أول لواء عقده هو لواء عكرمة وأمره بالسير الى مسيلمة باليمامة واتبعه بشر حجيل بن حسنة^(٢) لكن عكرمة تعجل الاشتباك بمسيلمة قبل وصول شرحبيل فمُنِيَ بهزيمة، فكتب الى أبي بكر، فجاءه خطاب أبي بكر حاملاً تأنيباً ولوماً، ويأمره بالسير الى عمان ومهرة لمساعدة حذيفة بن اليمان، وعرفجة بن هرثة، ثم ليكن وجهته بعد ذلك منطقة فالة العنسي، ليقابل هناك المهاجر بن أبي أمية^(٣) وقد نفذ عكرمة تعليمات أبي بكر، ووفقه الله كل التوفيق، بعد الهزيمة الأولى وانتظر تعليمات جديدة من أبي بكر وهو بهذه المنطقة — مابين رمع، وزبيد — فجاءته تعليمات أبي بكر بالسير الى نجدة زياد بن لييد البياضي، في حضرموت، وليس إلى دبا وعمان كما جاء في نص الكتاب، أو فيما فهم خطأ من أنه ورده وهو بمكة أو تبالة.

(١) ذو القصة، قيل: على بعد بريد من المدينة تلقاء نجد، وفاء الوفاء ٣٦٢/٢ وقيل: بينها وبين المدينة ثلاثون ميلاً، أى ٤٨ كيلو متر تقريباً، الناسك وأماكن طرق الحج لأبي على الهجرى ص ٣٣٠، وانظر الطبرى، ٢٥٤/٣.

(٢) الطبرى، ٢٤٩/٣.

(٣) الطبرى، ٢٨١/٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٧.

وعموماً فإن المنطقة تكون بذلك قد هدأت، وزال الخطر الذى كان يهدد جنوب كل من ولاية مكة، والطائف، ونجران، واتجهت جهود أبناء تلك الولايات الثلاث وغيرهم، الى الفتوحات الإسلامية.

والمهم أن الولايات الثلاث ظلت معروفة بما يتبعها من بوادى، ومخاليف، وأحواز، على نفس هذه الحدود والمعال^(١) بالرغم من هجرة بعض القبائل أو تنقلها من مكان لأخر، أو حتى مع زحفها على مجاورها من مناطق لم تكن بحوزتها من قبل، وذلك إبان الفتوحات الإسلامية، ونزوح العديد من بطون القبائل الى البلدان المفتوحة فبالرغم من تحركات بعض القبائل من مواطنها الا أن حدود الولايات ظلت معروفة على هذا الوضع، وسجلت فى الدواوين التى أنشأها الخليفة عمر بن الخطاب وبخاصة فى ديوانى الخراج، والأعطيات، وتأكد تثبيتها، ومن ثم إيضاحها أكثر فى عهد الخليفة المأمون عندما جمع العلماء، وعهد إليهم بوضع جغرافية للأمصار والولايات، ونشط العلماء فى تصنيف كتب البلدان والمعاجم، لتحديد الأماكن والبلدان وقياسات المسافات بينها.

(١) وحدد كثير من المؤرخين اليمن بثلاث ولايات : صنعاء ومخاليفها، وحضرموت ومخاليفها، والهند ومخاليفها (وهى تهامة اليمن) ثم بعد فترة احتلت عدن مكان مدينة الهند، كقاعدة لهذه المنطقة أو الولاية، وكانت جميعها تحت ولاية وال واحد أو أكثر وفق الظروف. انظر ابن خردادبة، ص ١٣٤.

ولأنود بهذا أن نستبق الأحداث التاريخية، فسوف يمر بنا ما يؤكد هذا القول ويدعمه، غير أن مقتضى الحال هنا يستوجب علينا أن نشير إلى نقطة مهمة فيما نحن بصدد من سرد أحداث تلك الفترة.

كان نصارى نجران عندما علموا بوفاة الرسول ﷺ، وتولية أبى بكر الصديق خليفة له، بعثوا وفدا إلى خليفة رسول الله، ليحدد لهم عهد الرسول الذى أعطاه إياهم. فكتب لهم أبو بكر كتاباً جاء فيه: هذا كتاب من عبد الله أبى بكر، خليفة رسول الله ﷺ، لأهل نجران^(١) أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ، إلا ما رجع عنه محمد ﷺ، بأمر الله عز وجل، فى أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بها دينان^(٢) أجارهم على أنفسهم بعد ذلك، وملتهم، وسائر أموالهم، وحاشيتهم، وعاديتهم، وغائبهم، وشاهدتهم، وأسقفهم، ورهبانهم، وبيعهم^(٣) وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم^(٤) فاذا أدوه فلا يحشرون، ولا يعشرون^(٥) ولا يغير أسقف عن أسقفية، ولا راهب عن رهبانية، ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ،^(٦) وعلى ما فى هذا الكتاب من ذمة

(١) أى للنصرة من أهل نجران، ذلك أن أهل نجران لم يكن كلهم نصارى، وإنما كانت فيها قبائل عربية عديدة أسلمت، وهذا أيضاً يفهم من نص هذا الكتاب الذى كتبه لهم أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - .

(٢) سبق لنا التعرض لما ورد بشأن هذا الموضوع، انظر ص ١٣٥ - ١٤٠ من هذا البحث .

(٣) البيع : جمع بعة، وهى الكيسة، وصوامع الرهبان .

(٤) أى عليهم ما سبق أن فرضه عليهم الرسول ﷺ، دون زيادة أو نقصان

(٥) أى فلا يفرض عليهم بحث للمشاركة به فى المغازى، ولا ترسل عليهم الجيوش لغزوهم .

(٦) الطبرى، ٣/ ٣٢١، ٣٢٢، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ١٥٨، ١٥٩ .

محمد رسول الله ﷺ، وجوار المسلمين، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق.

وذيل الطبرى هذا النص بخبر - دون أن يتحرى مدى مصداقيته - يقول: إنه كان لدى نصارى نجران - فى ذاك الوقت - أربعون ألف مقاتل، من بنى الأفعى، الأمة التى كانوا عليهم قبل بنى الحارث بن كعب^(١) ولا ريب أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، فنصارى نجران كانوا قلة بالقياس الى بقية سكان نجران من القبائل العديدة التى أسلمت^(٢) ثم إن نجران بكامل سكانها تعد منطقة محدودة بالقياس الى غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، والمسلمون كانوا يشغلون مساحة أكبر منها بكثير، وقت فتح مكة، ومع ذلك فان جيش المسلمين يومها كان عشرة آلاف رجل، وعددهم يوم حنين، الذى تباهاوا فيه بكثرتهم، وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة، لم يزد عددهم عن خمسة عشر ألف رجل، فى إحدى الروايات المتفائلة، وجيش المسلمين يوم اليرموك، الذى حشدوا فيه كل طاقتهم، لم يتجاوز ثلاثين ألفاً، ويوم القادسية بعد استنفار عمر كافة القبائل فى شبه الجزيرة العربية، لم يصل عددهم أربعين ألف رجل! فكيف يكون لدى بنى الأفعى أربعون ألف مقاتل؟! وبالطبع خلفهم آلاف مؤلفة من المسنين،

(١) الطبرى، نفس الجزء والصفحة، ومجموعة الوثائق السياسية نفس الصفحة، والبلاذرى، ٧٦/١.

(٢) انظر وفود القبائل على الرسول ﷺ من بنى الحارث بن كعب وغيرهم من قبائل نجران، مجموعة الوثائق السياسية ص ١٣٤ - ١٣٩.

والنساء والأطفال غير القادرين على حمل السلاح^(١) ثم يوحى إليهم أبو بكر الصديق - فى هذا الوقت بالذات، وقت ردة العرب - بأنهم فى طريقهم الى الجلاء عن أرض العرب، إن عاجلاً أو آجلاً، حيث جاء فى نص كتاب أبى بكر لهم: (..) وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ، بأمر الله عز وجل، فى أرضهم وأرض العرب، ألا يسكن بها دينان) ويسمعون هذا لأول مرة^(٢) ويتلقونه كتابة من أبى بكر دون أن تفتح لهم شفاه، ولو لمجرد الاستفهام؟! ثم الى من يعدون هولاء الأربعين ألف مقاتل، اذا لم يستغلوهم فى هذا الوقت العصيب الذى يمر به المسلمون، أو حتى وقت جلائهم!! ثم من هم بنو الأفعى؟ لقد انتهت رياستهم لنصارى بنجران منذ زمن بعيد ودرجوا^(٣) ولو افترضنا أن أحدا منهم كان باقياً خلال تلك الأحداث التى تتناولها فهم أفراد مغمورون لا ذكر لهم، ولا صيت.

إن أمثال هذه الأرقام خيالية وردت كثيراً فى أخبار الأمم فى عصر ما قبل الإسلام ولم يتناولها أحد فى غالب الأحيان بالتمحيص. أما إذا

(١) ومجروف أنه عند الاستنفار لدى أية دولة حديثة ، أن نسبة من يتم إعدادهم للميدان لا يتجاوز ربع السكان بأى حال .

(٢) فقد ثبت أن هذا من آخر ما نطق به النبى ﷺ

(٣) بنو الأفعى هم أبناء رهم بن مرة أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد كهلان ، وكان منهم الأفعى الذى كانت العرب تتحاكم اليه بنجران ، ويقول صاحب الجملهرة : إنهم درجوا أى هلكوا وليس لهم عقب على قيد الحياة فى عصره .

أنظر الجملهرة ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

وردت ضمن التاريخ الإسلامى فينبغى أن توضع تحت مبضع التشريح، ذلك لأن البعض - وبخاصة المستشرقين - يستغلونها لبث سمومهم الناقعات للنيل من الإسلام، ومن خلفاء الرسول ﷺ وليس أدل على ذلك مما قاله المستشرق الألماني (يوليوس قلهوزن)^(١) فقد أتهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -، بالإخلال بالعهد اخلاًلاً منكراً، وأكـره نصارى نجران على الجلاء عن جزيرة العرب، وأنه تسبب فى نقصهم وضعفهم فى البلاد التى انتقلوا إليها، حتى أن عمر بن عبد العزيز فى خلافته أمر بإحصائهم، وهم بنجرانية الكوفة بالعراق، فوجدهم أربعة آلاف فقط بدلاً من أربعين ألفاً. فتبين أنهم على العشر من عددهم وعدتهم السابقة، فخفف عنهم الجزية الى العشر، وقال هذا المستشرق: (.. فألزمهم مائتى حلة بدلاً من ألفين، أو بعبارة أخرى ثمانية آلاف درهم بدلاً من ثمانين ألفاً، وربما أراد عمر بن عبد العزيز بذلك من وجه ما، أن يصلح ظلم عمر بن الخطاب لهم)!!

وهكذا انتهى قوله! وليته يدرك أن الإسلام أقوى بكثير من كل السهام المصوبة إليه فى كل عصر وزمان، وهو باق ما دام أهله متمسكين به، والرسول ﷺ، أعدل من تعامل مع مخالفيه من أهل الكتاب، والخلفاء الراشدون أنزه من تعاملوا مع أهل الذمة، ووفوا لهم بعهودهم التى قطعها

(١) انظر كتابه (تاريخ الدولة العربية، من ظهور الإسلام الى الدولة الأموية) ص ٢٩١، نقلة الى العربية الدكتور/ محمد عبد الهادى أبو ريـدجـة ، وراجع ترجمته الدكتور/ حسي مؤنس ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٦٨ م.

لهم رسول الله، لكن الطاعنين دأبهم المغالطة دائماً فى ما يوردونه أو يتلقفونه من نصوص، فقد غاب عن هذا الطاعن - إما قصداً أو دون قصد - أن وفد نصارى نجران قدم المدينة عام ١٠ هـ، وجلسوا الى الرسول ﷺ، يجادلونه ويحاورونه حتى هم بمباهلتهم، لكنهم تراجعوا مخافة أن ينزل عليهم عذاب الله نتيجة كذبهم، وقبلوا طائعين دفع الجزية^(١) بعد أن عرفوا كيفية دفعها، ومقدارها عن كل حالم - أى الذى بلغ الحلم من الرجال - وأن من أسلم منهم، أو مات تسقط عنه الجزية، ومن يولد ويبلغ الحلم تفرض عليه، وأنهم الذين أفادوا بعددهم الإجمالى وقتها، كى يُضمَّن ذلك كتابة فى العهد الذى كتبه لهم الرسول ﷺ، وتسلموه قبل مغادرتهم المدينة، وهذا العدد الإجمالى يزيد أو ينقص وفق الدخول فى الإسلام، أو الوفاة، أو المواليد الجدد اذا بلغوا الحلم... بمعنى أنه لم يكن المطلوب منهم دفع مبلغ مقطوع إجمالى، ومن نص هذا العهد نعرف عددهم الإجمالى يومها، وهو (٢٠٠٠) ألفا رجل فقط، وليسوا أربعين ألفا، ذلك أنه ورد فى العهد أن عليهم فى العام (٢٠٠٠) ألفا حلة (لأن على كل حالم حلة)، ألف منها تدفع فى شهر صفر، والألف الأخرى فى شهر رجب، أو تدفع قيمة الحلة اذا تعسر عليهم دفع الحلل (الملابس، أو الأردية) لأى سبب كان، وقيمة الحلة الواحدة أوقية من فضة، أو أربعون درهماً، (أى أن قيمة الأوقية كان يساوى أربعين درهماً) أو أن يدفع جزء من الفدية بما

(١) انظر طبقات ابن سعد، ٢٨٨/٣، ٣٥٧، والطبرى، ١٣٩/٣، وابن الأثير، ٢٩٣/٢، والسيرة الحلبية، ٢٣٥/٣، ٢٣٦، والبلاذرى، ٧٦/١، والبداية والنهاية، ٦٠/٥ - ٦٤.

يوازى قيمته سلاحاً، أو خيلاً، أو عروض تجارة .. فأى تيسير أكثر من
هذا؟

ويبدو أن بعض الصحابة أنهى إلى أسماعهم ألا يخادعوا الرسول ﷺ،
أو يغشوه فى أى أمر كان أثناء المفاوضات، وكتابة العهد، وأن يصدقوا
فيما يقولونه، وفى ذكر عددهم الذى يضمن فى العهد، فخشوا ذلك،
وطلبوا من الرسول ﷺ، أن يرسل معهم رجلاً أميناً، يطلع على مآلديهم،
وعلى عددهم، ويقبض الجزية المحددة، فقال لهم: سأبعث معكم أميناً أى
أمين، ونادى أبا عبيدة عامر بن الجراح، وقال: هذا أمين هذه الأمة.

من هذا نعرف أن عددهم كان (٢٠٠٠) ألفاً رجل، يزيدون
وينقصون، فإذا كان قد تم إحصاؤهم فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز،
ووجدوا أنهم أربعة آلاف، يكونون بذلك قد تضاعف عددهم، فى ظل
الحماية والرعاية الإسلامية لهم. أما كونهم اشتكروا لبعض الخلفاء ضخامة
ما يدفعونه من جزية وأنه خفف عنهم، فربما يعود ذلك إلى حالة كساد فى
صناعتهم النسيجية، أو ارتفاع التكاليف أو لأية نازلة ألت بهم،
والتخفيف فى حد ذاته يدل على سماحة الإسلام فى التعامل مع أهل
الذمة، ومما يلاحظ هنا أن العهد قد حدد الجزية المقررة بحلل، وهى
الأقمشة، مما يدل على أنهم كانوا متقدمين فى صناعة النسيج. يختلف
أنواعه، وأن الأردية والأثواب النجرانية كانت لها شهرة واسعة، وأن
الرسول ﷺ، كانت لديه بردة قطيفة نجرانية، وقيل: إن شقران، خادم
رسول الله، دفعها فى قبر الرسول يوم وفاته ﷺ، وقال: والله لا يلبسها

أحد بعدك.^(١) ثم إنهم كانوا يمارسون بعض الصناعات والحرف الأخرى كالحدادة والنجارة، وصناعة الجلود، بالإضافة إلى التجارة والزراعة.

ثم إن يعلى بن أمية، الذى أشرف على عملية إجلائهم، كان قد بعث إلى عمر يفيد به ما فعله معهم، قبل رحيلهم، كما يفيد به بأنه لم يُكره أحداً منهم على الدخول فى الإسلام، أو يرغمه على بيع ممتلكاته بثمن بخس، وغير ذلك من أمور، فكتب عمر كتاباً عاماً إلى أهل رعاش كلهم^(٢) .. أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وأنه من ثبت منكم على إسلامه^(٣) ويصلح، لا يضره ارتداده السابق ونصاحبه صعبة حسنة، فاذكروا^(٤) ولا تهلكوا، وليبشر من أسلم منكم، فمن أبى إلا نصرانيته (أى البقاء عليها) فإن ذمتى بريئة ممن وجدناه، عسراً تبقى من شهر الصوم^(٥) من النصارى بنجران.

أما بعد: فإن يعلى كتب إليّ يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه ..

(١) الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكري ، ١٧١/١ ، ١٧٢ ، والبداية والنهاية ، ٢٩٥/٥
(٢) يبدو أن رعاش إحدى البلدان ، أو المنطقة التى كان يقيم فيها النصارى بنجران ، لأن الخطاب موجه لهم ، وليس إلى كل العرب بنجران .

(٣) أو يعود إلى الإسلام بعد ارتداده ، فمفهوم الكلام يفيد ذلك .

(٤) أى اعتبروا . وفى بعض المراجع " فاذكروا " لكن الصواب ما ذكرناه .

(٥) أى أن من بقى على نصرانيته ، فقد أعطينه مهلة إلى عشرين من شهر رمضان ، ثم يغادر نجران وهذه المهلة كى يستطيعوا أن يتصرفوا فى أموالهم خلالها ، بالبيع وغيره ، فلم تحدث مصادرة لأموالهم مثلاً .

أما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض^(١)، وإنى لأريد نزعها منكم، ما أصلحتكم^(٢)، وقد اشترى منهم يعلى أرضهم وعقارهم، وكل ما لا يستطيعون حمله معهم، وذلك لصالح بيت المال، كما نجد أنهم عند مسيرهم إلى شمال شبه الجزيرة، لاختيار المكان البديل الذى يقيمون فيه، كتب لهم عمر كتاباً يوصى بهم الأمراء المسلمين، الذين يحلون فى دائرة ولايتهم، وأن يساعدوهم فى تسلم المكان الذى يختارونه والأرض التى يقيمون عليها، أو يزعمونها دون مقابل (وبالنص: فما اعتملوا من شئ فهو لهم، لوجه الله، وعقبى - أى عوض - لهم من أرضهم)^(٣) ترى أية سماحة أكثر من هذا. بل أى عدل وإنصاف! وقارن هذا بما حدث للمسلمين إبان جلائهم عن الأندلس .. تجد أنه لاروجه للمقارنة. فعدالة عمر أسمى من أن يوجه لها أى طعن، وهى ليست بحاجة إلى من يدافع عنها، وما الطاعن فيها إلا كناطح صخر.

(١) أى نصف المنتج من زراعتها، ومحصولها، وذلك بالنسبة للذين أسلموا منهم واستمروا بنجران فنسلم لهم الأرض بالمزراعة.

(٢) أى طالما تمسكتكم بالإسلام، انظر فى كل ماسبق: كتاب الأموال لابن زنجويه، ٢٧٩/١، وكتاب الأموال للقياس ابن سلام، ص ١٤٤، ١٤٥، والسياسة الحليية، ٧٧١/٢، والطبرى، ٤٤٦/٣، وابن خلدون، ٨٨/٢.

(٣) كتاب الأموال لابن زنجويه، ٤٥١/١.

٤ - جهود بعض أبناء المنطقة في بداية الفتوحات الإسلامية :

حين نودّ أن نلقى مزيداً من الأضواء على جهود بعض أبناء المنطقة المعنية بالدراسة، في بداية الاستنفار العام للفتوحات الإسلامية، فليس بمقدورنا أن نفصلهم عن أبناء ولايتي مكة والطائف، ذلك لأن المنطقة امتداد لحيز هاتين الولايتين، وتدخل ضمن أرضها، وأبناؤها جزء من أبناء الولايتين خلال السرد التاريخي الذي نعائش، أحداثه، فلا مندوحة لنا من شمولية الذكر لأبناء الولايات الثلاث: مكة، والطائف، ونجران ..

ولئن ركزنا في البداية الأولى للاستنفار العام للفتوحات الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين، - رضوان الله عليهم أجمعين - ، فذلك لأنه يصعب تتبع أثار أبناء المنطقة. وجهودهم خلال المرحلة التاريخية اللاحقة لذلك، لعدة عوامل منها أنهم توغلوا في البلاد المفتوحة، واستوطنوا بعضها، وكانت لهم سطوة ونفوذ بها، كحكام وولاة، وقادة جيوش، وذوى رأى ومشورة، وغير ذلك من رئاسات، كالمهلب بن أبى صفرة وأبنائه، وخالد القسرى، وأبناء الحكم، والأزدية، وغيرهم.

ثم ما تخطينا لقاء الضوء على أبناء الولايات الثلاث دون غيرهم من مختلف الولايات والمناطق وهم لا يقلون شأننا بأى حال عن هؤلاء، بل ربما تفوقوا في بعض المجالات والرياسات، فما ذاك إلا لأننا مقيدون في هذه الدراسة بإبراز الجوانب التاريخية لها، فهو تخصيص منهجى من

مقتضيات البحث والدراسة، حتى لا يتوهم متوهم أن تخصيصهم بالذكر لأفضلية فيهم، دون سواهم، وهو ما لم يقل به السذج فضلاً عن العقلاء.

بعد أن استقرت الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية عقب الردة، بسط الخليفة أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - ذراعيه نحو العراق والشام، وأجمع عزمه على تجميع الجيوش لمنازلة الفرس والروم، الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، بعد وفاة الرسول ﷺ، فاستنفر القبائل، واستدعى قواد الجيوش ليعقد لهم الأولوية لقيادة الجند^(١) ومن ثم تسييرها فى بداية التوجه الإشعاعى للفتوحات الإسلامية.

كان من بين هؤلاء جرير بن عبد الله البجلي، والى نجران من قبل أبى بكر^(٢) فأقبل الى المدينة يقود بعضاً من أبناء قبائل المنطقة، فسيره أبو بكر مدداً لخالد بن سعيد بن العاص، الذى كان والياً على ما بين رمع وزيد، وكان أبو بكر قد سيره الى البلقاء وتيماء بمشارف الشام، فتعجل وأشتبك معهم فهزم، فراجع وتوقف فى موضعه، وأتته بعد ذلك امدادات لكنه لم يتحرك. فاستأذن منه جرير للرجوع الى أبى أبى بكر كى يأذن له فى جمع بطون بجلية، فيكونون معه^(٣).

(١) البداية والنهاية ، ٣/٧ .

(٢) الطبرى ، ٤٢٧/٣ ، ٤٦٢ ، وقيل : ان أبا سفيان بن حرب خلف جرير على ولاية نجران .

(٣) البداية والنهاية ، ٣٩١/٦ .

وكانت بجيلة قد وقع بينها وبين قبيلة كلب بن وبرة حرب شديدة قبل الإسلام، فى موضع يقال له: الفجار (غير الفجار التى شهدها الرسول ﷺ قبل البعثة) فانهزمت فيها بجيلة، فافترقت على إثرها فى أحياء العرب^(١) وظلت هكذا حتى جاء الإسلام، ولم يكن بالسراة منها إلا بطون قليلة، فلما فاتح جرير أبا بكر فى أن يأذن له بجمعها من أحياء العرب، لم يوافق فى ذلك، ورأى أن الوقت غير مناسب، ثم سيره مدداً لخالد بن الوليد فى جبهة العراق، فقدم عليه وهو بالحيرة، بعد أن فتح بعض البلاد^(٢) واستمر يعمل تحت قيادة خالد فى هذه الجبهة حتى استدعى أبو بكر خالد للتوجه الى الشام، فبقى جرير مع المثنى بن حارثة، ومعهما عمرو بن حزم الأنصارى، الوالى السابق لنجران، وكان لكل منهم منطقة يواجه الفرس من خلالها، فلما توفى أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب، كانت الفرس قد جمعت حشوداً ضخمة فكتب المثنى لأبى بكر يطلب مدداً، فوصل خطابه وأبو بكر فى مرضه الأخير، فأوصى بتزويد المثنى بالمدد.

وأقبل جرير وأستاذن من عمر فى جمع بطون بجيلة فأذن له، فجمعهم وكانوا ألفى رجل وقيل أكثر، فقدم بهم على عمر، فخيرهم عمر فى أى الميادين، قائلاً: أى الوجوه أحب اليكم؟ قالوا الشام، فان فيها أسلافنا، قال عمر: بل العراق، فان فى الشام كفاية من الجند، سيروا الى العراق، ولكم ربع الغنيمة بعد

(١) الجمهرة، ص ٣٩٠.

(٢) البديهة والنهابة، ٣٩١/٦، وابن خلّون، ٨١/٢.

الخمس، فقبلوا فكان لهم ربع سواد أرض العراق لمدة عامين^(١) وقيل لمدة ثلاثة أعوام، ولم تختص قبيلة أخرى بمثل ما تميزت به بجيلة لهذا النفل الذى نَفَلَه إِيَّاهم عمر.

واستمر جرير يقود بجيلة وغيرها من قبائل المنطقة فى جبهة العراق، فكان على ميمنة سعد بن أبى وقاص يوم القادسية، وقيل على القلب والعجاج على الميمنة، وعدى بن حاتم وقيس بن المكشوح المرادى على الميسرة - بعد أن عاد الى الإسلام وأبلى بلاء حسناً - ومعهم ذو الكلاع الحميرى، وواصل جرير جهوده يقود بجيلة وغيرها من أبناء المنطقة خلال عهد عمر، وفى عهد عثمان كان عامله على أرض الجبل بقرقيسيا، ولما استشهد عثمان - رضى الله عنه -، حضر اليه بأرض الجبل زحر بن قيس الجعفى يدعو له مبايعة على بن أبى طالب - رضى الله عنه - خليفة على المسلمين. فبايع، وأخذ البيعة لعلى ممن قبله من المسلمين ثم سار حتى قدم الكوفة للوقوف مع على. وكان رسوله إلى معاوية للتفاوض والدخول فى طاعة على، ثم عاش الأحداث التالية لذلك معتكفاً بعيداً عن الفتنة حتى توفى عام ٥١هـ، وقيل عام ٧٦هـ،^(٢) والأول أقرب الى الصواب.

(١) الطبرى، ٤٦٠/٣ - ٤٦٢، والأموال لابن زنجويه، ١٩٧/٣، والأموال للقاسم بن سلام، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) البداية والنهاية، ٣٣/٧، ٤٨، والأخبار الطوال للدينورى، ص ١١٤، ١٥٦، والطبقات لخليفة بن خياط، ص ١١٦، والاصابة فى تمييز الصحابة، ٢٣٢/٥.

بأدر عمر عقب توليته الخلافة بئدب الناس لمؤازرة المثنى بن حارثة، فكان أول من لى نداءه أبو عبيد بن مسعود الثقفى^(١) ثم تابعه الناس فولاه عمر عليهم، وجعله قائدا للجهة بالعراق وأوصاه بوصية تشمل كيفية إدارته الحرب، تدلل على مدى حكمة عمر، وحنكته، لكن ابن مسعود مالبث أن استشهد فى معركة الجسر فى شعبان، وقيل: فى رمضان عام ١٣هـ، فبعث المثنى الى عمر يطلعه على الموقف فى الميدان، وأن الفرس حشدوا حشودا طائلة، ويطلب مدداً، فكتب له عمر: المورد وارد إليكم سريعاً - إن شاء الله -، وطلب منه أن يجعل الصحراء خلف ظهره، حتى لا يتمكن الفرس من الالتفاف حوله، وألا يمكن الفرس منه حتى يأتيه المدد، وقال عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب، وكتب الى عماله وولاته أن يوافوه بكل من كانت له نجدة، أو لديه فرس أو سلاح، أو ذا رأى، وشرف قائلاً .. العجل .. العجل، وبعث رسلا إلى أحياء العرب، تستجيش القبائل وألا يدعوا ذا بأس، أو قوة، أو خطيب، أو شاعر ألا أتوا به، وعزم أن يتولى بنفسه قيادة هذا الحشد ويذهب الى الجهة ليقود القتال بنفسه، لكن خاصة الصحابة حالوا بينه وبين ذلك، وأشاروا عليه بأن يبعث من الصحابة ذا خبرة بالحرب والقتال، فوافق^(٢).

وقع اختيار عمر على سعد بن أبى وقاص، وكان سعد قد ولاه الرسول ﷺ، على صدقات بعض هوازن، بالبادية شرق السراة وعند وفاة

(١) هو والد المختار بن عبيد، صاحب الدعوة للعولين، الطبرى، ٤٤٥/٣، والمقدمة لابن خلدون ص ٢٣١.

(٢) الطبرى، ٤٧٨/٣، ٤٨٢، والأخبار الطوال للدينورى، ص ١١٤، ١١٩، ١٢٢، وابن خلدون ٩١/٢.

الرسول قدم الى المدينة، وظل بجوار أبى بكر مع بقية الصحابة الذين لم يذهبوا فى جيش أسامة، وكان سعد من حراس الأنقاب^(١) خلال هذه الفترة، ثم لما استقرت الأمور عاد لموقعه فى الإمارة وأعمال الصدقة بمنطقتنا، وأقره عمر فى بداية خلافته، ثم استدعاه ليتولى القيادة فى جبهة العراق لمواجهة حشود الفرس^(٢) وكان قبل استدعائه قد بعث ألف رجل الى عمر، من هوازن وقبائل السراة ومخاليف الطائف، وحين تم استكمال الحشود خارج المدينة، ذهب عمر يودعه، ويودع الحشود الغفيرة، فقال له: يا سعد لا يغرنك من الله أن قيل حال رسول الله ﷺ^(٣) وصاحب رسول الله فان الله - عز وجل - لا يمحو السىء بالسىء، ولكنه يمحو السىء بالحسن، وأن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالتناس شريفهم ووضعهم فى ذات الله سواء، والله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فالزم ما كان عليه رسول الله^(٤)

وكان من نتيجة هذا الاستنفار العام الذى أعلنه عمر، أن هبت القبائل من كافة مناطق بلاد العرب، ومنهم أبناء قبائل منطقتنا، فكان منهم:

(١) كان أبو بكر قد جعل حراسا على الطرق والمداخل المؤدية إلى المدينة، خشية أن يقوم بعض المرتدين بالإغارة عليها فترة تغيب جيش أسامة بتغوم الشام.

(٢) البداية والنهاية، ٣٥٤/٦، و٣٣/٧، والطبرى، ٤٧٨/٣، وابن خلدون، ٨٨/٢، ٩١، والمغازى، ص ٩٧٣.

(٣) قال له الرسول ﷺ ذلك كتكريم له، والا فانه ليس خلا لى: أى شقيق للأُم، وإنما أبوه هو وآمنة بنت وهب أولاد أعمام. انظر الجمهرة، ص ١٢٩.

(٤) الطبرى، ٤٨٢/٣، ٤٨٣، والبداية والنهاية، ٣٩/٧، ٤٠.

- أبو ضرير، حذيفة بن عبد الله بن عوف، من زهران، من الأزد، يحمل راية قومه وتحتها ألف وخمسمائة رجل من أهل العطاء.^(١)

- زهير بن سليم الأزدى، يحمل راية قومه، ومعه أخوه مخنف بن سليم، وقد أبليا يوم القادسية بلاءاً حسناً، حتى أن زهير - قبيل نشوب المعركة - تصارع مع النخارجان، أحد قواد الفرس الكبار، وكان عظيم الجثة، صاح طالباً من يصارعه من المسلمين، فى مواجهة الجيشين، فخرج له زهير وجاوله حتى صرعه ثم قتله واستولى على برذونه، ودرعه، وقبائه، وأتى بهم الى سعد بن أبى وقاص، فأعطاه إياهم قائلاً: أنت أحق بهم، وأمره أن يتزيا بالقباء ويرز للفرس، ليفت فى عضدهم، ويث فيهم الرهبة، فكان زهير يعد بذلك أول من تزيا بزي الفرس من المسلمين^(٢)

أما أخوه مخنف بن سليم فقد واصل جهاده فى ميادين الفتوحات بفارس، ثم كان مع على بن أبى طالب يوم الجمل، وصفين وكان يحمل راية قومه، ومن أنضم إليه من بطون الأزد الأخرى وبجيلة وخثعم، وكان على الرحالة (أى المشاة) ابن أخيه جندب بن زهير الأزدى.^(٣)

(١) الجهمرة، ص ٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) الأخبار الطوال للدينورى، ص ١٤٦، وكان أول يوم القادسية يوافق ثانى المحرم ١٤ هـ، واستمر القتال أربعة أيام انتصر بعدها المسلمون، البداية والنهاية، ٤٨/٧، ٤٩.

(٣) الأخبار الطوال للدينورى، ص ١٤٦، وطبقات ابن سعد، ٢٨٠/١.

- أبو ظبيان الأعرج ، عبد شمس بن الحارث، من بنى عبد الله بن كعب الحارثي، وقيل: أبو ظبيان من غامد كان قد عقد له رسول الله ﷺ راية على قومه وحملها وزحف بهم، وبيع بعض قبائل نجران الأخرى إلى القادسية وأبلى يومها بلاء حسنا، وكان ابنه طارق من ذوى المهمة والبأس.^(١)

- عرفجة بن هرثة البارقى الأزدي، كان أبو بكر قد عقد له لواء فى حروب الردة، وسيره إلى عمان، ومهرة، ولما عاد ولاءه على بعض قبائل بالسراة: الأزدي، وبجيلة، وبقايا جديلة، ثم بعثه عمر مع العلاء بن الحضرمي بالبحرين، ثم استدعاه، عند الاستنفار العام فأقبل يقود جموعا من تلك القبائل، فسيره عمر إلى العراق مع سعد بن أبي وقاص، وشارك بعد ذلك فى فتوحات فارس.^(٢)

- عروة بن أبى الجعد البارقى الأزدي، كان قائد كتيبة من قومه فى جيش خالد بن الوليد بالعراق، واستمر بها وشهد القادسية وما بعدها، وهو صحابى روى حديث (الخيـل معقود فى نواصيها الخير) وولاه عمر قضاء الكوفة قبل شريح، ثم سيره عثمان بن عفان بعد ذلك إلى الشام.^(٣)

(١) الجمهرة، ص ٣٧٨ .

(٢) البداية والنهاية، ٣٥٥/٦، ٣٧٢، ٥٤/٧، والطبرى، ٤٦٣/٣، والأصابة، ٤١٢/٦ .

(٣) الطبقات لـخليفة بن خياط، ص ١١٢، والبداية والنهاية، ٣٩٥/٦، والأصابة ٤١٤/٦ .

- حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي الأزدي، قدم على رأس جمع من بارقي، وألع، وغامد وبعض قبائل السراة وتهامة،^(١) وسار بهم الى القادسية، واستمر بتلك الجبهة.

- عثمان بن أبي العاص، والى الطائف ومخاليقها فى عهد الرسول ﷺ، وفى عهد أبى بكر، كان قد استدعاه أبوبكر لقيادة بعض الإمدادات، ثم نقله عمر واليا على اليمامة والبحرين، ولما تقدمت الفتوح فى بلاد فارس استدعاه ليقود مدداً الى الميدان، وظل بتلك الجبهة قائداً لأحد الجيوش، وتحقق على يديه انتصارات عديدة، وتوغل فى بلاد فارس، وفتح سابور عام ٣٠هـ، فى عهد عثمان بن عفان، - رضى الله عنه - ثم والياً على بعض الولايات ببلاد فارس.^(٢)

- وقدم بطن من كنانة ممن يقيمون بتهامة الحجاز، فأمر عليهم عمر بن الخطاب: غالب بن عبد الله الليثى وسيره الى العراق^(٣) وكان غالب قائدا لسرية احتياطية لحماية مؤخرة المسلمين يوم القادسية.

كما ذهب الى العراق بأمر عمر حذيفة بن اليمان الأزدي وقيل: إنه من بنى عبس، حالف اليمانية، صاحب سر رسول الله ﷺ وكان هو وأبوه صحابييان، استشهد أبوه يوم أحد، وشارك حذيفة فى جميع الغزوات

(١) الطبرى، ٤٨٤/٣، وابن خلدون، ٩٢/٢.

(٢) الطبرى، ٣٢٣/٣، والأخبار الطوال، ص ١٢٩.

(٣) الطبرى، ٤٦٣/٣، والبداية والنهاية، ٤١/٧.

فى عهد الرسولؐ، وكان يبيد الأعمال الحسائية والمساحة والمكايل والأوزان، وعهد اليه عمر.ممسح أرض سواد العراق، فيما هو غربى دجلة لتحديد الخراج على بعضها، ثم شارك فى فتوحات فارس مع النعمان بن مقرن الذى تولى القيادة بهذه الجبهة بعد عمار بن ياسر، توفى عام ٣٦هـ. (١)

أما فى جبهة الشام فقد انطلق أيضاً الكثيرون، كان منهم:

عكرمة بن أبى جهل، كان قد استوطن مكة بعد الفتح، لأن الرسول ﷺ قال لأهل مكة، ولغيرهم: لا هجرة بعد الفتح (٢) وذلك بهدف أن تظل البلاد معمورة، فلا يتركوها ويهاجروا الى المدينة، وعكرمة من الذين أباح الرسول دمهم يوم الفتح، فهرب وأسلمت زوجته، ثم أستأمنت له الرسول ﷺ، فأمنه، فذهبت وأتت به، وقبل دخوله على الرسول، قال لأصحابه: سيقدم عليكم عكرمة، فلا تسبوا أباه أمامه فان سب الميت يؤذى الحى، ولا يصل الى الميت، فلما دخل عكرمة، وقف أمام الرسول مطاطيء الرأس، فقال له النبى: مرحباً بمن جاء مؤمناً مهاجراً، فقال عكرمة: يا محمد هذه أخبرتني أنك أمتنى - مشيراً الى زوجته - قال: إنك آمن، قال: أشهد أن لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله، فقال له

(١) الخميس فى أحوال أنفس نفيس ١٨٢/١ ، والأحكام السلطانية للماوردي ، ص ١٧٤ ، والاصابة ، ٢٢٣/٢ ، وانظر : المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٦٣ .
(٢) الأزرقى ، ١٦٥/٢ .

النبي: يا عكرمة ما تسألني اليوم شيئاً أقدر عليه الا أعطيتك إياه، قال: استغفر لي كل عداوة عاديتكها، قال النبي: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، ثم وعد بأن يبلى في خدمة الإسلام أضعاف ما كان قد بذله في عداوته^(١) وقد وفى بما وعد، فكانت جهوده واضحة في حروب الردة، حتى رضى عنه أبو بكر وأثنى عليه بعد أن أغضبه عندما تسرع واشتبك مع مسيلمة، وانهزم. فكتب له أبو بكر .. يا ابن أم عكرمة، أمض لما وجهتك اليه، ولا ترينى وجهك إلا بعد بلاء^(٢) فأبلى بعدها بلاءً حسناً.

كانت عمالته التى ولاه إياها الرسول ﷺ، عجز هوازن، وبعض القبائل المجاورة لها في الجنوب: أى منطقة تربة وما يحيط بها، وامتداداً في الجنوب حتى حدود نجران، ثم استدعاه أبو بكر الصديق في بداية خلافته وعقد له أول لنواء في حروب الردة، ولما فرغ منها، هبط الى ولايته في طريق عودته من اليمن الى المدينة، فوجد بعضاً من أهلها، زيادة على ما كان معه من جنود، وأقبل على أبى بكر في المدينة، فسيره بمن معه الى جبهة الشام، فأبلى بلاءاً حسناً في المواطن التى شهدها.

ويوم اليرموك كانت الروم قد جمعت حشوداً غفيرة، فقد كان عدد الروم يزيد عن ٢٠٠ ألف، بينما عدد المسلمين ٢٧ ألفاً فقط، ويومها قال عكرمة: لقد شهدت مواطن كثيرة، أنفِر اليوم من الروم؟ والله لن

(١) السيرة الحلبية، ٣٩/٣، والطبرى، ٥٩/٣، والبداية والنهاية، ٣٤٤/٤، والمغازي، ص ٨٢٥، ٨٥١.

(٢) الطبرى، ٢٨١/٣، ٣٩٣.

يكون ذلك أبداً. ثم صاح فى الناس: من يبايعنى على الموت، فبايعه سبعون رجلاً، وقيل: أربعمائة. فظلموا يقاتلون حتى استشهدوا جميعاً، وربما كان صمودهم ذاك، وصمود بقية المسلمين مما فُتَّ فى عضد الروم، حتى تفككت جموعهم، وركب المسلمون أكتافهم، وألحقوا بهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة، واستشهد عكرمة يومها، كما استشهد معه ابنه عمرو، وعماه سلمة، والحارث ابنا هشام بن المغيرة وقيل: استشهد عمه سلمة بأجنادين^(١) وكانت هذه المجموعة هى التى دارت على جرحاهم كأس ماء وهم عطشى، وكل واحد منهم يؤثر صاحبه بها حتى دارت عليهم جميعاً وعادت إلى الأول فوجد أنه توفى، والثانى كذلك حتى آخرهم دون أن يذوقوا جميعاً شربة الماء .. ووقف التاريخ ليسجل لهم هذا الموقف الايثارى المؤثر .. سقاهم الله ماء عذباً سلسيلاً.

- سهل بن عمرو، خطيب قريش وشاعرها، وسيد من ساداتها فى الجاهلية والإسلام، قاد جموعاً من أهل مكة وأحوازها وانطلق بهم الى أبى بكر فسيره الى الشام قائد أحد الكراديس التى نظمها خالد بن الوليد لمواجهة الروم فى اليرموك، قتل يومها هو وأخوه سهل بن عمرو، وابن أخيه عمرو بن سهل بن عمرو.^(٢)

(١) البداية والنهاية ١٢/٧ - ٣٧ - ٣٨، وابن خلدون، ٨٣/٢ - ٨٥.

(٢) البداية والنهاية، ٦٩/٧.

- مالك بن عوف النصرى، الرالى على بادية الطائف، قاد جموعاً من ثقيف ومن الأحلاف وبادية الطائف، ووجهه أبو بكر الى الشام، فشارك فى فتوحاتها، ثم كان ضمن جنود عمرو بن العاص فى فتح مصر، وهو الذى عهد اليه عمرو بحصار الاسكندرية، وكان فيها المقوقس عظيم القبط بمصر، وحوله جنود الروم، وكان قد قبل بدفع الجزية لكن القائد العسكرى الرومانى بالقاهرة رفض، وتحصن بحصن بابليون، فاحتجمه عليه عمرو بن العاص، ومن معه، واستولوا عليه عنوة^(١) وكان هذا القائد العسكرى هو نفسه أرطبون الذى هزمه عمرو فى أجنادين^(٢) فقد كان حاكماً عسكرياً على مصر أيضاً، وبلغ المقوقس فتح حصن بابليون بالقاهرة، فصالح مالك بن عوف على الاسكندرية.

- سعد بن مالك الأزدي، الذى عقد له الرسول ﷺ، لواء على قومه، بطن من الأزدي، قادهم وبعض القبائل الأخرى تحت هذا اللواء، وسار بهم الى الشام، وكان ضمن جنود عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد ذلك.^(٣)

- مسروق بن جبلة العكى، من قبيلة عك، الذى قاد جموع عك ووقف مع الطاهر بن أبى هالة، إبان تبيد الغنسى، والردة، قاد جموعاً

(١) ابن خلدون ، ١١٤/٢ .

(٢) البداية والنهاية ، ٦٣/٧ ، والطبرى ، ١٠٧/٤ .

(٣) الرقاب الادارية للكنانى ، ٣٢٠/١ ، وابن خلدون ، ١١٤/٢ .

وسار بهم الى الشام، وكان تحت قيادة معاوية بن أبى سفيان، وبقي فى الشام مع معاوية، وكان من شهود وثيقة التحكيم بين على ومعاوية التى كتبت فى ١٧ صفر عام ٣٧هـ.^(١)

- عبد الجند بن ربيعة الحكمى، صحابى، وفد على الرسول ﷺ، وقاد عشيرته من آل الحكمى وشارك بهم فى فتوح الشام، كما كان ضمن جيش عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد الفتح^(٢) وقيل بل الذى استوطنها غيره من بنى الحكمى.

وكان بطن من بنى الحكم انتقل وأقام فى الشام، منهم حبيب بن عبد الرحمن الحكمى الذى بعثه عبد الملك بن مروان، على رأس جيش من أهل الشام مددا للحجاج بن يوسف فى حربه مع شبيب الحرورى عام ٧٧هـ.^(٣)

- عمرو بن الطفيل الدوسى، أبوه الطفيل أسلم قبل الهجرة، عندما سمع بمبعث الرسول ﷺ، ودعا له الرسول، فكان صاحب النور فى سوطه، واستشهد أبوه يوم اليمامة، وقطعت يد ابنه عمرو يومها، ثم شفيت بعد البتر، وكان يوما عند عمر بن الخطاب بمجلسه اذ أتى بالطعام فتنحى عنه عمرو وتقدم الناس، فقال له عمر بن الخطاب: مالك؟! لعلك تنحيت

(١) مجموعة الوثائق السياسية ، ٣٩٩ .

(٢) الاصابة ، ٢٥٥/٦ ،

(٣) البداية والنهاية ، ٢٠/٩ .

لمكان يدك؟ قال: أجل، قال عمر: والله لا أذوقه حتى تسوطه بيدك، فوالله ما فى القوم أحد بعرضه فى الجنة غيرك. عندئذ تقدم عمرو الى الطعام^(١) ثم انطلق بعد ذلك يقود جماعة من دوس، ومن الأزد، وشهد اليرموك فاستشهد بها.^(٢)

- مالك بن عبد الله بن سنان، من شهران، من عفرس، من خثعم، الذى قاد كتيبة من قومه، وشارك فى حروب الشام، وقاد الصوائف الى أرض الروم أيام معاوية^(٣) يقال استمر يقود تلك الحملات أربعين عاما، وقيل كان يتناوب معه فى ذلك سفيان بن عوف بن المغفل، الغامدى^(٤) وكم غير هؤلاء ممن لبوا نداء الاستنفار، بيد أن المقام ليس مقام احصاء وحصر، وانما هو لإبراز بعض المواقف لما كانت عليه المنطقة فى ذاك الوقت، ومدى ترابطها، وكيف جمع الإسلام بين قبائلها وألف بين قلوبهم، ومدى الطاعة لولاة الأمر، وأن الوزاع الدينى خلق فيهم روحا وثابة دفعتهم الى ميادين الفتوحات، هم وأبناء القبائل الأخرى فى كافة أحياء العرب، وأن تلك القبائل ما فتئت تمد ميادين الفتوحات بين الحين والآخر بمدد يتلوه مدد كأمواج البحر المتتابعة على مدى عشرات

(١) الطبقات لابن سعد، ٢٤٠/٤ .

(٢) ابن خلدون، ٨٥/٢، والبداية والنهاية، ٣٨٠/٦ و ١٥/٧ .

(٣) الصوائف هى الغزوات التى كانوا يغزون بها الروم من البحر الأبيض المتوسط، يغيرون فيها على أرضهم وجرائرهم، وكانوا لا يقومون بها إلا فترة الصيف، ولذا أطلق عليها: صوائف

(٤) الجمهرة، ص ٣٧٨، ٣٩١ .

السنين، وواكبت ذلك هجرات بعض بطون القبائل عن مواطنها الأصلية
فى بلاد العرب، بغرض الاستيطان فى البلاد المفتوحة.

وليس أدل على تلك الهجرات بأعداد هائلة خلال هذه الفترة من
أن الكوفة وهى إحدى البلدان التى أنشأها المسلمون، ليستوطنوها بدلاً من
المدائن التى لم ترق لهم، وبدأ تخطيطها منتصف عام ١٦هـ، ثم بدأ
الاستيطان فيها فى غرة المحرم عام ١٧هـ ولم يكدمضى على استيطانها
خمس سنين حتى بلغ عدد سكانها مائة ألف، وذلك عام ٢٢هـ، كما جاء
ذلك فى قول الخليفة عمر بن الخطاب، وهو يشكو همومه منها للمغيرة
ابن شعبه أن بها مائة ألف لا يرضون عن أمير، ولا يرضى عنهم أميراً^(١)
وهناك غير الكوفة من البلدان والأمصار التى تم الاستيطان فيها بمئات
الآلاف من الرجال ونزحت عوائلهم لتقيم معهم، فشغرت مواطنهم
الأصلية، فنزحت إليها عشائر و بطون من بنى عموماتهم، أو من غيرهم،
واستمر هذا النزوح خلال عصر الفتوح، وإن كان بنسبة أقل عن ذى قبل
نظراً لدخول أبناء البلدان المفتوحة فى حوزة الإسلام، وإسهاماتهم فى
ميادين الجهاد، مما خفف عبء الإمدادات نسبياً عن داخل العرب.

على أن ما ينبغى الإشارة إليه هنا هو أن عمر بن الخطاب طلب من
سعد بن أبى وقاص - قبيل القادسية - أن يتخذ العرفاء فى الميدان عند
التجهيز للمعركة، وكان نظام العرفاء معمولاً به منذ عهد الرسول ﷺ،

(١) البداية والنهاية، ٨٣/٧، ٨٤، ١٣٨.

اضبط القبائل فى مواطن إقامتها، وبلدانها، فطلب عمر من سعد أن يعمل به فى ميدان الحرب أيضاً، من قبيل الضبط لمواقف الرجال، وعزمهم فى الميدان، بأن يجعل على كل عشرة رجال من كل قبيلة عريفاً، وعلى كل قبيلة أمير يحمل رايتها^(١) ويكون مسئولاً عنها، يساعده العرفاء فى القبيلة، وأن يجعل أمراء على أجناب الجيش، والمقدمة، والطلائع والساقات، وعلى الفرسان وغير ذلك^(٢) وكان خالد بن الوليد قد رتب جيش اليرموك فى صفوف (كراديس) فى شىء مشابه لهذا مما لم يكن للعرب عهد به من قبل.

وبعد فترة أصبحت العرافة على سبع بدلاً من عشر، وفى عهد معاوية جعلهم فى الميادين على أربع لدقة الضبط^(٣) غير أن الدواوين التى أنشأها عمر، ومنها ديوان الجند، كان أتم سجل لأحوال الجنود، والعرفاء، والقيادات، وضبط لوجردهم فى الميادين، وفى المواقع منها. وكذلك الدواوين للعتاء، والحقوق، والخراج، والجبايات، وغيرها، كما أمر على الولاة بأن يضعروا دواوين خاصة لديهم لمناطقهم ولولاياتهم^(٤) خلاف التى

(١) البداية والنهاية ، ٤٠/٧ .

(٢) البداية والنهاية نفس الجزء والصفحة ، والطبرى ، ٤٨/٤ ، ٤٩ .

(٣) الطبرى ، ٤٨/٤ .

(٤) ابن خلزون ، ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ .

لدى الامارة بمقرها فى المدينة المنورة، والتى احترق معظمها يوم الجماجم
عام ٨٢هـ.^(١)

وهذا بدوره يؤكد على مدى الاهتمام بوضع أسس الترتيبات
الادارية عند نشأة الدولة الاسلامية، وضبط المناطق، والولايات، وتحديد
معالم كل ولاية بصورة واضحة ودقيقة.

^(١) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٩ .

٥ - استمرارية العمل بالترتيبات الإدارية للولايات بعد الرسول ﷺ :

لاشك أنه كانت للترتيبات الإدارية التى وضعها الرسول ﷺ، للولايات والمناطق الأثر الفعال فى تنظيم أعمال وتصرفات القبائل التى كانت تأنف من الخضوع لسلطة مدنية، ومن ثم ضبط الولايات والمناطق التى تكونت منها الدولة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين -، ومن جاءوا بعدهم.

فقد جاء الإسلام بما طهر النفس فأتجهت فى عبادتها الى بارئها، وصار معيار التفاضل تقوى الله، والولاء لله ولرسوله والطاعة لأولى الأمر، وأصبح العدل سقفا يستظل به الجميع، وأقر الملكية الفردية والجماعية للقبيلة فى موطن إقامتها، وبين المنافع العامة، والمشاع، وعين العرفاء على العشائر، والأمراء على القبائل، كما عين أمراء الألوية والرايات عند الاستنفار، والسعاة لجمع الزكاة والصدقات والجزية والخراج، وعين الأئمة، والدعاة، والقضاة، والأمراء على المناطق والولايات، واتخذ بيت المال، ودور الضيافة، والكتبة^(١) وحملة الكتب

(١) اتخذ الرسول ﷺ دارين بالمدينة لاستضافة الوفود، وكان عنده أكثر من أربعين كاتباً، انظر الخميس فى أحوال أنفس نفيس ١٨٢/١.

والرسائل، واستعمل عمالاً دائمين لحمل البريد من الولايات وإليها، وغير ذلك من عناصر أساسية لمقومات الدولة المدنية، والسياسة الشرعية لها.

ولقد راعى الرسول ﷺ، الوضع الذى كان سائدا من قبل من حيث ارتباط المناطق بعضها ببعض، عند تحديد الولايات، وتعيين ولاية عليها، وذلك لدعم التوافق والتآلف بين القبائل، والترابط الجغرافى بين البلدان، ومن هذا كان الامتداد الجغرافى لمكة المكرمة، هو فى أرضها الممتدة على الساحل شمالاً وجنوباً بمقدار معين امتدت اليه ولاية مكة^(١) ولم تمتد شرقاً نحو أرض اليمامة، بل كانت اليمامة قائمة بذاتها وترتبط مع البحرين (الأحساء) فى معظم الفترات التاريخية. كذلك الشأن بالنسبة للطائف، كان الامتداد الجغرافى لها فى السراة وأعراض نجدها، وامتدت جنوباً إلى الحدود الشمالية لليمن فيما بين رمع وأبين وزيد^(٢) وجاورت نجران فى الغرب، والشمال الغربى وكانت ولاية الطائف وأحوازها أكثر ملاصقة لنجران، ولهذا فكثيراً ما كانت نجران تنضاف الى عمالة الطائف، لكنها اذا أضيفت فإن حدودها مع الطائف وغيرها تظل معروفة، ومعالمها محدودة، شأنها شأن غيرها من الولايات عندما كانت تنضاف لغيرها، وذلك لعدة اعتبارات منها أن عمال جمع الصدقات، كانوا يجمعونها من

(١) سبق أن قلنا إنها امتدت الى نهاية أرض عك والاشعرين جنوباً، والتي ولى عليها الطاهر بن أبى هالة، انظر ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث.

(٢) أي الولاية التي كانت بالمنطقة فيما بين نجران ورمع وأبين وزيد، وهي الولاية التي كان عليها خالد بن سعيد ابن العاص، قبيل وفاة الرسول ﷺ.

أغنياء القبيلة، أو البلدة ويردون جزءاً منها على فقرائها، وينقلون ماتبقى الى بيت المال، وفي بعض الاحيان كانوا يعطون فقراء قبيلة مجاورة فى نفس الولاية، أما أن يأخذوها من بعض بطون الأزدي مثلاً بولاية الطائف ليعطوه فى بعض قبائل نجران أو العكس فلم يحدث، وإنما كان هذا من اختصاص المهيمن على بيت المال، أى الخليفة. كذلك موضوع القسامة والعقل، فيما لو وجد قتيل فى مواطن القبيلة، أو زمام البلدة، ولم يعرف قاتله، تحملوا عقله (ديته) وهذا يستلزم معرفه الحدود فى كل المواطن، وتبعية القبيلة لأى من الأمراء، وموطنها فى أى موقع بالإمارة؟ لهذا استمرت تلك الحدود معروفة ومشهورة، ومع أن المؤرخين لم يهتموا بها كثيراً، إلا أن البعض منهم وبخاصه أصحاب معاجم البلدان قد سجلوا معظمها، وبالرغم من أن تدوينهم لها كان ينقصه بعض الدقة، وجاء بعد عدة قرون من قيام الدولة الإسلامية، فإن هذا التدوين، وذكرهم لتلك المعالم الحدودية دليل على شهرتها، واستمراريتها لفترة طويلة تجاوزت ثلاثة قرون عند ازدهار عصر التدوين للعلوم الإنسانية.

وعموماً فسواء انضافت ولاية الى أخرى إدارياً، أو عين لها أمير رأساً، فإن كافة الولاة كانوا يستمدون سلطتهم من الخليفة، ومندوبون عنه فى إدارتها، له تعيينهم وعزلهم متى شاء، والولايات جزء من جسم الدولة الأم، وليس لها أية استقلالية عنها.

ومن يتتبع حركة تدوين التاريخ يلحظ أن غالب المؤرخين — قديماً وحديثاً — يجذب انتباههم الأحداث الجلييلة، ومشاهير الناس، وسراة التوم،

وما يدور فى البلدان الكبيرة ذات الشهرة والنفوذ، فيدونون. ما يتعلق بكل ذلك فى مصنفاتهم، وليس لغيره متسع فى مصنفاتهم الا فيما ندر.

ولقد شُغِفَ قدامى مؤرخي الإسلام - وحقَّ لهم أن يُشغَفُوا - بتاريخ الإسلام منذ البعثة، وأعمال الخلفاء الراشدين، والفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من وقائع وأحداث، فقد تركوا لنا فى الحقيقة كمًّا هائلًا من التراث وصلنا قليله، أما كثيره فأبادته صروف الدهر. فاذا ما بحثنا فيما بين أيدينا عن اسم والٍ لإحدى الولايات - وبخاصة المغمورة - ولم نجده، فليس معنى هذا أن تلك الولاية أهملت أو أزيلت! فلقد كان الخلفاء الراشدون، - ومن بعدهم الأمويون والعباسيون - حريصين على تعيين الولاة على الولايات، لضبط النواحي الإدارية فى البلدان، فاذا تعسر إيجاد الوالى المناسب لأى سبب كان، أضافوا الولاية الشاغرة الى أعمال أقرب ولاية لها، وتظل كل ولاية لها حدودها وحيزها المعروف فى السجلات والدواوين على الوجه الذى أوضحناه عند وضع الترتيبات الادارية للولايات ببداية الدولة الإسلامية.

والدليل على اهتمام الخلفاء، ومن بعدهم، بتولية الأمراء على البلدان الصغيرة فضلاً عن الولايات، أن الحجاج بن يوسف الثقفى، الذى اكتسب شهرة لصرامته، ولكثرة ما أراق من دماء، كان أول منصب ولاه إياه الخليفة عبدالمملك بن مروان هو إمارة بلدة (تباله) فلما قدم اليها، وقرب منها، سأل دليله: أين تبالة، وعلى أى سمت هى؟ قال: ما سيترها عنك إلا هذه الأكمة (وأشار بيده الى تل مرتفع عن الأرض، دون الجبل)

فقال الحجاج: لا أرانى أميراً على موضع تسره عنى أكمة، أهون بها من ولاية، وكرراً راجعاً دون أن يدخلها^(١) ترى لو أنها كانت قد عرضت على أحد غير الحجاج ورفضها، أذكر هذا الخير أحد من المؤرخين؟ لكن هذا الخير الذى أوردوه للدلالة على مدى طموحات الحجاج منذ صغره، يعطى فى الوقت نفسه دليلاً على مدى اهتمام الدولة الإسلامية بتعيين الولاة على البلدان الصغيرة، فما بالك بالولاية أو الإمارة الكبيرة؟، ودليل آخر: وهو أن الرسول ﷺ، كان قد ولى الصحابى صرد بن عبد الله الأزدى أميراً على بلدة جرش، نظراً لجهوده فى إسلام أهلها، وأورد المؤرخين أنه ظل أميراً عليها حتى وفاة الرسول ﷺ^(٢) ثم تولاها بعده عبد الله بن ثور، أحد بنى الغوث، الأزدى بأمر من أبى بكر الصديق فى خلافته، وتوفى أبو بكر وهو والٍ عليها^(٣) ولم يذكر أحد من المؤرخين من تولاها بعد ذلك، تماماً كما لم يذكروا من تولى الإمارة فى تبالة بعد أن رفضها الحجاج بن يوسف الثقفى، كما أن الرسول ﷺ ولى على مدينة الخط بالأحساء، أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، أحد الكتبة للرسول ﷺ، وكانت تلك المدينة مشهورة بصناعة الرماح، فيقال: رماح خطية نسبة إليها، ولم يذكر المؤرخون من وليها فى عهد الخلفاء الراشدين مثلاً،^(٤) إلا أنه من المؤكد أنه كان لكل من تلك البلدان والٍ فى كل

(١) معجم البلدان ، ٩/٢ ، وشرح العيون شرح رساله ابن زيدون ، لابن نباتة المصرى ص ١٧٣

(٢) طبقات ابن سعد ، ٥٢٧/٥ .

(٣) الطبرى ، ٤٢٧/٣

(٤) الجمهرة ، ص ٨١

الفترات العمرانية لها، ومن باب أولى فإن الخلفاء كانوا حريصين على تعيين ولاية على الإمارات، والأمصار والبلدان الكبيرة بالرغم من إهمال التاريخ ذكر أسمائهم، أو تتبع أخبارهم، لأنه لا يهتم غالباً إلا بتدوين الأخبار المؤثرة في مجرياته.

ومن الملاحظ أنه حدثت تنقلات واستدعاءات للولاة في كثير من الولايات عند بداية الاستنفار في عهد الخلفاء الراشدين، وترتب على ذلك ضم الولايات الشاغرة إلى أقرب والٍ على ولاية متجانسة معها، لإدارتها وتصريف شئونها، فمثلاً: كانت اليمن عند وفاة الرسول ﷺ، بين سبعة ولاء^(١) فاستدعى أربعة منهم إلى ميدان الفتوحات فظل فيها ثلاثة ولاء^(٢) ثم صارت فيما بعد تحت والٍ واحد غالباً، وعندما استدعى جرير بن عبد الله البجلي وإلى نجران بعد ابن حزم، وقبل أو بعد أبي سفيان بن حرب في بعض الأقوال، أضيفت نجران إلى ولاية الطائف، وعندما انتقل عثمان ابن أبي العاص وإلى الطائف، والياً على البحرين (الاحساء) واليمامة، بدلا من العلاء بن الحضرمي أو إلى الميدان، على خلاف في ذلك، وأصبحت ولاية الطائف شاغرة، انتقل إليها يعلى بن أمية وإلى الجند، وعين مكانه على الجند عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي^(٣) كما كان لمكة المكرمة اهتماماً بالغاً من قبل الخلفاء لكونها تضم المسجد الحرام، والبيت العتيق،

(١) انظر ص ١٧٩ ، ١٨١ من هذا البحث .

(٢) البدء والتاريخ ، ٧١/٤

(٣) انظر فيما سبق الطبري ، ٣٢٣/٣ ، ٦٢٣ ، والبدية والنهاية ، ٧/ ٥٤ ، ٦٨ ، ٨٢ ، والجمهرة ص ٤٦ .

مهوى أفعدة المسلمين، ولذا فإن المؤرخين قد تتبعوا أخبارها وأسماء ولايتها
فى غالب الأحيان، وكانت كثيراً ما تنضم، أو تنضاف إليها ولاية الطائف
بكل توابعها ومخالفاتها، والتي منها نجران .

وأيا ما كان الحال فسوف نمر من خلال السرد التاريخى اللاحق
لفترتنا هذه، ببعض اللوحات التاريخية، تؤكد دوام الهوية لمنطقتنا، وتدعم
ما تم التوصل إليه من معالم حدودية منذ ما قبل الاسلام، واستمرارها
كذلك فى ظل الاسلام، بل وزادها الإسلام تأكيداً حين أدخلها لأول مرة
فى طور الترتيب الإدارى الذى قامت عليه الدولة الإسلامية فى عهد
الرسول ﷺ

وأصبحت منطقتنا جزءاً من كيان دولة لها حكام، يولون أمراء
ينوبون عنهم فى إداره تلك الولايات وغيرها من الأمصار المختلفة، وليس
لأحد من هؤلاء أية استقلالية فى ولايته، وما حدث من ذلك فى أوقات
الاضطرابات والفتن، فإنه كان يعتبر غير مشروع، لأنه مخالف للقاعدة
الأساسية، التى وضعت للترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية، ومن ثم فهو
من قبل الشاذ، والشاذ لا يقاس عليه كما يقال ..

وقد استمر العمل بالترتيبات الإدارية التى وضعت فى عهد الرسول
ﷺ، عدة قرون، حتى عرفت واشتهرت حدود الولايات، ومن ثم دونت

فى السجلات؁ وصنفت كتب أشارت إليها؁ وحددت معالمها؁
ومسافاتها؁ وقياساتها على طبيعة الأرض .. وغالب الظن أن شهرتها
توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل؁ حتى قيام الدولة فى العصر الحديث.

الباب الخامس

التبعية الإدارية للمنطقة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى بداية

الدولة العثمانية

الخلفاء الراشدون :

عرفنا فيما سبق بعض الترتيبات الإدارية التى قامت عليها دعائم الدولة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ، والتى كان من بينها مراعاة الامتداد الطبيعى للأرض، والخصائص الإقليمية، والتوافقات بين القبائل، وذلك عند تشكيل الولايات التى تكونت منها الدولة ومن ثم تعيين الولاة وعمال الصدقات على تلك الولايات، وعلى القبائل فى مواطنها، وإرسال الدعاة والقضاة والمعلمين. كما تم وضع أسس الملكية الخاصة والعامة والمشاع، وتحديد المعالم لكافة الولايات والمناطق والأقاليم منعاً للتشاحن والتنازع، ودعمًا للاستقرار وحرصاً على تحديد المسؤولية لكل والٍ على ولايته، وكل راع على رعيته مهما صغر حجمها، وغير ذلك من تشريعات ..

أرسيت دعائم التشريع التى شملت أمور الدين وشئون الأمة فى حياة الرسول ﷺ، ثم أوكل الأمر إلى خلفائه من أكابر الصحابة، الذين

مافتى يتعهدهم، ويهيئهم للقيام بتلك المهمة من بعده، فكان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - أجدرهم بخلافته فى حراسة الدين، وسياسة أمور الرعية فقد عبر بالمسلمين بحور الفتن والأهوال التى أعقبت وفاة الرسول ﷺ الى شاطئ الأمان، ثم مد ذراعيه شاهراً سيفه الى الفتوحات الإسلامية ليواجه فى وقت واحد أعظم دولتين تتقاسمان مصائر الشعوب فيما بينهما فى ذلك الوقت، ولو لم يكن لأبى بكر من المناقب سوى ذلك لكفاه، فما بالك وسجله حافل بالعديد من المناقب.

*** عهد أبى بكر الصديق (مدة حكمه: ١٠ أيام / ٤ شهور / ٢ سنة)**

كان من نتيجة استنفار القبائل، وتجهيز الجيوش للفتوحات فى عهد أبى بكر الصديق، أن حدث استدعاء بعض الولاة من ولاياتهم، ليقودوا تلك الجيوش، أو يقودوا مدداً لمن سبقوهم الى الميدان، وترتب على هذا شغور بعض الولايات، فأضيفت الى أقرب وال على ولاية متجانسة معها، بغرض إدارتها وتصريف شئونها، فمثلاً أضيفت ولاية بخران الى ولاية الطائف عندما استدعى واليها أبوسفيان بن حرب الى الميدان ليتولى مهمة وعظ الجند، وبث الحماس فيهم، وحثهم على القتال قبيل معركة اليرموك، منتصف عام ١٣هـ^(١) وكان واليها قبله جرير بن عبد الله البجلي، ذهب

^(١) البداية والنهاية ٩/٧، وفتوح البلدان ٨٠/١، وابن خلدون ٨٥/٢.

أيضاً إلى ميدان الشام أولاً، ثم ميدان العراق^(١)، وسنذكر فيما بعد ما يؤكد هذا الضم، أو الإضافة والتبعية.

ومن الولايات التي أضيفت مثل نجران، الولاية التي كان عليها خالد بن سعيد بن العاص، وهي المنطقة فيما بين رمع وأبين بأرض اليمن، فقد ضم جزء منها إلى صنعاء، وجزء لولاية الجند^(٢) وصارت حضرموت ولايتين بعد أن كانت ثلاث أو آخر عهد الرسول ﷺ،^(٣) كما أصبحت اليمامة والبحرين. (الأحساء) في معظم الأحيان ولاية واحدة، وغير ذلك كثير.

كما لوحظ أن الولاة الذين كان يتم استدعاؤهم إلى الميدان، كانوا يختارون من ينوب عنهم في إدارة الولاية وتصريف شئونها، ثم يبلغون الخليفة بمن اختاروه، وللخليفة أن يقره، أو يعين آخر بدلاً منه، وذلك مثلما استدعى الخليفة أبو بكر الصديق كلاً من عمرو بن العاص، والوليد ابن عقبة، وكان كلاً منهما على بطن من قضاة، فكتب لهما

د

(١) انظر ص ٢١٠-٢١٥ من هذا البحث.

(٢) كان أبو بكر الصديق قد خير المهاجر بن أبي أمية، بعد انتهاء حروب الردة في أن يذهب لتسليم الولاية التي كان ولاه عليها رسول الله ﷺ، بأرض حضرموت، أو ولاية صنعاء، فأختار ولاية صنعاء، ونقل فيروز الديلمي الذي كان قد تولاهم مؤقتاً عقب الانتهاء من فتنة العنسي إلى ولاية الجند، ونقل يعلى بن أمية من ولاية الجند إلى ولاية مأرب ومخلاف خولان، لشغورها باستدعاء أبي موسى الأشعري إلى الميدان، وظل يعلى ابن أمية في تلك الولاية - مأرب وخولان - إلى أن نقله عمر رضي الله عنه والياً على الطائف. انظر الطبري

٣٢٧/٣، ٣٤١.

(٣) انظر ص ١٧٩، ١٨١ من هذا البحث.

يستدعيهما للذهاب الى الميدان، فاستخلفا من ناب عنهما فى عملهما،
وأقبلا الى أبى بكر^(١) ومثلما استخلف يزيد بن أبى سفيان والى دمشق
أخاه معاوية قبيل وفاته، وبعث إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يفيد
بذلك، فلما توفى يزيد عام ١٨هـ، أقر عمر معاوية فى الولاية، وامتد منها
سلطانه فيما بعد.^(٢)

وعندما توفى الخليفة أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -^(٣) كان
عماله على منطقتنا، هم:

أولاً: مكة المكرمة، وأحوزها، وباديتها - على الوجه الذى
أوضحناه فى تحديد الولايات أواخر عهد الرسول ﷺ^(٤) عتاب بن أسيد،
منذ أن ولاه إياها رسول الله ﷺ، واستمر واليها طوال عهد أبى بكر^(٥)
وقيل توفى يوم وفاة أبى بكر، وقيل توفى بعد ذلك، وأنه كان أميراً عليها،
حين حج عمر بن الخطاب موسم عام ١٤هـ، ويساعده الطاهر بن أبى

(١) البداية والنهاية ، ٣/٧

(٢) مات يزيد بن أبى سفيان فى طاعون عمواس أواخر عام ١٧هـ وقيل باية عام ١٨هـ، البداية والنهاية، ٨٨/٧،
١٠٥ ، والطبرى ٢٨٩/٤ .

(٣) توفى أبو بكر الصديق يرحمه الله ، يوم ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٣هـ

(٤) الطبرى ، ٣١٨/٣ ، وانظر ص ١٧٧-١٨٠ من هذا البحث .

(٥) ابن الأثير ، ٤٢٠/٢ ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ١٦٢ / ٢ .

هالة على أرض عك والاشعرين^(١) وله مساعدون آخرون يتمثلون فى رؤساء البلدان على بلدانهم، والقبائل على قبائلهم، وكثير منهم كان قد عينه الرسول ﷺ، فى موقعه حين وفوده إليه بإسلامه، أو إسلام قبيلته، كما هو الحال فى كل المناطق.

ثانياً: الطائف، وأحوازها، وباديتها، على الوجه الذى سبق أن أوضحناه عند تحديد الولايات أو آخر عهد الرسول ﷺ،^(٢) ثم نجران المضافة إليها كما سيتضح ذلك فى عهد عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — .

كان الوالى هو عثمان بن أبى العاص، منذ أن ولاه إياها رسول الله ﷺ، عام ٩هـ، وكان يساعده كل من مالك بن عوف النصرى، وعكرمة ابن أبى جهل، وسعد بن أبى وقاص^(٣) فتم استدعاء هؤلاء الثلاثة إلى الميدان، ولم يعين بديل لهم اكتفاء برؤساء البلدان والقبائل، كل فى موقعه، نظراً لاستقرار الوضع والأمن، فى شبه الجزيرة بصفة عامة، وانشغال الناس بتتبع أخبار الفتوحات، وإشغال الحماس فى نفوس من لم يذهب الى الميدان بالتأهب للمشاركة.

(١) سبق أن أشرنا الى ما ذكره ابن خرداذبة، والفاكهى وغيرهما، من أن آخر مخالف مكه من جهة تهامة جنوباً هى بلاد عك، واستمر الوضع هكذا الى منتصف الدور الثانى للدولة العباسية، حين بدأت فى الضعف، واستقلال الأقاليم عنها .. أى استمر هذا الوضع حوالى ثلاثة قرون .

(٢) الطبرى، ٣/٣١٦، وانظر ص ١٧٧ - ١٨٠ من هذا البحث .

(٣) ابن خلدون، ٢/٨٣-٨٥، وانظر ص ١٧٧ - ١٨٠، من هذا البحث .

ومن الملاحظ أن الأمور الإدارية فى الولايات كانت تتسم بطابع
الجدية والاهتمام، ودقة المتابعة، والسهر على مصالح المسلمين، ذلك أن
الوالى كان لا يغادر مقر الولاية إلا إذا أناب عنه من يديرها فترة غيابه،
حتى لو كان ذاهباً لمقابلة الخليفة فى عاصمة الخلافة، فقد أناب عتاب بن
أسيد، عنه فى ولاية مكة: المحرز بن حارثة بن ربيعة، فى سفرتين سافرها
خارج مكة^(١) كما أناب نافع بن عبد الحارث الخزاعى، حين كان والياً
على مكة عام ٢٣هـ: عبد الرحمن بن أبزي^(٢) فى عهد عمر بن الخطاب.

• عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمدة خلافة ٤ أيام / ٦ اشهر / ١٠ سنين

أولاً: مكة المكرمة، وما يتبعها، على الوجه الذى ذكرناه سابقاً فى
تحديد الولايات. فقد أورد الفاسى^(٣) أسماء ولاية مكة فى عهد عمر، وهم:
المحرز بن حارثة بن ربيعة القرشى، ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمى، ثم
نافع بن عبد الحارث الخزاعى - تولاهما مرتين فى عهد عمر - ثم أحمد بن
خالد بن العاص المخزومى، ثم طارق بن المرتفع بن عبد مناة القرشى، ثم
الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان الرسول ﷺ قد

(١) شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ .

(٢) شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ .

(٣) شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ ، وقد أورد أقوال المؤرخين ، واختلافاتهم فى أسماء بعض الولاة وتاريخ ولايتهم .

استعمله فى جمع صدقات بعض أعمال مكة بتهامة، وكذا أبو بكر الصديق، وزلى عتبة بن أبى سفيان على كنانة بتهامة الحجاز أيضاً.^(١)

ثانياً: الطائف، وما يتبعها، وما انضاف إليها، على وجه الذى ذكرناه سابقاً فى تحديد الولايات.

كان واليها هو عثمان بن أبى العاص، هو نفس واليها فى عهد الرسول ﷺ، ثم فى عهد أبى بكر الصديق، ثم استدعاه عمر بن الخطاب للقيام ببعض المهام فى ميدان العراق عام ١٥ هـ تقريباً، ثم أعاده والياً على اليمامة والبحرين بدلاً من العلاء بن الحضرمى^(٢) حين عزله عمر عام ١٧ هـ، لكونه حمل المسلمين على عبور الخليج لغزو فارس دون أن يستشير، ثم أعاد العلاء الى ولاية اليمامة والبحرين، وعثمان الى الميدان بفارس، وكانت له جهود واضحة فى فتح اصطخر وبعض خراسان عام ٢٣ هـ وما بعده، وظل بها الى أن توفى عام ٥٠ هـ. ولما شغرت ولاية الطائف، عقب استدعاء عثمان بن أبى العاص، نقل عمر بن الخطاب إليها

(١) الطبرى، ٤/٢٢٠، الازرقى ٢/١٥١، ١٥٢، والجمهرة ص ٢٤٢.

(٢) العلاء بن الحضرمى عزله عمر عن ولاية البحرين مرتين : احدهما هذه التى خلفه فيها عثمان بن أبى العاص، ثم أعاده وبعث عثمان الى الميدان، ثم عزله الثانية وحل مكانه قدامة بن مظعون، وتوفى العلاء عام ٢١ هـ، الطبرى، ٣/٦٢٣، والبداية والنهاية، ٧/٩٣، ١١١، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٣، وفيه أن أبا هريرة هو الذى تولى مكانه بعد عزله المرة الثانية، وليس هذا صواباً، فأبو هريرة تولى بعد ابن مظعون.

يعلى بن أمية، والى مأرب وخولان،^(١) ثم عزله عمر عن ولاية الطائف عام ٢٢هـ تقريباً، وظل فترة دون مناصب الى أن عينه الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه -، والياً على صنعاء، وظل والياً عليها إلى عام ٣٥هـ، حين قدم إلى الحج فى ذاك الموسم، وعقب انتهاء الحجاج من أداء مناسكهم جاءهم النبأ باستشهاد عثمان - رضى الله عنه - فظاهر يعلى بن أمية المطالبين بدم عثمان، وأسرع الخطى مع المنطلقين من مكة لهذا الغرض، وحضر وقعة الجمل مناهضاً لعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - لكنه مالبث أن انضم اليه بعد ذلك ضد معاوية، وقتل مع الإمام على - رضى الله عنهما - فى وقعة صفين^(٢) ونظراً لتكرار تنقل يعلى بن أمية بين عدد من الولايات، فقد التبس على بعض المؤرخين تحديد تواريخ تقلده تلك الولايات، ومن ثم ترتيب ولايته لها، وزاد هذا الالتباس لدرجة أن بعضهم أفردوه فى ولاية اليمن جميعها، بينما لم تجتمع لوال واحد، ربما إلا شطراً من عهد الإمام على بن أبى طالب، حين ولى عليها عبيد الله بن عباس، وإلا فى عهد عبد الله بن الزبير حين ولى عليها أخاه خالد بن

(١) كان يعلى أول من تولى ولاية الجند عند تشكيلها فى عهد الرسول ﷺ، وكان عليها إبان فتنة العنسي، انتقل الى مأرب مكان ابى موسى الأشعري، ومن مأرب انتقل الى ولاية الطائف، وسبق أن قدمنا ترجمته وأن البعض ينسب الى أمه فيقول: يعلى بن منية، وأمة هى بنت، أو أخت (على خلاف فى ذلك) عتبة غزوان، واخته نفيسة بنت منية هى التى قامت بخطبة أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها -، الى رسول ﷺ، قبل البعثة وأسلمت، يوم الفتح، ولما رآها الرسول ﷺ برها وأحسن اليها.

انظر الطبرى ٦٢٣/٣، والبداية والنهاية ٦٨/٧، ٥١/٨، وابن الأثير ٤٠/٢، والجمهرة ص ٢١٣، ٢٩ وهامش كتاب الأموال للقاسم بن سلام، ص ٤٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، والاصابة ٦٦٨/٣، والبداية والنهاية ٢٥١/٧.

الزبير^(١) وبعضهم ذكر أن يعلى كان والياً على صنعاء فى عهد أبى بكر وعمر، بينما الصواب أنه لم يكن والياً على صنعاء إلا فى عهد عثمان بن عفان، وبعد أن عزله عمر عن ولاية الطائف وما يتبعها أواخر عام ٢٢هـ ظل فترة دون مناصب بقية عهد عمر وشطراً من عهد عثمان الى أن عينه عثمان والياً على صنعاء.

المهم أن عمر عين فى الولاية التى شغرت فى اليمن من أثر نقل يعلى - وهى مأرب - عين بدلا منه عبد الله بن أبى ربيعة بن أبى أمية المخزومى، وهو ابن أخى المهاجر بن أبى أمية المخزومى والى صنعاء^(٢) ورغم أن اليمن كانت مقسمة الى عدة ولايات^(٣) تزيد أو تنقص وفق الظروف، الا أنها كانت موحدة الإدارة، وتتسم بالهدوء والاستقرار خلال عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية، وشطراً كبيراً من عهد العباسيين، فى معظم الاحوال، أما يعلى فنقله عمر والياً على الطائف، وما يتبعها، وما انضاف اليها - نجران - عام ١٥هـ^(٤) وفى عام ٢٠هـ عزم عمر على

(١) الجهمرة، ص ١٨، ١٢٢، والأخبار الطوال ص ١٤١، والمقتطف من تاريخ اليمن للجغرافى ص ٨٩، وفيه أن يعلى ظل عاملاً على اليمن منذ عهد أبى بكر، وعمر، وعثمان، الى أن عزله على بن أبى طالب وولاه عبيد الله بن العباس، وهذا وهم بجانب الصواب، وقع فيه العدليون.

(٢) وعبد الله بن أبى ربيعة هو أيضاً ابن أخى أم المؤمنين أم سلمة، وهو كذلك والد الشاعر الجهماني: عمر بن أبى ربيعة، الجهمرة ص ١٤٦، ١٤٧، وظل والياً باليمن على ولاية الجند حتى نهاية عهد عثمان - رضى الله عنه -.

(٣) انظر: البدء والتاريخ ٧١/٤.

(٤) الطبرى ٦٢٣/٣، والاصابة، ١٦٩/٣.

إجلاء يهود خيبر^(١) وإجلاء نصارى نجران^(٢) فعهد الى يعلى بن أمية وهو والى الولاية التى انضافت اليها ولاية نجران، لأنها تحت إشرافه ومسؤوليته، بأن يقوم بعمل الترتيبات اللازمة لإجلائهم عن نجران، ودارت بينه وبين أمير المؤمنين عمر مكاتبات بشأن كيفية الإجلاء، وتقدير ممتلكاتهم وتعريضهم عنها، وتحديد فترة زمنية معينة لمغادرة نجران، كما وجه عمر خطاباً للنصارى أنفسهم، ليتأكدوا من أن الأوامر بإجلائهم صدرت منه رأساً كأمر المؤمنين، حتى لا يظن أحد منهم أنها صادرة من والى الولاية دون علم أمير المؤمنين، فما والى الولاية إلا منفذ للتعليمات الصادرة اليه.

يقول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى خطابه لهم^(٣) أما بعد: فإنكم زعتم أنكم مسلمون (معظمهم قد زعم ذلك) ثم ارتددتم بعد، وأنه من يتب منكم (أى يعود للإسلام) ويصلح (يأتى من الأعمال الصالحة ما يدل على إسلامه) لا يضره ارتداده (السابق) ونصاحبه صحبة حسنة .. ومن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتى بريئة ممن وجدناه، عشرين من شهر الصوم (أى أعطاهم مهلة لترك البلاد والخروج من نجران الى عشرين من شهر رمضان عام ٢٠هـ) ..

(١) كان الرسول ﷺ قد صالح بعضهم على البقاء لزراعة أرضها، ووقع منهم اعتداء على بعض المسلمين غيلة، منهم عبد الله بن عمر فعزم عمر على إجلائهم، وإجلاء يهود فدك، ونصارى نجران. انظر: السيرة الحلبية، ٧٧١/١.

(٢) وقع فى الطبرى، وابن الأثير وغيرهما: إجلاء يهود نجران بدل نصارى نجران، وهو خطأ ربما يكون من فعل النساخ.

(٣) انظر كتاب الاموال لابن زنجويه، ٢٧٦/١، ٢٧٩، ٤٥١.

أما بعد: فإن يعلى (الوالى المسئول عن ولايتكم والموكل اليه مهمة إجلائكم) كتب يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام، أو عذبه.

أما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ماعملتم من الأرض (أى نصف اتاجها) وإنى لا أريد نزعها منكم ما أصلحتهم (إذا أسلمتم واستمررتهم على اعتناق الإسلام والعمل الصالح).

فتكليف يعلى بتلك المهمة أتى من كونه هو الوالى المسئول عن ولاية نجران المضافة قبل، لولاية الطائف لكى يكون مسؤولاً عن متابعة تنفيذ عملية الإجلاء، وتقييم الممتلكات، وتعريضهم عنها ثم تسلم تلك الأرض منهم وتوزيعها على من يقومون بزراعتها لصالح الدولة، مثل خير وفدك^(١) وليكن مسؤولاً عن أى خطأ، أو خصومات تنشأ عن هذا الموضوع .. لذا نلاحظ أنه أرتكب خطأ، وكان هذا الخطأ هو السبب فى عزله عن ولاية الطائف ونجران، فقد بلغ عمر أنه حاز لنفسه بعض الأرض فى نجران فعزله عام ٢٢هـ وعين مكانه سفيان بن عبد الله الثقفى، والياً على الطائف ونجران^(٢).

(١) انظر السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والطبرى، ٤٤٦/٣، ١١٢، والبداية والنهاية ١١٢/٧، وابن الاثير، ٤٠/٢،

١٩٣، ٢٩٤، ٥٦٩، وابن خلدون، ٦٦/٢، ٨٨، الاموال للقاسم بن سلام، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥،

ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٠ - ١٠٣ .

(٢) الطبرى، ٢٤١/٤ .

المهم أن نجران أصبحت مضافة وتابعة الى ولاية الطائف، وإن لم يذكرها المؤرخون عند تعيين الولاة على الطائف اعتماداً على أنهما ولاية واحدة، أو ولايتين مرتبطتين بوالٍ واحدٍ، بل كثيراً ما كانت الطائف، وما يتبعها - ومنها نجران - كانت تنضاف الى ولاية مكة، ويتولى الجميع والٍ واحدٍ، كما سنرى ذلك عند تصفحنا للوقائع التاريخية التالية لفترتنا هذه.

ولما طعن أبو لؤلؤة - فيروز الجوسى - عمر، وهو قائم يصلى الصبح من يوم الأربعاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ٢٣هـ، عهد بالأمر بعده شورى فى ٦ من أعيان الصحابة، على أن يختاروا واحداً من بينهم يلى أمر المسلمين^(١) ولحكيمته وبعد نظره أوصى بأن يظل عماله على الولايات لمدة عام، لكى يضمن استقرار الأوضاع على الوجه الذى رتبته لحسن ودقة الإدارة .. ولحين يستوعب الخليفة الذى يحل محله أمور المسلمين وشئون الدولة.

وكان آخر عماله: على مكة وما يتبعها: الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وآخر عماله على الطائف، وما يتبعها، هو سفيان بن عبد الله الثقفى، الذى حل مكان يعلى بن أمية، بعد أن عزله عمر، عن ولاية الطائف ونجران^(٢).

(١) الطبرى، ١٩٠/٤ - ١٩٤، ٢٢٨، والبداية والنهاية ١٥١/٧، والخميس فى أحوال أنفس نفيس ص ٢٤٨.

(٢) شفاء الغرام، ١٦٤/٢، والطبرى ١٤١/٤، وفيه أن يعلى بن أمية كان واليه على صنعاء وليس هذا صواباً، فان يعلى كان فى ذاك الوقت معزولاً، دون أي منصب.

° **عمر عثمان بن عفان - رضى الله عنه -** امدته خلافة حوالي الخى عشر عاماً الا بضعة

اليلام »

عمل الخليفة عثمان - رضى الله عنه - بوصية عمر بإبقاء الولاة فى ولاياتهم لمدة عام، فيما عدا الكوفة التى أعاد إليها سعد بن أبى وقاص بناءً أيضاً على وصية عمر، باستعمال سعد لأنه لم يعزله عن تقصير صدر منه (فِيلَحَقُّهُ أذى بذلك ويظن الناس أنى عزله عن سوء)^(١) لذا يقال إن عثمان أعاده الى الكوفة عقب توليه الخلافة، وكان سعد من بين الستة الذين رشحهم عمر للخلافة من بعده^(٢) ثم عزل الخليفة عثمان - رضى الله عنه - بعض الولاة وعين آخرين فى كثير من الأمصار والولايات، وكان لتجاوزات بعض الولاة أثر فى الفتنة التى حلت بالمسلمين واستغلها أصحاب الأهواء فزادوها اشتعالاً، حتى أودت بحياة ذى النورين یرحمه الله.

وكان عمال عثمان - حين استشهد يوم الدار، فى ١٨ ذى الحجة ٣٥ هـ، - بمنطقتنا^(٣):

- على مكة وما يتبعها: عبد الله بن عامر الحضرمى، وكان أول من أبلغ أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها -، بقتل عثمان، فقد كانت

(١) نص عبارة عمر رضى الله عنه .

(٢) الطبرى، ٢٢٨/٤، ٢٤٤، والبداية والنهاية، ١٦٣/٧ .

(٣) الطبرى، ٤٢١/٤، وشفاء الغرام، ١٦٤/٢ .

هى وبعض أمهات المؤمنين فى موسم الحج ذاك العام، وكان ابن عامر أول مجيب للطلب بدم عثمان.

- وعلى الطائف ومايتبعها - نجران، والبوادرى، والسراة -: القاسم ابن ربيعة الثقفى.

- وكان على صنعاء: يعلى بن أمية الوالى السابق للطائف، والذى أشرف على جلاء نصارى نجران فى عهد عمر عام ٢٠هـ، ثم ارتكب بعض التجاوزات فعزله عمر أواخر عهده، وظل دون عمل شطراً من عهد عثمان، ثم أعاده عثمان والياً على صنعاء، كما نقل عثمان: عبد الله بن أبى ربيعة الذى كان والياً على مأرب، والياً على الجند، فكان هو واليها عند وفاة عثمان - رضى الله عنه -^(١).

ومما يسترعى الانتباه حقاً، موقف الخليفة عثمان - رضى الله عنه -، ومدى حرصه الشديد على توفير الأمن فى بلد الله الحرام، والا يهتك ستار الأمن فى مكة المكرمة، أو يروع أهلها الوافدون إليها مثلما روع لإخوانهم فى المدينة المنورة، وعاث فيها المرجفون فساداً أثناء حصارهم له - رحمه الله -، وحالوا بينه وبين الصلاة فى المسجد، ومنعوا دخول الأكل والماء العذب الى بيته، وأشرف هو وأهله على الهلاك: فخلال هذه المحنة القاسية تطلعت أنظاره الى مكة المكرمة وخشى أن يتسرب إليها بعض

(١) البداية والنهاية ٢٥١/٧ .

هؤلاء الشواذ الخوارج فيثيرون الشغب بالبقاع المقدسة ويدلون أمنها خوفاً وفزعاً، مستغلين قدوم الحجيج إليها موسم عام ٣٥هـ، وكان حصار الخوارج له قد امتد حتى دخل هذا الموسم^(١) وبدأ الناس يفدون إلى مكة، وخرج إليها من المدينة العديد من الصحابة رضى الله عنهم، فقام الخليفة عثمان - رضى الله عنه - باستدعاء عبد الله بن عباس، إلى بيته المحاصر، وقال له: يا ابن عباس، إني كنت قد استعملت على مكة خالد بن العاص ابن هشام^(٢) وقد بلغ أهل مكة وغيرهم ما صنع بنا الناس، وأنا أخاف أن يمنعوه الوقوف بالموقف - أي بعرفات - فيأبى هو، فيقاتلهم ويقاثلونه في حرم الله عز وجل وفي أمنه، وبه قوم جاعوا من كل فج عميق، فرأيت أن أوليك أنت أمر الموسم، فاذهب إلى خالد وأمره أن يحج بالناس، فإن أبى أو منعه أحد فتولى أنت أمر الموسم .. ثم كتب معه كتاباً ليقرأه على الناس في موسم الحج .. فذهب ابن عباس وحج بالناس وقرأ عليهم كتاب

^(١) قيل إن الحصار الثاني الذي قتل فيه عثمان - رضى الله عنه - امتد أربعين يوماً وقيل اثنين وعشرين يوماً وقيل غير ذلك .

^(٢) هو خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، ابن عم عكرمة بن أبي جهل، ويسلو أنه عينه والياً بدلاً من عبد الله بن عامر الحضرمي أثناء الحصار، غير أن خالد رفض أن يتقلد الولاية، ولذا استمر ابن الحضرمي هو والي على مكة حتى انتهى موسم حج عام ٣٥هـ، وهو أول من عرف بمقتل الخليفة عثمان - رضى الله عنه - وأبلغ الناس بمكة به، ثم كان من أوائل المطالبين بدم عثمان، ومعه يعلي بن أمية والي عثمان على صنعاء وعبد الله بن عامر واليه على البصرة، وكانا قد حضرا الموسم ذلك العام، ومع يعلي ٦٠٠ بعير، وستة آلاف درهم، جهز الناس بها وخرجوا من مكة للمطالبة بدم عثمان بعد انتهاء الموسم بأربعة أشهر تقريباً انظر البداية والنهاية : ٢٥١/٧، ٣٢٦.

ال خليفة عثمان قبل يوم التروية بيوم^(١) ولما انتهى من المناسك عاد ابن عباس إلى المدينة مسرعاً فوجد الخليفة قد قتل رضى الله عنه^(٢) ووُلِّيَ على بن أبى طالب خليفة على المسلمين.

• عهد على بن أبى طالب - رضى الله عنه - [مدة خلافته ٢٣ يوماً / ٨ شهر / ٤ سنوات] ^(٣)

أمضى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فترة حكمه في معالجة آثار الفتنة التي بزغ قرننها في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وراح ضحيتها رحمه الله، ثم تأجج أوارها وتفرع لحيها في عهد الإمام على بن أبى طالب، حتى راح هو أيضاً ضحية لها في ١٧ رمضان عام ٤٠ هـ، وكانت السبب المباشر في جنوح الفكر عن جادة الصواب لدى البعض، حيث أخذ طريقه إلى الانحراف وركب موجة جنوحه طوائف من البشر مختلفي النزعات والأهواء، ابتدعوا في الإسلام ما لم ينزل الله به سلطاناً، وأمام هذه المحنة التي واجهها الإمام على بن أبى طالب وخروج ولاية الشام وما يتبعها عن سلطانه، نلاحظ أنه جمع أكثر من ولاية ببعض المناطق تحت ولاية والٍ واحدٍ بحيث يعتبر والياً عاماً، وغير ذلك فمثلاً:

(١) أي يوم ٧ من ذي الحجة ٣٥ هـ، فإن يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة .

(٢) انظر فيما سبق الطبري ٤/٤٠٥-٤١١

(٣) البداية والنهاية، ٢٤٧/٧، ٣٦١، ١٥/٨، ١٦، وفي المواهب اللدنية، ج٢، ص ١٢٦، أن مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام .

جعل على مكة المكرمة - عقب توليه الخلافة - أبو قتادة الأنصاري، ثم عزله وعين بدلاً منه عام ٣٦هـ: ابن عمه، قثم بن العباس بن عبد المطلب، فلم يزل والياً إلى أن قتل على بن أبي طالب - رضى الله عنهما - وقيل تولاهما معبد بن العباس قبل قثم^(١) وضمّت إلى ولاية مكة ولاية الطائف بما يتبعها من مخاليف وبوادي، وكانت نجران سبق أن انضمت لها منذ عهد الخليفة عمر - رضى الله عنه - وكان أخوه تمام بن العباس والياً على المدينة المنورة، فكأنهما الواليان على منطقة الحجاز بكاملها، وكان أخوهما عبيد الله بن عباس هو الوالي على اليمن بكافة مخاليفها وولاياتها السابقة، يساعده ولاية للمناطق والمخالفين، وكان مقيماً في صنعاء قاعدة اليمن، واستدعى عبد الله بن عبد المدان الحارثي من نجران، فجعله نائباً له في صنعاء يصرف شعون اليمن خلال فترة عدم وجوده بها^(٢)، فلما قدم

(١) شفاء الغرام، ١٦٦/٢، والبداية والنهاية، ٣٣٩/٧، ٣٤٧، والطبري، ٩٢/٥

(٢) بعض المراجع تذكر أن والي اليمن من قبل علي بن أبي طالب، هو عبد الله بن عباس، وليس ذلك صواباً، فإن عبد الله بن عباس كان واليه على البصرة وظل مرافقاً له منذ أن خرج من المدينة إلى الكوفة حتى عام ٤٠ هـ حين حين وقع بينه أبي الأسود الدؤلي خلاف، وكان أبو الأسود الدؤلي قاضي البصرة، فترك ابن عباس البصرة مغاضباً له، ولعلي أيضاً، وأخذ شيئاً مما كان قد جمعه من بيت المال من العمالة والفيء، وذهب إلى مكة وتبعه قوم من أخواله من بني هلال، ومن قيس وبني غنم، فهذا كله يدل على أن عبد الله بن عباس لم ينهب إلى اليمن والياً، والبعض خلط بين: عبيد الله وعبد الله، لتشابه الاسم.

انظر: البداية والنهاية، ٣١٩/٧، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٢، ٩٧/٨، والأخبار الطوال للدينوري، ص ١٤١، ١٥٢، والجمهرة ص ١٨، والطبري، ١٤٠/٥، وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري ٤٥٣/١-٤٥٥.

بسر بن أبي أرطاة^(١) من قبل معاوية واستولى في طريقه على المدينة المنورة ثم مكة المكرمة وانطلق إلى اليمن ليخضعها هي أيضاً لمعاوية، قتل ابن عبد المدان هذا وابنه مالك بن عبد الله بن عبد المدان، كما قتل طفلين صغيرين لعبيد الله بن عباس، هما: عبد الرحمن وقثم ابنا عبيد الله بن عباس، ولما علم أمير المؤمنين على بن أبي طالب بما فعله بسر بن أبي أرطاة، بعث إليه كلا من جارية بن قدامة السعدي ووهب بن مسعود الثقفي، ففر من أمامهما بسر، فقاما بإعادة الأمن لتلك المناطق، وأعادا ولائها إلى الإمام على بن أبي طالب - رضى الله عنه -.

ومن الملاحظ أنه كان يوجد بمنطقة نجران في ذاك الوقت بعض المشايخين لعثمان - رضى الله عنه - اضطهدهم ابن قدامة، وكان باليمن مشايخون لعلى بن أبي طالب اضطهدهم بسر بن أبي أرطاة، عند حلول كل واحد منهما إلى المنطقة^(٢).

كما لوحظ أن أبناء العباس: عبد الله وعبيد الله وقثم، كانوا يحضرون مواسم الحج إما جميعهم أو أحدهم ليقود الحجاج في عهد الإمام على - رضى الله عنه - فيما عدا موسم عام ٣٩هـ حضره مندوب عن معاوية، ووقع تشاحن بينهم، فتصالحوا على أن يقودهم عثمان بن طلحة

(١) بسر بن أبي أرطاة من عامر بن لؤي، أحد قواد معاوية، ومن أكابر أصحابه، الجمهرة ص ١٧٠، والطبري ١٣٩/٥.

(٢) البداية والنهاية، ٣٥٢/٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ٤٥٥/١-٤٥٨.

الشيبي الحجي - حاجب الكعبة - مخافة أن يحدث في حرم الله الأمن ما يروع الأمنين^(١)، وهذا يدل على مدى حرصهم في ذاك الوقت على أمن وحرمة البقاع المقدسة.

وكان عامل أمير المؤمنين على بن أبي طالب على اليمامة والبحرين (الأحساء) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أخو سلمة ابنا أم المؤمنين أم سلمة^(٢) ومنه نلاحظ أن اليمامة والبحرين (الأحساء) تضمهما ولاية واحدة وأمير واحد معظم عهد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم -

(١) البداية والنهاية، ٩٧/٨، ٩٨، ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٩٩، والطبري، ١٣٦/٥، والبلاذري، ص ٤٦١.

(٢) الجمهرة ص ١٤٤-١٤٦

عهد بني أمية :

قدم معاوية بن أبي سفيان إلى الشام في بداية الفتوحات، حين أمره أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - على أحد الأولوية وعمل مساعداً لأخيه يزيد بولاية دمشق وما حوطها، وناب عنه في ولايتها، ولما توفى يزيد بُنِّتْهُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مكان أخيه يزيد، وظل والياً على الشام وما يتبعها طوال عهد الخليفة عثمان - رضى الله عنه - فلما استشهد عثمان كان معاوية يعتبر أقوى أمير أموي تجتمع حوله قوة هائلة، لذا تزعم المطالبة بدم عثمان - رضى الله عنه - ثم طدح إلى ما وراءها، وسلم عليه الناس في الشام بالإمارة عقب قضية التحكيم في ١٧ رمضان ٣٧هـ - واستقر له الأمر دون منازع بعد أن تصالح مع الحسن بن علي - رضى الله عنهما - حرصاً على دماء المسلمين، وذلك عام ٤٠هـ، وقيل ٤١هـ^(١) ولذا سمي ذلك العام بعام الجماعة، وعقب ذلك قام معاوية بتولية الولاة على الولايات التي لم تكن خاضعة له من قبل، ومنها الحجاز واليمامة والبحرين (الأحساء) واليمن وبعض الولايات الأخرى بالعراق وفارس.

(١) البداية والنهاية، ١٦/٨ - ٢٤، والطبري، ١٥٨/٥ - ١٦١، ١٦٤، ٣٢٤، ومراة جزيرة العرب، لأيو ب صوري
باشا، ترجمة د. أحمد متولي، ود. صفصافي، ٦٧/١ .

أورد الفاسي^(١) ولاية مكة في عهد معاوية، لكن الملاحظ أنه بدأت
تجتمع عدة ولايات لوال واحد، حسب تواجدها بمنطقة إقليمية متشابهة
كمطقة الحجاز مثلاً.

ففي بداية أمره عين أخاه عتبة بن أبى سفيان على مكة والطائف
وما يتبعها مثل نجران، وعين أحمد بن خالد بن العاص على المدينة، وقيل
مروان بن الحكم، وبعد ذلك عزل أخاه الوليد وأضاف ولاية مكة
والطائف إلى مروان بن الحكم، فأصبح بذلك والياً على الحجاز بكامله، ثم
عزله عام ٤٩هـ وولى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص نفس ولاية
الحجاز بكاملها، وكان سعيد يقيم في المدينة وجعل ابنه عمرو نائباً عنه في
مكة والطائف وما يتبعهما^(٢)، وجمعت أيضاً لعمر بن سعيد بن العاص
عام ٦٠هـ في عهد يزيد بن معاوية، وكان يطلق على عمرو بن سعيد:
الأشدق لفصاحته وبلاغته^(٣) إلى أن انفصل بها عبد الله بن الزبير، عقب
مقتل الحسين - رضى الله عنه - في ١٠ محرم ٦١هـ، وخلع طاعة يزيد عام
٦٢هـ وعقب موت يزيد في ١٤ من ربيع الأول ٦٤هـ^(٤) قوى أمر ابن
الزبير بالحجاز وما حولها، وبايعه الناس ودانت له كثير من المناطق والبلدان
وبدأ يولى عليها الولاية، فكان هو الحاكم المباشر لمكة والطائف وما

(١) شفاء الغرام، ١٦٦/٢، ١٦٧

(٢) شفاء الغرام، ١٦٧/٢، والجمهرة، ص ٨١ .

(٣) البداية والنهاية، ١٠٩/٨ - ١٦١

(٤) البداية والنهاية، ٣٣٢/٨، ٣٣٤

يتبعهما يساعده الحارث بن حاطب الجمحي، وولى على المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير^(١) وعلى اليمن أخوه خالد بن الزبير^(٢)، وعلى العراق أخوه مصعب بن الزبير واستقل باليمامة نجدة الحنفي، ووافق ابن الزبير^(٣) لكن ما لبث أن استقر الأمر في البيت الأموي على مروان بن الحكم، فقوى شأنهم وتأكد ذلك بولاية ابنه عبد الملك بن مروان، الذي عمل على استعادة الولايات التي خرجت عن طاعتهم واحدة تلو الأخرى، وبعث الحجاج بن يوسف الثقفي فتغلب على ابن الزبير، في جهادى الأولى ٧٣هـ، وأخضع الحجاز واليمامة واليمن لطاعة بنى أمية، ولذا فإن عبد الملك بن مروان ولاه عليها جميعاً^(٤) ولم يسبق لها أن اجتمعت لوالٍ قبله، وعين الحجاج ولاة من قبله على تلك المناطق كنواب عنه يديرونها، وهو المرجع لهم، كان منهم أخوه محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن^(٥)

(١) البداية والنهاية، ٢٥٧/٨، ٢٥٨، وشفاء الغرام، ١٦٩/٢، ١٧٠

(٢) الجوهرة، ص ١٢٢

(٣) كان نجدة الحنفي من الخوارج الحمرية واستقل باليمامة عن الدولة في عهد يزيد بن معاوية، واستولى على جزء من نجران وزحف إلى اليمن، ولم يجد أهلها لهم طاقة على حربه، فصالحوه على مائة ألف دينار يدفعونها إليه، ويرجع عنهم، فوافق ورجع، ولم يتصادم مع ابن الزبير. انظر: مختصر أنباء اليمن لابن زبارة، ص ٤٠، وبعدها دخلت اليمن وغيرها في طاعة ابن الزبير، فعين الولاة عليها.

(٤) البداية والنهاية، ٣٥٧/٨، ٣/٩، ٤

(٥) مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤١، والجوهرة ص ٢٦٧، مات محمد بن يوسف في عهد أخيه الحجاج، وهو والٍ على العراق، ويوم أن جاءه نعيه كان ابنه محمد بن الحجاج قد توفي منذ ساعة فاسترجع الحجاج وقال: أحمد، ومحمد في يوم ١٩! وكان عبد الملك قد ولى على المدينة طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان عقب مقتل مصعب بن الزبير عام ٧٣ هـ ثم عزله عنها عام ٧٤ هـ وأضافها للحجاج خلال وجوده بالحجاز فجعل نائبه فيها عبد الله بن قيس بن مخزومة. الطبري ١٩٣/٦، ٢٠١

فلما انتقل إلى العراق عام ٧٥هـ والياً عليها عقب وفاة واليها بشر بن مروان، أصبح ولاية تلك المنطقة يراجعون مباشرة الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان منهم: الحارث بن خالد بن العاص المخزومي، وإلى مكة والطائف وما يتبعهما، وقد سبق له أن تولاهما في عهد يزيد بن معاوية، كما كان على المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص، عم الخليفة عبد الملك^(١)، واستمر محمد بن يوسف الثقفي - أخو الحجاج - والياً على اليمن وأصبح مرجعه المباشر هو الخليفة، إلى أن توفي هذا الوالي عام ٩١هـ بعد ١٨ عاماً من ولايته لها^(٢) وتقلد ولاية مكة والطائف وما يتبعهما كثير من الولاة في عهد بني أمية، وبالأخص في عهد عبد الملك بن مروان، كما وليها في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وأضيفت له المدينة المنورة فكان يعتبر والياً على الحجاز بكامله، واستمرت ولايته من عام ٨٦هـ حتى عام ٩٣هـ وقيل عام ٩١هـ^(٣) وعندما قدم المدينة والياً جمع عشرة من فقهاء وقال لهم: ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فكونوا لي أعواناً على الحق..^(٤) وعندما صار خليفة أمر خطباء المساجد بجميع البلدان والأمصار عدم التعرض

(١) شفاء الغرام، ١٧٠/٢، والطبري، ٢٠٢/٦، والجمهرة ص ٨٧

(٢) مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة ص ٤١، والطبري ٤٩٨/٦

(٣) شفاء الغرام، ١١٧٢/٢، والطبري، ٤٢٦/٦، ٤٦٤، ٤٨١

(٤) الطبري، ٤٢٧/٦، والبداية والنهاية ٧٨/٩

لسبب أحد من الصحابة من فوق المنابر، واستبدال ذلك في آخر الخطبة الثانية، بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ الآية^(١)

كما تولى ولاية مكة والطائف أكثر من مرة خالد بن عبد الله القسري البجلي، وكان يشابه الحجاج بن يوسف الثقفي، في شدته وسطوته، قبض على بعض التابعين والفقهاء الذين فروا من بطش الحجاج، كعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد وابن حبيب وابن دينار وأعادهم إلى الحجاج بالعراق، فقتل سعيد بن جبير ومات ابن حبيب في الطريق^(٢) ومن محاسن ابن القسري النادرة أنه أول من فكر في إدارة الصفوف في الصلاة حول الكعبة، بغرض استيعاب أكبر قدر من المصلين خلف الإمام الواحد، واستشار الفقهاء في ذلك فأجازوه^(٣).

ونلاحظ أن بعض الولاة جمعت له الولايات الثلاث: مكة والمدينة والطائف، مما يتبعهم كنجران مثل: عمر بن عبد العزيز كوال لها في عهد الوليد بن عبد الملك وعبد الرحمن بن الضحاك القرشي عام ١٠٣هـ ثم الذي خلفه في ولايتها وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري الثقفي وكان عبد الواحد قد ولي الطائف فقط عام ١٠٣هـ عقب عزل عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد، ثم ضمت إليه الولايات الثلاث عام ١٠٤هـ وأيضاً

(١) سورة النحل آية، ٩٠

(٢) الطبري، ٤٨٨/٦، ٤٨٩

(٣) شفاء الغرام، ١٧٢-١٧٠/٢

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي - خال هشام بن عبد الملك - الذي وليها من عام ١٠٦هـ حتى عام ١١٤هـ، ثم أخوه محمد بن هشام الذي تسلمها منه واستمرت ولايته على مكة والطائف حتى عام ١٢٥هـ، ويوسف بن محمد بن يوسف الثقفي - ابن أخي الحجاج بن يوسف، وخال الخليفة الوليد بن يزيد - حيث تولاها عام ١٢٦هـ، وفي الوقت نفسه كان أخوه مروان بن محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن، وجمعت أيضاً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عام ١٢٩هـ^(١).

وكثيراً ما كانت تنفرد كل ولاية بوال واحد مستقل، يتلقى تعليماته مباشرة من الخليفة فكان من هؤلاء هشام بن أبي سفيان بن معتب الثقفي، الذي ولي أمر الطائف وما يتبعها، دون ولاية مكة وذلك في عهد يزيد بن الوليد^(٢).

ونلاحظ من سياسة معاوية حرصه على اختيار الولاة من ذوي الحزم والحكمة في الاطلاع بشئون الرعية، مع ميله إلى إسناد تلك المناصب إلى رجالات بني أمية، أو من يلوذون في فلكتهم، فإذا رغب في أن يولي أحداً من بني أمية ولم يسبق له أن تقلد منصب ولاية ولاه ولاية محدودة تنسم بالهدوء والاستقرار، مثل ولاية الطائف التي لا تردها وفود، أو يطرق

(١) انظر فيما سبق: شفاء الغرام ١٧٢/٢-١٧٤، والطبري ٤٤٧/٦، ٦٢٠، ١٤/٧، ٢٠، ٢٩، ٩١، ٢٢٦،

والجمهرة ص ١٤٨، ٢٦٧، ٢٧٠.

(٢) الجمهرة ص ٢٦٨.

أرضها إلا عابر، فإن رأى منه خيراً وأعجب بحسن سيرته وإدارته أضاف إليه ولاية أخرى، مثل ولاية مكة أو نقله إلى ولاية تستحق رعاية وسهر دائم، لكثرة ما فيها من اضطراب، كالبصرة والكوفة^(١) وهذا ما فعله مع أخيه عتبة بن أبي سفيان، ففي بداية تقلده المناصب ولاه ولاية الطائف وحدها، وبعد عدة أشهر أضاف إليه ولاية مكة، بعد أن لمس فيه حسن الإدارة، وتصريف شئون الولاية، وكذلك مع مروان بن الحكم، فقد ولاه المدينة أولاً ثم أضاف إليه مكة والطائف، بعد عزل عتبة لمرضه، وهذا في حد ذاته يعطينا مؤشراً على مدى اهتمام الخلفاء بتلك الولايات الثلاث وتوابعها، وإسنادهم إياها إلى ذوي الكفاءة والمقدرة، ومما يؤكد ذلك أن عمر بن الخطاب عندما قدم من المدينة إلى مكة عام ٢٣هـ لأداء فريضة الحج، وكان إلى مكة من قبله نافع الخزاعي، فخرج هو وبعض أعيان مكة لمقابلة عمر ومن معه خارج مكة على مسيرة يوم منها .. فلما سلم على عمر سأله عمر: على من أناب على مكة قبل خروجه، فقال الخزاعي: عبد الرحمن بن أبيزي - مولاه - فغضب عمر، واستنكر منه أن يولي مولاه على أهل بيت الله، فقال: إنه قارئ للقرآن، وعالم بالفرائض وحافظ للحديث، فسكن غيظ عمر^(٢) ونلاحظ أن عمر بن عبد العزيز عندما ولي خليفة عام ٩٩هـ عقب وفاة سليمان بن عبد الملك، اختار ولاته من ذوي الورع والعلم وحسن الإدارة في سياسة الرعية، فأبقى على

(١) الطبري، ٢٩٦/٥

(٢) شفاء الغرام، ١٦٤/٢

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، والي مكة والطائف في عهد سليمان بن عبد الملك، وكان لعمر مشورة من قبل في تعيينه والياً على مكة من قبل سليمان، كما عين على المدينة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وهو من فقهاء المدينة المشهورين، بينما عزل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عن ولاية العراق وخراسان لأن في سيفه رهقاً، بالرغم من خبرة يزيد في التصدي للخوارج^(١) ويأتي يزيد بن عبد الملك فيفصل ولاية الطائف وما يتبعها عن ولاية مكة، ويولي عليها عبد الواحد ابن عبد الله النصري من ثقيف، ويولي مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وذلك عام ١٠٣هـ^(٢) لكنها لم تلبث أن انضمت تلك الولايات الثلاث تحت والٍ واحد في عهد هشام بن عبد الملك وإلى نهاية عهد بني أمية في معظم الأحوال.

وفي إطار تداعيات الخروج على الدولة لأسباب مختلفة ونوازع متباينة قد لا تمت إلى المشروعية بأية صلة، وإنما هيئت بدواعي واهية تعاظمت شيئاً فشيئاً حتى استحوزت على أفكار الذين سوّلت لهم أنفسهم هذا الخروج وحسته في أذهانهم، متغافلين عن نتائج الوخيمة، شرعاً وعقلاً وما يسببه ذلك من تفريق جماعة المسلمين التي حث الله على الالتزام بها.

(١) البداية والنهاية، ٢٠٧/٩، والطبري ٥٥٧/٦، ٥٥٨.

(٢) شفاء الغرام، ١٧٤/٢، والطبري، ٦٢٠/٦.

خرج بأرض حضرموت أحد هؤلاء الخوارج وهو: عبد الله بن يحيى بن عمرو الكندي، المعروف بطالب الحق، وكان أبو حمزة الخارجي واسمه: المختار بن عوف الأزدي السليمي من أهل البصرة - أي من بطون الأزد الذين انتقلوا واستوطنوا البصرة - كان يوافي مكة في كل موسم يدعو الناس سراً إلى مخالفة مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، ويحثهم على نزع طاعته، والخروج عليه بل والخروج على أي خليفة، أو حاكم من بني أمية، فلما كان موسم عام ١٢٨هـ سمعه أحد أنصار طالب الحق فانفرد به وقال له: يا رجل أسمع منك كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى الحق، فانطلق معي، فإني أراك مطاعاً في قومي، وسوف يتبعونك، وحمله معه إلى حضرموت، وهناك التقى بطالب الحق، فبايعه أبو حمزة الخارجي على أن يكون خليفة، وسمي عندئذ: طالب الحق، وأصبح أبو حمزة داعية له وقائداً لجيشه، وكان أبو حمزة خطيباً بليغاً مؤثراً، وانضم إليهم ثالث كانت له هبة هو: أبرهة الصباح^(١) فتبعهم كثير من عامة الناس، فاستولوا على حضرموت وظفار وصنعاء وغيرها من مخاليف اليمن، وطردوا والي اليمن من قبل الخليفة مروان بن محمد، وهو: القاسم بن عمرو بن الحكم بن عقيل الثقفي^(٢) وذلك عام ١٢٩هـ.

^(١) هو الحفيد الأدنى لأبرهة بن الصباح بن لبيعة بن شبة من معد يكرب الحميري، كان لأبرهة بن الصباح هذا ولدان، أحدهما: شمر بن أبرهة أحد الذين أجلبوا الناس على عثمان - رضي الله عنه - وثانيهما: حريث بن أبرهة كان من أشد المطالبين بدم عثمان فكانا على نقيض، الجماهرة، ص ٤٣٥

^(٢) هو ابن ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي، الجماهرة، ص ٢٦٧، ٢٦٨

ثم تطلعت أنظار الخارجين إلى البقاع المقدسة، لإثبات جدارتهم بالخلافة في أعين أنصارهم، ورغبة في اقتطاع مساحة أكبر من أرض الخلافة وفصله عنها، فأقبل أبو حمزة الخارجي على رأس جيش^(١) قبيل موسم عام ١٢٩هـ، وظهر هو ومن معه على الناس في عرفات يحملون أعلاماً سوداء، على رؤوس الرماح، وفزع منهم الحجيج حين رأوهم بعرفة، وذهب لهم البعض يسألهم ما خبرهم وحالهم؟! فأخبروهم بخلافهم لمروان بن محمد، وآل مروان وبني أمية عامة، والتبرؤ منهم وخلع طاعتهم فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والي مكة والمدينة والطائف، وصالحهم على عدم إحداث شغب في الموسم، وعقد معهم أماناً إلى انتهاء الأشهر الحرم، فوافقوه على الهدنة إلى نهاية الموسم، ووقفوا بعرفات على حدة، ودفع بالناس الوالي عبد الواحد بن سليمان من عرفات إلى المزدلفة ثم منى، فلما كان بمنى قال له بعض الناس: لقد أخطأت حين أعطيتهم الأمان، فلو حملت عليهم وحمل معك الحجاج لتشتت جموعهم، فتعلل بأنه لا يريد إحداث شغب في الحرم الآمن، ثم تعجل في طواف الإفاضة، وترك مكة وذهب إلى المدينة، فدخل أبو حمزة الخارجي مكة، واستولى على دار الإمارة، دون مقاومة، وزحف نحو المدينة فوصلها في ١٩ صفر سنة ١٣٠هـ، وكان الوالي قد أعد جيشاً للمقاومة، وجعل عليه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ووقعت بينهم وبين أبي حمزة وقعة بقديد خارج المدينة، قتل فيها كثير من أهل المدينة، ثم دخلها الخارجي

(١) قيل كان جيشه ٧٠٠ رجل، وقيل عشرة آلاف، والصواب الأول لأن مؤشر الوقائع يؤيد ذلك

وأقام بها ثلاثة أشهر، وأراد الذهاب إلى الشام، فبلغه أن هناك جيشاً بعثه الخليفة في طريقه إلى المدينة، يقوده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي من هوازن، وقد ولاه الخليفة مروان ولاية كل من مكة والمدينة والطائف واليمن، بالإضافة إلى محاربة الخارجين، فحصل أبو حمزة الخروج من المدينة إلى وادي القرى، فالتقى بالقرب من وادي القرى، فهزمه ابن عطية، وقتل أبو حمزة ومنظم أصحابه، ولم ينج منهم إلا من فر في جنح الظلام، ثم وكى ابن عطية على المدينة ابن أخيه: الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، ومضى هو يقود الجيش إلى مكة، فلم يجد بها أحداً من الخوارج، فاستخلف عليها وعلى الطائف وما يتبعها أحد رجاله يقال له ابن ماهر، ثم انطلق إلى اليمن، وبلغ ابن يحيى طالب الحق مسير ابن عطية إليه، فاستعد له وحشد جموعه على مشارف صنعاء، ولما تلاقيا قتله ابن عطية^(١) وفرق جموعه، ودخل صنعاء وأعاد الأمن والاستقرار في ربوع اليمن وأعاد ترتيب شؤونها.

وكان موسم الحج عام ١٣٠هـ قد قرب موعده، فكتب إليه الخليفة مروان بن محمد يستعجله أن يقبل إلى مكة ليتولى موسم الحج بالناس.

^(١) في تاريخ اليمن للواسعي ص ١٥٩ ما يفيد بأنه لم يقتل، وأنه ظهر مرة أخرى عام ١٤٧هـ فتغلب عليه والي اليمن مع بن زائدة الشيباني وقتله، وفي الطبري ٦٤/٨ أن أبا جعفر المنصور ولي معن ابن زائدة الشيباني ولاية اليمن لأنه بلغه أن واليها بهم مخالفتهم ومعصيته والخروج على طاعته، فانطلق معن وقضى على الفتنة التي كانت قد قامت بالفعل باليمن، وقتل رؤوس المتمردين ولم يذكر من بينهم يحيى الخارجي المعروف بطالب الحق.

فترك جيشه وقواده جميعاً باليمن، وأقبل مسرعاً ومعه اثنا عشر رجلاً من خاصته، فلما نزلوا أرض قبيلة مراد بتهامة اليمن، جلسوا يستريحون بأحد الأودية، فظنهم بعض رجال قبيلة مراد أنهم لصصوص، فهاجموا عليهم وقتلوهم، وقتلوا ابن عطية، واستولوا على أمتعتهم وأموالهم، وكان ابن عطية قد حمل معه أربعين ألف دينار لمصاريف موسم الحج، فاستولوا عليها، ولم يفلت منهم إلا رجل واحد، قال لهم إني من همدان، ويدعى: أبا الزبير بن عبد الرحمن، فعاد إلى صعدة فأخبر من بها بما حدث لهم، ثم انطلق ومعه جماعة إلى مكة فأخبر من بها بما حدث لهم. فتولى الحج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان، وكان قدم للموسم بغرض الحج، ولما انتهى الموسم عينه الخليفة والياً على مكة والمدينة والطائف، وعين على اليمن عروة بن محمد بن عطية السعدي، أخو عبد الملك القائد والوالي السابق المقتول، وأقر محمد بن عبد الملك: الوليد بن عروة هذا على ولاية المدينة كنائب له، فذهب الوليد يقود جمعاً وأنزل بقبيلة مراد عقوبة شديدة، نتيجة لقتلهم عمه عبد الملك^(١).

أطلقنا في إيراد تفاصيل هذه الواقعة^(٢) للتأكيد على أن الخروج على الدولة في أي ثوب يرتديه الخارج، كان يعد بمثابة عصيان مدني لأوامر

(١) انظر فيما سبق: الطبري ٣٤٨/٧، ٣٧٤، ٣٩٣-٤١١ بتصرف، والبداية والنهاية ٤٠/١٠-٤٤، وشفاء الغرام،

١٢٥/٢، ١٧٥، ١٧٦، والجمهرة ص ٢٦٥، ومختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) الواقع أننا أوجزناها، فالمصادر السابقة عرضتها بتفاصيل كثيرة، وشغلت حيزاً منها أكثر، ومع إيجازنا وتصرفنا كانت في ظننا بها إطالة لم نعود القارئ عليها، والداعي لذلك هو التأكيد على النتيجة التي توصلنا إليها.

الدولة، أو مخالفة لحاكم بعينه، ينتهي أثره بمجرد القضاء عليه وإزالة أسبابه وعودة الطاعة والولاء، وأمثلة هذا كثيرة في عهد الأمويين والعباسيين، وبخاصة في الأقاليم الشرقية للدولة: خراسان وما وراءها شرقاً، وسواحل أفريقيا وامتداده غرباً، وقائع وأحداث كثيرة يصعب على الباحث تتبعها وحصرها، وبحث الغرض من ورائها، وهي في مجملها من أمثال تلك التي قام بها أبو حمزة الخارجي، مما لا يترتب عليه أي أثر سياسي، فضلاً عن التبعية الإقليمية، بدليل أن الوليد بن عروة والي المدينة هو الذي تولى إنزال العقوبة بأفراد قبيلة مراد، الذين قتلوا عمه ومن معه .. فاستطالت يده بالسطوة وإنزال العقوبة إلى هنالك .. إما بتفويض من والده عروة والي اليمن، أو من الخليفة مروان، أو من والي مكة والمدينة والطائف محمد بن عبد الملك بن مروان، الذي أبقى عليه نائباً له في المدينة .. وعهد إليه بأن يحج بالناس موسم ١٣١هـ وفي هذا دليل على امتداد نفوذ مكة إلى ما وراء منطقة الدراسة.

وعلى كل فإن منطقة الحجاز، بل شبه الجزيرة العربية عامة، كانت تعتبر من أهدأ الأقاليم وأكثرها استقراراً وأمناً خلال عهد الأمويين بالقياس إلى غيرها من الأقاليم والأمصار الأخرى، وكان يخضع لها إدارياً الكثير من المناطق والأقاليم ومنها اليمن نفسه، في بعض الأحيان إبان العهد الأموي، فضلاً عن العهد النبوي، وعهد الخلفاء الراشدين، كما سبق أن أوضحنا ذلك .. وليس في هذا منقصة لتلك الأقاليم والأمصار، بل إنها الفترة التاريخية التي يعتز بها المسلمون، لوحدهم وجمع صفوفهم في ظل الإسلام.

عهد العباسيين :

نُحِج العباسيون^(١) في إقامة دولتهم على أنقاض دولة الأمويين عام ١٣٢هـ^(٢) مستغلين النزاع والشقاق الذي وقع في البيت الأموي، والصراع بين الأمويين والعلويين^(٣)، وتردي حالة الدولة بصفة عامة^(٤).

(١) ينسبون إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وكان للعباس تسعة أبناء، منهم حبر الأمة عبد الله بن العباس، وهؤلاء من ذريته خاصة، وكان يطلق عليهم وقت القيام بالدعوة لهم: آل محمد نسبة إلى أبيهم محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، ومن المفارقات أن العباس كان قد تطلعت نفسه إلى أن يظل الأمر في بني هاشم، عند مرض رسول الله ﷺ وطلب من علي بن أبي طالب أن يسأل الرسول ﷺ إياها، فرفض وقال: والله لو منعنا إياها لا يعطينها الناس أبداً، كما تروي ذلك كتب التاريخ النصفية، ولم تطمح نفس عبد الله بن العباس إلى الخلافة مطلقاً مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب، الذي اعتزل الفتنة تماماً حتى توفي، وقام عبد الله بن العباس بدور الناصح الأمين للإمام علي بن أبي طالب، لعدم ترك المدينة والنهاب إلى الكوفة، كما لم يوافق ابن الزبير فيما قام به، لأن فيه تفريقاً للجماعة، وتعلق بثوب الحسين لإثناء عزمه عن السير إلى العراق، قبيل كربلاء عام ٦١ هـ، بينما الطالبيون -نسبة إلى أبي طالب بن عبد المطلب، أخوي العباس- لم ينجحوا في إقامة مثل تلك الدولة، بالرغم من كثرة مطالباتهم وخروجهم وسعيهم، هم وأشياعهم .. وهذا مما يحدو بالمرء الذي يعين بفكره وعقله بعيداً عن العاطفة، أن يوقن بأن الله سبحانه وتعالى حكمة في ذلك، وأنه سبحانه ﴿يؤتي الملك من يشاء﴾ يؤتيه ويهبه لمن يشاء هو سبحانه، لا من يشاء ويسعى إليه من عباده، فليت الساعين في كل عصر يدركون ذلك ..!

- (٢) بويع أبو العباس بالخلافة ليلة الجمعة ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٢ هـ، وقيل في ربيع الأول، الطبري، ٤٢٠/٧
(٣) العلويون نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن أتباع ذريته نشأت الشيعة، وهي فرق عديدة .
(٤) انظر: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، للدكتور علي عبد الرحمن العمرو، ص ٧٩-١٠٤ .

كان أول الخلفاء العباسيين أبا العباس السفاح^(١) وساعده في توطيد الحكم إخوته^(٢) وأعمامه^(٣) ودعائه وقواده^(٤) فبادر بإرسال الجيوش للاستيلاء على الأندلس والأماص ومطاردة بني أمية، واختصار السيادة من ذوي الحنكة والسطوة لإحكام السيطرة على الولايات ودفعهم الاستقرار فيها.

فاستدعى عمه داود بن علي، الذي كان قد هيمن على الكوفة، وصار والياً عليها، منذ إعلان البيعة والخلافة في ربيع الآخر ١٣٢هـ، وانتدبه بعد شهرين تقريباً، ليكون والياً عاماً على معظم شبه الجزيرة الغربية، ومسئولاً عن استقرار الأمن والأوضاع فيها، ومطاردة فلول بني أمية، فكان هو الوالي لكل من مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين واليمن^(٥)، واتخذ مكة المكرمة مقراً له، وعين ولاة من قبله على تلك البلدان والمناطق كان منهم عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أول والٍ على اليمن في عهد الدولة العباسية من قبل داود بن

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وسمي السفاح لكثرة ما أريق وسفح من دماء في عهده .
(٢) كان له خمسة إخوة: إبراهيم الإمام، وكان هو أكبر الإخوة، وكانت الدعوة له إلى أن توفي قبل أن يؤول الأمر لهم، فعهد إلى أخيه أبي العباس، ثم إلى أبي جعفر المنصور. وبقية الأخوة: العباس، وموسى ويحيى ولكل منهم أولاد أسهموا في توطيد الحكم.

(٣) كان له سبعة أعمام: سليمان وداود وعبد الله وصالح وعيسى وعبد الصمد وإسماعيل ولكل منهم أولاد كان لهم جميعاً دور بالغ الأهمية في الاستيلاء على المناطق، واستقرار الوضع .

(٤) كان من أشهر دعائه وقواده: أبو مسلم الخراساني، أمين آل محمد وعلي أبي سلمة، وزير آل محمد. انظر أثر

الفرس السياسي في العصر العباسي، للدكتور علي العمرو ص ١٠٥-١٢٠

(٥) الطبري، ٤٥٨/٧، والبداية والنهاية، ١٠/٦٤، ٦٦ .

علي، وكان هو الذي أخذ البيعة من أهل مكة لأبي العباس، ولذا اعتبره البعض أنه ولي مكة للسفاح^(١)، المهم أن داود بن علي كان هو المرجع المباشر لهم دون الخليفة، وهو الذي حج بالناس موسم عام ١٣٢هـ ثم توفي في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣هـ، أي بعد أقل من عام من ولايته، لكنه استطاع أن يثبت دعائم الدولة في تلك المناطق، ويقضي على فلول الأمويين الذين يخشى منهم، وكان داود عندما أحس باشتداد مرضه وقرب وفاته، وكلى ابنه موسى بن داود على عمله، لكن أبا العباس السفاح، بعد أن بلغه وفاة عمه داود رأى أن موسى ليس كفاءاً لهذا المنصب، ومسئوليته الكبيرة، فأسندته إلى خاله زياد بن عبيد الله بن المدان الحارثي^(٢) واقتطع منه اليمن فولاهما لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله الحارثي، كما اقتطع البحرين فولاهما إبراهيم بن حسان السلمي، واتخذ زياد الحارثي المدينة مقراً له، وجعل ابن أخيه علي بن الربيع الحارثي نائباً له على مكة والطائف وما يتبعهما. ولما توفي محمد بن يزيد الحارثي والي اليمن، حل محله في ولاية اليمن علي بن الربيع عام ١٣٤هـ، وترك نيابة مكة والطائف، فعين الخليفة عليهما العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، بداية عام ١٣٥هـ، واقتصرت ولاية زياد بن عبيد الله على المدينة فقط، وعندما توفي العباس بن عبد الله والي مكة والطائف في نهاية موسم

(١) الجسرة ص ١٥٢، ومختصر أنباء اليمن ونبلاته لابن زبارة، ص ٤٥

(٢) عبد الله، أبو العباس السفاح أمه ربيعة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي من بني الحارث، أهل

نجران، وهم أحواله ولهذا كان لهم شأن في صدر دولة بني العباس.

عام ١٣٧هـ، أعيدت ولايتهما إلى زياد بالإضافة إلى المدينة^(١) فجعل
عليهما نائباً عنه هو الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي^(٢) واستمر الرضع
هكذا حتى عام ١٤١هـ حينما عزل أبو جعفر المنصور زياد الحارثي،
واستعمل مكانه الهيثم بن معاوية العتكي على مكة والطائف أي مستمراً
عليها، وبذلك أصبح الهيثم والياً من قبل الخليفة، وليس نائباً لوالي الحجاز.
وولي اليمامة السري بن عبد الله بن عبد المطلب، ثم فصل ولاية المدينة
من الهيثم وولى عليها محمد بن خالد القسري، وفي عام ١٤٣هـ انتقل
السري من ولاية اليمامة وتولى مكة والطائف وما يتبعهما بعد عزل الهيثم
ابن معاوية العتكي، وحل قثم بن عباس بن عبد الله بن العباس محل السري
في ولاية اليمامة، واستمر السري حتى عام ١٤٦هـ حين عزله أبو جعفر
المنصور وعين بدلاً منه عبد الصمد بن علي، عم أبي جعفر المنصور،
وخلال ولاية السري خرج على المنصور: محمد بن عبد الله الحسيني
العلوي الملقب بالنفس الزكية، فخلع الطاعة عام ١٤٥هـ واستولى على
المدينة، وبعث من استولى على مقر الحكم في مكة واليمن فسير إليه أبو
جعفر المنصور عيسى بن موسى العباسي على رأس جيش، قتله وقتل كثيراً
من أنصاره واستعاد منهم المدينة ومكة واليمن وما يتبعهم، وأعاد الأمن

(١) الطبري ٤٨٥/٧-٤٦٧، ٤٩٦، ٦٥٦، والبداية والنهاية، ٦٧/١٠، ٧٢، ٨٥

(٢) الطبري، ٥١١/٧.

فيهم وعاد لهم أمراؤهم السابقون، كالسري لكن الخليفة ما لبث أن عزل هؤلاء الولاة، وعين بدلاً منهم ولاة آخرين^(١).

وهذا التعيين والنقل والعزل للولاة ليس خاصاً بمنطقتنا وحدها، بل كان يشمل كافة الولاة في الأقاليم والمناطق الأخرى، وهو يعطي دلالة على مدى اهتمام الدولة بالسيطرة على الأقاليم والمناطق، وحرصها على اختيار الولاة من ذوي الكفاءة وحسن الإدارة لمواجهة أي اتجاه مُخِلٍّ أو مفسد للأمن.

(١) شفاء الغرام ١٧٦/٢-١٧٨ .

صاحبة لجواني :

وخلال هذه الفترة وقعت حادثة تؤكد ما ذهبنا إليه من حيث تحديد الولايات في المنطقة وتبعية انتمائها الإقليمي والإداري وتلخيص في الآتي:

أن بعض بطون بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة^(١) كانت تمتد مواطنهم في بادية عسير (السراة) ملاصقة ومحاورة لأرض كل من حرم ونهد المقيمين بنجران غرباً، وذلك منذ ما قبل الإسلام، فقد سبق أن أشرنا إلى أنه وقعت منازعة بين بعض بني حرم على ملكية أحد الأودية، ورفعوا خصومتهم إلى الرسول ﷺ، فحكم به الرسول إلى بني حرم فراضوا وقبلوا بحكمه عليه السلام^(٢).

ونظراً لتقارب موطن كل من بني عقيل وبني الحارث بن كعب من أهل نجران، فقد كانت كثيراً ما تنعقد بين رجالاتهم وقتياتهم نوع من الألفة والمودة، وأحياناً تقع بينهم منافسة ومنازعة، تؤدي إلى المشاحة والخصومة وربما إلى الاقتتال، شأن كثير من القبائل المتجاورة.

^(١) بطون بني عقيل، منهم بنو المنتفق، وبنو خويلد بن عوف، وبنو خفاجة، رهط توبة صاحب ليلي الأخيلية، وبنو عبادة رهط ليلي الأخيلية، وكانت بطون منهم قد رحلت من مواطنها قبل الإسلام، وخلال الفتوحات الإسلامية، فحلت محلها قبائل أخرى، الجهمرة ص ٢٩٠-٢٩٢، وعجالة المبتدى للحازمي ص ٩٣.

^(٢) انظر: الجهمرة، ص ٤٥، ومجمع البلدان، ج ٤، ص ١٣٩.

كان جعفر بن عُلبَة بن ربيعة الحارثي فارساً وشاعراً ومعاصراً لكل من الدولة الأموية والعباسية، وكان أبوه شاعراً أيضاً، وادعت بنو عقيل على جعفر بن علبَة أنه قتل منهم رجلاً واستعدوا عليه وإلى مكة، ورفعوا نصبهم عليهم إليه، فاستدعاه الوالي إلى مقر الإمارة بمكة ونصب محاکمته فيها، فأنكر جعفر أن يكون قتل أحداً من بني عقيل، فشهد عليه خمسون رجلاً منهم، فحكم عليه بالقصاص ونفذ الحكم بمكة.

وردت عدة روايات في السبب الذي دعا جعفر إلى قتل العقيلي، وفي أي الأزمنة حدث هذا؟. أورد ذلك كله بإفاضة (صاحب الأغاني) كعادته في إيراد الأخبار التي تتضمن شعراً أو نثراً جزل العبارة^(١) فكان مما أورده: أن هذا وقع في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، وأن والي مكة والطائف كان هو إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك، وأن الوالي استدعى الحارثيين الأربعة ومنهم جعفر وأجرى محاکمتهم، فأدين جعفر فنُفذ فيه القصاص .. وهذه الرواية بعيدة عن الصواب زمنياً لأن ولاية إبراهيم المخزومي لمكة والطائف كانت من عام ١٠٦هـ حتى عام ١١٣هـ تقريباً، والمصادر تفيد بأن جعفر أدرك الدولة العباسية، وبعضها ينص صراحة على أن هذا الحادث وقع في صدر الدولة العباسية، لذا نجد (صاحب الأغاني) يأتي بروايتين تؤكدان أن الحادث وقع في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، وأن والي مكة هو: السري بن عبد الله بن

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، ١٤١/١-١٤٦، وديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي، ٩/١، والجمهرة ص ٤١٧.

الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، الذي ولي مكة والطائف من عام ١٤٣ هـ حتى عام ١٤٦ هـ^(١)، فبعث السري من الشرط من يأتي بجعفر والمتهمين معه فإن لم يتمكن منه فليأت بأبيه عليه. وبالفعل لم يجدوا جعفرًا فأتوا بأبيه فحبسه لديه بمكة حتى يموت أهلوه وعشيرته على الإتيان بجعفر والمتهمين الثلاثة الذين كانوا معه، فأتوا بهم جميعاً، فأجرى لهم محاكمة في مكة مقر الإمارة، وأدين جعفر .. والرواية الثانية بها إضافة مفيدة هي أن السري كان متزوجاً من أخت جعفر، وأنه حاول درء القصاص عن جعفر بشبهة أنه اشترك معه ثلاثة، ولا يدري من أيهم وقع الفعل، وأنه حاول أن يراعي خؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث عشيرة جعفر، غير أن بني عقيل عندما أحسوا بنوايا واتجاه الوالي نفروا وتوعدوه بالخروج إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، والتظلم إليه إن هو تدخل في القضاء لصالح جعفر. فخاف وعدل عما كان ينوي الإقدام عليه .. فأجريت المحاكمة بعد قسامة شهد على جعفر فيها خمسون رجلاً من بني عقيل أنه هو القاتل، ونفذ حكم القصاص فيه بعد انقضاء موسم الحج الذي توافق أن ينتأ ليحيي بن زياد الحارثي حضرت إلى مكة للحج في ذلك الموسم، وبقيت بمكة حتى نفذ الحكم في جعفر فبكته هي ومن معها من جواريتها، وأحضرت له كفناً

(١) عزله أبو جعفر بعد القضاء على فتنة محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي، الذي خرج بالمدينة عام ١٤٥ هـ، واستولى أتباعه على السلطة في مكة واليمن. ثم ما لبث أن تغلب عليهم جيش أبي جعفر واسترد السلطة من أيديهم، وترتب على ذلك عزل الولاة القدامى، وتعيين ولاة جدد على تلك المناطق، فعين على مكة والطائف عمه عبد الصمد بن علي، وعلى المدينة جعفر بن سليمان بن علي ابن عمه .

كُفِّن فيه وعاد من حضر من بني الحارث إلى نجران، فقام نساؤهم ببيكينه بنجران، وقيل شعر كثير في هذا الحادث أورده صاحب الأغاني .

وعموماً فهذه الواقعة تؤكد ما ذهبنا إليه من استمرارية خضوع نجران وارتباطها إدارياً بولاية الطائف منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكلاهما كانا يخضعان في معظم الأحيان لوالي مكة، فقد كان يُعد بمثابة الوالي العام للمنطقة، وبخاصة إذا أضيفت إليه ولاية المدينة، وإبان وقوع هذه الحادثة كان السري والياً على مكة والطائف وما يتبعهما، ومن المؤكد أنه كان له نواب ومساعدون في كل من الطائف ونجران وغيرهما من البلدان والبوادي بتهامة وعسير وعلى القبائل والعشائر، فهو تنظيم إداري معمول به منذ عهد الرسول ﷺ وقد وقعت الحادثة في حيز ولايته، وفي داخل حدودها فرفع بنو عقيل الأمر إليه، لأنه من اختصاصه إدارياً وإقليمياً، ولو كان هناك مجرد شك في التبعية الإدارية وأنها لجهة أخرى لفرع إليها بنو عقيل، خاصة وأنهم يعلمون صلة المصاهرة للوالي مع خصمهم .. وكونهم لجأوا إليه مع علمهم بتلك المصاهرة يفيد بتأكيد تلك التبعية الإدارية، وأنه لا مناص لهم من رفع الأمر إليه، لذا أقيمت الدعوى، وأجريت المحاكمة ونفذ الحكم في مقر الولاية وهو مكة المكرمة .

الشافعي والياً على نجران :

لقد درس الكثيرون منا آراء الإمام الشافعي الفقهية، واجتهاداته، وفتاويه، واستدلالاته وأصول أحكامه، وغير ذلك، لأنه صاحب أحد مذاهب أهل السنة الأربعة المتبعة. أما حياته الذاتية، والوظيفية فلم يهتم بها سوى القلة، وهأؤم جزء من تاريخ حياته.

ولد محمد بن إدريس الشافعي في غزة^(١) وقيل: بغيرها، عام ١٥٠هـ، ومات أبوه وهو صغير، فحملته أمه^(٢) وهو ابن سنتين، عائدة به

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع [فهو منسوب إلى جده شافع هذا، وهو الجد الثالث له] ابن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، فهو يجتمع مع النبي ﷺ، في النسب بعبد مناف، فهاشم الجد الأعلى للنبي ﷺ والمطلب الجد الأعلى للشافعي، هما أخوان من أبناء عبد مناف بن قصي، ويوم خير أعطى الرسول ﷺ، بنى هاشم، وبنى المطلب هذا من خمس خيبر، ولم يعط بنى عبد شمس، ولا بنى عبد مناف، فمشى إليه جبير بن مطعم، وعثمان بن عفان، فقالا: أعطيت بنى المطلب وتركنا، وإنما هم ونحن منك بمنزلة واحدة، فقال: إن بنى هاشم وبنى المطلب شيى واحد لم يفارقونا .. لقي جده شافع رسول الله ﷺ وكان السائب أبو شافع، مع المشركين يوم بدر، ولم يكن أسلم بعد، حمل راية بنى هاشم، وأسرهم المسلمون يومها، ففدى نفسه ثم أسلم، فقيل له لم لم تسلم قبل أن تفدى نفسك؟ قال: ما كنت أحب أن أحرّم المسلمين مطعماً في .. وهذا يدل على كرم نفسه، ورعاية عقله. أنظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان ١٦٣/٤، وطبقات الشافعي، للسبكي، ص ١٠٠، وحلية الأولياء، لأبى نعيم الأصبهاني، ٦٧، ٦٦/٩، والجمهرة ص ٧٢-٧٣، وغيرها

(٢) أمه: قيل: أزدية، من الأزد، وقيل: أسدية، من ولد أسد بن عبد العزى بن قصي، رهط أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسدي رضى الله عنها، وآل العوام، وحكيم بن حزام، وليست من أسد ربيعة، الذين تتوزع منهم بطون قبائل عديدة، وقيل: بل هي من الطالبين من بنى هاشم، وأن عودتها به إلى مكة إشارة إلى عودتها إلى أهلها وأهلها.

أنظر حلية الأولياء، ٦٦-٦٨، وطبقات الشافعية، ص ١٠٠، ١٠١

إلى مكة لئلا يضيع نسبه، فأقاموا بيوت في شعب الخيف بمكة، ودفعته أمه إلى الكتاب، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وكان خلال ذلك يختلف إلى موطن قبيلة هذيل بالبادية بفسطاط مكة، فتعلم منهم لغة العرب وفصاحتهم، والشعر، وأيام العرب^(١) وأخذ من علماء مكة وفقهائها، كسفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهما، ثم أزمع الذهاب إلى الإمام مالك بالمدينة، ليقرأ عليه الموطأ، وكان الإمام مالك في تلك الأيام اعتكف الناس، ولزم بيته، ولا يشترك في حياة الناس العامة، بُعداً عن الفتنة، فاستعان الشافعي بوالى مكة ووالى المدينة على لقائه والجلوس إليه، فقابلته وبدأ يقرأ عليه الموطأ، فأعجب مالك بحسن قراءته، وجودته، ثم لزمه فأخذ عنه الفقه، وعلم أهل الحجاز^(٢) كما كان يطلق عليه في ذاك الوقت.

ثم عاد إلى مكة، وجلس للتدريس والفتوى، بعد أن أجازته بعض أساتذته، لكنه أمام وطأة الحياة، وضيق ذات اليد، ذهب يوماً إلى عبد الله ابن المصعب الزبيري^(٣) وكان عالماً تقياً، تجمع به صلة صودة وقربى، طلب

(١) البداية والنهاية، ١٠/١٠٣

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي، ١/١٠٣، والبدية والنهاية، ١٠/٢٨٤، والخلية ٩/٦٩، ٧٠.

(٣) هو: عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، من بني أسد بن عبدالمزى، التي قالت بعض الروايات أن أم الشافعي منهم، وكان عبد الله بن المصعب هذا، عالماً صالحاً، ولاه الرشيد المدينة المنورة قتيلاً الولاية عليها بشروط عدة اشترطها على الرشيد، فأجابته الرشيد إليها، ثم بعد فترة ولاه على اليمن - وهي الولاية ستتعرض لذكرها أعلاه، وهل هي إمارة، أو قضاء أو هما معاً - توفي سنة ١٨٤هـ، وتولى ابنه بكار ابن عبد الله بن المصعب ولاية المدينة، بعد أبيه مباشرة، أو بعده بزمان، وحفيده الزبير بن بكار بن عبد الله =

منه أن يسعى لدى أحد أقربائه الموسرين بأن يعطيه أو يقرضه شيئاً يستعين به على قضاء حاجته، فذهب ابن المصعب، ثم عاد ومعه مائة دينار، وقال للشافعي: إنه قال لي: تُكَلِّمْنِي فِي رَجُلٍ كَانَ مِنَّا فَخَالَفْنَا؟^(١) ثم قال له ابن المصعب: إن الرشيد كتب إليّ أن أصير إلى اليمن قاضياً، فتخرج معنا لعل الله يعوضك خيراً من هذا الرجل، فخرج مع ابن المصعب إلى اليمن ليعمل في القضاء والإفتاء.

بعض الروايات تفيد بأن عبد الله بن المصعب بن الزبير، عمل والياً على اليمن للرشيد^(٢) غير أن هذه الرواية تفيد بأنه ذهب إليها قاضياً^(٣) ويجوز أن يكون قد ذهب لتقلد المنصبين معاً، فبعض الولاة، وبخاصة الذين كانوا من العلماء والفقهاء، كان يسند إليهم المنصبين معاً: الولاية، والقضاء، ورواية ثالثة تفيد بأن الوالي المكلف بولاية اليمن لم يكن هو ابن المصعب، وإنما وال آخر قدم مكة فكلّمه بعض القرشيين ليصبح الشافعي معه، فأخذه معه واستعمله على بعض الأعمال فيها^(٤) وسواء أكان الوالي ابن المصعب، أم غيره، فقد ذهب الشافعي إلى اليمن، وعمل

-- بن المصعب، الراوية النسابة المشهور، قاضي مكة في عصره. وفي بعض الكتب ورد الاسم: المصعب بن عبد الله، وهو خطأ. أنظر: البداية والنهاية، ٢١١/١٠، والجمهرة ص ١٢٣، والطبري ٣٥٣/٨.

(١) إن لم يفصح الرواة عن اسم هذا الرجل، لكن العبارة تشير إلى أنه من بعض الطالبيين الذين كانوا يتوقعون أن يسير الشافعي في ركابهم، ويقول بمثل ما تقولون.

(٢) الجمهرة ص ١٢٣.

(٣) الحلية، ٧١/٩.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٦/١.

بها فى القضاء والفتوى، وذاع صيته، وطار ذكره، وأثنوا عليه فى عدله وإنصافه، وسعة أفقه بالأحكام الفقهية. وقدم العمال إلى مكة فى شهر رجب من نواحى اليمن ومخاليفها، فأشاعوا ذلك فى مكة، وعلى مسامع أساتذته، ثم قدم الشافعى عائداً إلى مكة، فأثنى عليه بعض أساتذته كسفيان بن عيينة ولامه البعض الآخر لأنه قَبِلَ أن يعمل قاضياً، فهم عازفون عن تقلد هذا المنصب، ويودون تلامذتهم أن يقتدوا بهم فى ذلك، حتى لا يقعوا فى الفتنة، وتغرمهم الدنيا .. وكان من هؤلاء ابن أبى يحيى^(١)

وغالب الظن أن ذلك كان عام ١٨٢ هـ، بما يفيد أن عبد الله بن المصعب هو الوالى على اليمن، لأنه عاد إلى مكة أوائل عام ١٨٣ هـ، ولزمها حتى توفي عام ١٨٤ فى رواية الطبري، أو عام ١٨٥ فى رواية ابن الأثير، وتسلم منه ولاية اليمن محمد بن يحيى بن خالد البرمكي^(٢) أوائل عام ١٨٣ هـ، واستمر فيها حتى بداية عام ١٨٤ هـ، حين قدم إلى المنطقة حماد البربري والياً على مكة، والطائف، واليمن، متخذاً من مكة مقراً له. وكان إلى مكة والطائف هو: أحمد بن إسماعيل بن علي، العباسي،

(١) مناقب الشافعى، للبيهقى، ١/١٠٦.

(٢) كان محمد بن يحيى البرمكي، أحد أربعة أخوة هم أبناء يحيى بن خالد البرمكي - الفضل، وجعفر، ومحمد وموسى - وكان محمد صالحاً ورعاً، ومخلصاً فى عمله، وكان ناصحاً للرشد وتولى الحجابة له عامي ١٧٧، ١٧٨ هـ، وعندما أوقع الرشيد بالبرامكة عام ١٨٧ هـ، لم يعرض لمحمد بأي سوء أو أذى، وبقيت أمواله كما هى، لحسن سيرته، لذا فإنه يعد من الولاة المنصفين الذين تولوا اليمن.

انظر: الطبرى ٨/ ٢٦١، ٢٨٧، والبداية والنهاية، ١٠/ ٢١٥، ومختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٨، وابن الأثير ٦/ ١٧١.

القرشي، الذي تسلم منه حماد البربري الولاية حين قدمها .. وأحمد بن إسماعيل هو الذي اختار الشافعي والياً وقاضياً على نجران، نهاية عام ١٨٣هـ، بعد أن ذاع صيته واشتهر أمره فترة وجوده في اليمن، وذلك قبل قدوم البربري بفترة يسيرة، بعد أن كلمه عم الشافعي محمد بن علي بن شافع.

وإبَّان ولاية محمد البرمكي لليمن، خرج بعض شتات القبائل بمخلاف الجند بتهامة اليمن، قيل: أثارهم أحد الطالبين، وأحدثوا شغباً واضطراباً، ولم يستطع البرمكي السيطرة عليهم، لذا فإن الرشيد عزله، وعزل أيضاً إلى مكة والطائف ربما لعدم تعاونه معه في القضاء على هذا الاضطراب، وأعطى الرشيد تعليماته لحماة البربري قائلاً: أسمعني أصوات أهل اليمن^(١) - كناية عن صراخهم الذي يقرع الآذان من قسوة التعذيب، ويقصد بذلك الذين أحدثوا شغباً في ولاية الجند - لكن قسوة البربري تجاوزت ولاية الجند، وكان يحمل تعليمات أخرى عامة لكافة الولاة، بأهمية أخذ الناس بالتأخر من الخراج، كل في منطقته، وولي الرشيد هذا الأمر أميراً في دار الخلافة مهمته متابعة الولاة في ولاياتهم، ومتابعة أهل سواد العراق خاصة لتحصيل المتأخر من الأموال المطلوب أدائه للدولة، وهو عبد الله بن الهيثم بن سلم، فروَّع الناس أيَّما ترويع لهذا الغرض^(٢) ونعود إلى نص ذكره الشافعي، يوضح فيه سبب عزله عن نجران، يقول

(١) مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٤٨، وتاريخ اليمن (فرجة الموم ... للواسعي، ص ١٥٨.

(٢) الطبري، ٢٧٢/٨، والبداية والنهاية، ٢١٠/١٠.

الشافعي^(١) ! .. ثم وُلِّيتُ بنجران^(٢) وبها بنو الحارث، وموالى ثقيف، وكان السوالي إذا اتَّاهم صانَعُوهُ، فَقَدِمْتُ فَأَرَادُونِي عَلَى ذَلِكَ [أَي أَرَادُوا أَنْ يَصْنَعُوا مَعَهُ كَمَا كَانُوا يُصَانَعُونَ غَيْرَهُ] فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدِي [اِسْتِعْدَاداً لِقَبُولِ ذَلِكَ] وَتَظَلَّمْ عِنْدِي نَاسٌ، فَجَمَعْتَهُمْ، وَقُلْتُ: اجْتَمِعُوا، عَلَى سَبْعَةِ مِنْكُمْ [وَفِي رِوَايَةٍ: اخْتَارُوا سَبْعَةَ مِنْكُمْ] رِجَالٌ عُدُولٌ. فَمَنْ عَدَّلُوهُ [مِنَ الشُّهُودِ] كَانَ عَدْلًا، وَمَنْ جَرَّحُوهُ كَانَ مَجْرُوحًا، فَاجْتَمَعُوا عَلَى سَبْعَةِ مِنْهُمْ، فَجَلَسْتُ لِلْحُكْمِ، وَقُلْتُ لِلْخَصُومِ: تَقَدَّمُوا، وَأَجْلَسْتُ السَّبْعَةَ حَوْلِي، فَإِذَا شَهِدَ شَاهِدٌ التَفْتُ إِلَى السَّبْعَةِ، فَقُلْتُ: مَا تَقُولُونَ فِي شَهَادَتِهِ؟ فَإِنْ عَدَّلُوهُ كَانَ عَدْلًا، وَإِنْ جَرَّحُوهُ قُلْتُ [لِمَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ] زَدَنِي شُهُودًا، فَلَمْ أَزَلْ أَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ تَظَلَّمْ عِنْدِي، فَلَمَّا صَحَحْتُ [النَّظَرَ فِي أَقْوَالِ الْخَصُومِ] وَضَعْتُ الْأَحْكَامَ، وَسَجَّلْتُهَا، فَنْظَرُوا إِلَى حُكْمِي حَادٍ [وَفِي رِوَايَةٍ: جَارٍ أَيْ جَارٍ فِي رَأْيِهِمْ] فَقَالُوا: هَذِهِ الضِّيَاعُ الَّتِي نَحْكُمُ عَلَيْنَا فِيهَا لَيْسَتْ لَنَا، إِنَّمَا هِيَ لِلْمَنْصُورِ بْنِ الْمُهْدِيِّ! [أَي ابْنِ الْخَلِيفَةِ الْمُهْدِيِّ، وَأَخُو الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ]^(٣) فَقُلْتُ لِلْكَاتِبِ:

^(١) مناقب الشافعي، للبيهقي، ١٠٦/١، ١٠٧، وحلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ٧٦/٩، ٧٧، وآداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ص ٣٢، ٣٣.

وما بين المعقوفين زيادة من عندنا، عبارة عن إيضاح وتفسير للنص.

^(٢) وردت في بعض المراجع السابقة وغيرها بهذا النص، وفي بعضها: ... ثم قدمت بعد ذلك بنجران .. وفي بعضها الآخر: .. وكنت بنجران .. وأياً كان فبقية الكلام الآتي يفيد بأنه كان والياً وقاضياً، أي ليس معه وال آخر بنجران، وسوف نقف على ما يفيد هذا النص من مدلولات، بعد استيفائه ..

^(٣) المنصور بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، عاش حتى أدرك عهد الخليفة المتوكل، الذي بدأ عهده عام ٢٣٢ هـ.

اكتب: أقرَّ فلان بن فلان الذي وقع عليه حكمي في هذا الكتاب، أن الضيعة التي حكمتُ عليه فيها ليست له، وإنما هي لمنصور بن المهدي، ومنصور بن المهدي قائم على حُجَّتِهِ متى قام^(١) [أي أنه مطلوب منه تقديم ما يثبت ذلك أو ينفيه] قال الشافعي: فخرجوا إلى مكة، فلم يزالوا يعملون [أي يطعنون، ويتهمون به بالتشيع وعدم الموالاة] حتى رُفِعَتْ إلى العراق، وفي رواية: حتى أخذت مكبلاً إلى العراق، ف قيل لي [بالعراق]: إلزم الباب [أي لاتفارق الباب في المكان الذي وضعوه فيه، وذلك كناية عن حبسه، أو تحديد إقامته في ذلك المكان] وبقية الخبر^(٢): أنه سعى إلى محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، والتقى به قبل أن يقابل الرشيد، وناظره في مسائل فقهية، وأثبت خطأه في بعض الأقوال، وانتصر منه لمذهب أهل الحجاز، وبخاصة فقهاء المدينة، وعلي رأسهم الإمام مالك، ورد مطاعنه عليهم، فأعجب به كثير من الحاضرين، وكان منهم

(١) أي أنه بالحجة والدليل، بإقرارهم أن هذه الضياع والأماكن ليست لهم، وإنما هي ملك لمنصور بن المهدي، ومنصور حتى وقائم، وتلزمه الحجة، لإثبات هذا القول أو نفيه. فإن أقر به وأثبت يلزمه الحكم، وعليه تنفيذه، وتبرأ ساحة هؤلاء، أما إذا نفاه فيلزم هؤلاء تنفيذ الحكم، وإقرارهم كان لغرض خاص، فيبطل ويُرد عليهم .. وقد أحدث هذا الحكم دوياً، حيث استغله هؤلاء المغرضون استغلالاً سيئاً وشنعوا على الشافعي، واتهموه بالتشيع، بل بأنه يسعى للخلافة، ويهيئ نفسه لها، وأنه لا يزال بالعباسيين بدليل أنه أصدر حكماً يسعى إلى سمعة أخرى الخليفة، وقد أجهل الشافعي مضمون هذا في باقي النص.

وانظر بعض ما قيل عن الشافعي من تلك الطعنات في كتاب (مناقب الشافعي للفخر الرازي، ص ١٠، ٢٢).
(٢) انظر فيما سبق، وبقية الخبر، مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٥/١ - ١٤٧، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٧٦/٩ - ٨٤، وآداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي، ص ٣٢ - ٣٨، والبداية والنهاية، ٢٨٥/١٠، ومناقب الشافعي للفخر الرازي، ص ١٠-٢٢، والكنز للبهقون والفلك المشحون، للسيوطي، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

الفضل بن الربيع حاجب الرشيد، وهرثمة بن أعين وإلى الشرطة، فنقلنا ذلك إلى الرشيد فاستدعاه، ثم أنبه على ماصدر منه، فنفى الشافعي أن يكون صدر منه مايسى إلى الخليفة، أو أن تكون له علاقة بالطالبين، وحكي له قصته مع هؤلاء المتقاضين بنجران. فصفح عنه، ثم استدعى الرشيد: ابن الحسن الشيباني فتناظراً أمام الرشيد في بعض المسائل، فأعجب الرشيد بالشافعي، وأثني عليه ابن الحسن، فأعطاه الرشيد عطاءً جزيلاً، وأمر بإنزاله بمكان يليق به طوال وجوده ببغداد..

* ويستفاد من هذا النص: استمرار تبعية نجران إلى ولاية الطائف، وارتباطهما معاً بولاية مكة، بدليل أن الخصوم الذين اصدر عليهم الشافعي تلك الأحكام، لجأوا إلى مكة، وطعنوا عليه أمام واليها، واستعانوا به لرفع شكواهم إلى الخليفة، ولكي يوغروا صدر الوالي على الشافعي، وصدر الخليفة أيضاً، رموه بتهمة شنيعة فى نظرهم، وهى أنه أحد الطالبين، ويروم الخلافة لنفسه، ويسعى إليها، فرفع الوالي كل ذلك إلى الخليفة، فجاءه الأمر بالقبض عليه وإرساله مكبلاً إلى بغداد .. وقد سأله الرشيد أول ما سأل عن مسعاه للخلافة، ومشايعته للطالبين، فنفى ذلك بحجة قوية، وكلام مقنع، مؤشئ بالفصاحة والبلاغة، ثم استعاده منه الرشيد ثلاثاً، حتى أدرك مقدار صدقه وإخلاصه، فانكشفت أسارير وجه الرشيد، وذهب عنه الغضب وعفا عنه. ثم استدعى محمد بن الحسن كى يناظر الشافعي بمجلسه، ففاز الشافعي بقصب السبق، فنال الرضا، والجائزة..

* أن اختيار الشافعي لولاية نجران تمَّ من قبل وإلى مكة أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله، العباسي القرشي الذي كان في مكانة جد الرشيد، والذي سعى إليه أحد أقرباء الشافعي كي يوليه عملاً .. فولاه نجران، فتسلم العمل قُبيل قدوم حماد البربري بقليل .. فقد كان تعيين نواب على المناطق والأقاليم والبادي التابعة لولاية مكة من اختصاص وإلى مكة، إلا إذا تدخل الخليفة وأمر بتعيين شخص معين بإحدى المناطق، أو في أي من المناصب. فعلى وإلى مكة تنفيذ ذلك .

* أن نجران لم تكن وقفاً على بني الحارث بن كعب، وإنما كانت بها ضياع وأملاك وأموال، لبعض العباسيين، والثقفين، وأن موالى بني ثقيف كانت تقيم بتلك الضياع لزراعتها وإدارتها، وأنهم كانوا بكثرة بدليل النص على ذكرهم، ثم إن النص على ذكرهم، هم وبنو الحارث، لا ينفي وجود قبائل أخرى بنجران، وسبق أن أشرنا إلى بعضهم في العصر الجاهلي، وعند مجئ الإسلام، ودخول أبناء المنطقة فيه، وجهودهم في خدمته، ومنهم بنو نهد، وجرم، ويام وغيرهم.

* أن نجران خلال هذه الحادثة، وحتى بعد الفزة الزمنية التي وقعت فيها، لم تكن قد عرفت غير مذهب أهل السنة، وبالأخص المذهب الشافعي، الذي يُعزى انتشاره في تهامة، وعسير، واليمن، إلى وجود الإمام الشافعي بالمنطقة. قاضياً في اليمن، ثم والياً وقاضياً في نجران، وشهرته وإعجاب الناس به، وقيام تلامذة له يتداولونه ويتبعون آراءه الفقهية، ثم العمل على نشرها في تلك المناطق، وثباتهم عليها بالرغم من المصاعب التي

تعرضوا لها في فترات لاحقة لذلك. عندما تسربت إلى المنطقة بعض النحل والمذاهب الأخرى، وبالأخص عندما استحكم المذهب الزيدي في بعض أجزاء اليمن .. مع أنه يعد أقرب المذاهب فقهياً إلى مذهب أهل السنة، لكن العصبية السياسية حادت به عن طور الاعتدال، في كثير من الأحيان.

بلاد عكّ والأشعرين :

وعُود على بدء كما يقال، فما يكاد الأمر يصل إلى غايته حتى نجد ما يجذبنا إلى معاودة الحديث عنه مرة بعد مرة لنضيف دليلاً من سياق الأحداث التاريخية يؤكد ما سبق ذكره بداية^(١) من أن أرض قبيلتي عكّ والأشعرين وغيرهما من القبائل، دخلت التاريخ لأول مرة كولاية أنشأها الرسول ﷺ، أواخر عهده، وجعل الطاهر بن أبي هالة والياً عليها، وجعلها تابعة لولاية مكة، وامتداداً لباديتها من أرض تهامة الحجاز، واقتصرت ولاية فروة بن مسيك المرادي - المجاورة جنوباً لولاية عكّ - على أرض مراد وزيد^(٢) وضُمَّت هذه إلى الجند، وأصبحت ولاية قائمة بذاتها.. واستمر الوضع هكذا بتلك المنطقة، بالنسبة للترتيبات الإدارية، في عهد الخلفاء الراشدين، ثم في عهد بني أمية، وحتى الزمن الذي نرصد أحداثه من عهد العباسيين، ولوحظ أن تلك المنطقة - أي ولايتي الجند وعكّ - غمرها طوفان الفتن والصراعات، أواخر عهد بني أمية وشرطاً من عهد العباسيين، وصارت بعض قبائلها تنقاد لأدنى بادرة للمخالفة والتمرد

(١) انظر: ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث.

(٢) ليس المراد بها زيد الحالية، وإنما زيد القديمة التي اندثرت، وكانت على مقربة من (الجند) أما زيد الحالية، والتي مازالت عامرة ومزدهرة، فقد أنشئت في بداية النصف الأول من القرن الثالث الهجري، على يد ابن زياد، الذي حكم تلك البلاد في فترة لاحقة للتاريخ الذي نتصفح أحداثه، وأنشئت مكان بلدة قديمة يقال لها (الحصيب) وهي إحدى بلدان قبيلة عكّ.

على سلطة الدولة، لأسباب ودواعي عديدة، لعل من أهمها تعسف بعض الولاة، وأنفة القبائل الخضوع لهذا التعسف، فيندفعون خلف من يثير عاطفتهم، ولو انتهى بهم الأمر إلى خلع الطاعة والولاء، ووجد المناوئون للدولة في هذه القبائل بيئة خصبة للسعاية ضد الدولة، يهيجونهم حتى يعتدوا على الولاة بالطرد، أو القتل، فمثلاً في عام ١٤١هـ قاموا بقتل والي ولاية الجند في عهد أبى جعفر المنصور فبعث إليهم معن بن زائدة الشيباني، فأوقع بهم، وأجبرهم على الدخول فيما خرجوا منه من الطاعة والولاء^(١) وفي عهد الرشيد ثاروا علي عماله بالمنطقة، وطردوهم من ولاية الجند وعك عام ١٨٣هـ، فبعث الرشيد إليهم مولاه حماد البربري، فقدم والياً على منطقة الحجاز واليمن، وأوصاه قائلاً: أسمعني أصوات أهل اليمن [كناية عن صراخ أهل ولايتي الجند وعك، الذين فعلوا ما فعلوا بولاته] ولأن حماد البربري قدم والياً عاماً على المنطقة، متخذاً مكة المكرمة قاعدة لحكمه، شأن كل الولاة الذين عهد إليهم من قبل بتلك الولاية العامة، فقد سوغ لنفسه - وربما بإذن من الخليفة - أن يضم بعض الولايات إلى بعض تحت قيادة واحدة بهدف إحكام القبضة والسيطرة عليها، فبعث أحد رجاله ليتولى أمر ولايتي الجند وعك، لإحكام السيطرة، وتنفيذ تعليمات الرشيد، لاسيما وأن مصدر القلق هذه المرة أتى من قبيلة الأشعرين، وانتشر منها إلى القبائل الأخرى بالمنطقة، وفي الولاياتين .. فالضمُّ في مثل تلك الأحوال إدارياً أجدى وأفضل، وفي عام ٢٠٧ خرج بيلاد عك عبد

(١) البداية والنهاية، ٨٨/١٠، ومختصر أنباء اليمن لابن زبارة، ص ٦٤.

الرحمن بن أحمد، من ذرية عمر بن علي بن أبي طالب، في عهد المأمون، فبعث إليه دينار بن عبد الله في جيش كثيف، ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن إن هو رجع وأطاع، فسمع وأطاع، وقدم به دينار بن عبد الله إلى بغداد، فعفا عنه المأمون، وأكرمه فلبس السواد وهو شعار العباسيين^(١)

وتعالوا نستطلع معاً مواطن قبيلتي عكّ والأشعرين، في ذاك الوقت، مما قاله لسان اليمن الهمداني، الذي جاء بعد قرن تقريباً من تلك الحادثة التي نسجل وقائعها، ليصف لنا مواطن وبلاد كل من عكّ والأشعرين. يقول^(٢) :

.. والحصيب وهي قرية زيد^(٣) وهي للأشعرين، وقد خالطهم
بأخرة (أي مؤخراً) بنو واقد من ثقيف^(٤) وقرى بواديها حيس وهي
للركب من الأشعر، والقحمة للأشاعرة، وفيها من خولان، وهمدان،

(١) البداية والنهاية، ٢٩٤/١٠، والجمهرة، ص ٦٦.

(٢) صفة جزيرة العرب، ص ٧٣، ٧٤، ٧٥.

(٣) أي زيد الحالية المعاصرة، وكان قد أنشأها ابن زيد.

(٤) لم نطلع على بني واقد من ثقيف أهل الطائف، فرعاً يكون بطن انتقل وتوطن تلك المنطقة قبيل الإسلام، أو في مطلعها، فقد سبق أن توطنها بطون من عنزة، وبنو مجيد القرشيين، كما استوطن (الجند) يحيى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكانت له بها ضياع وأموال، وذرية كبيرة بعد ذلك (الجمهرة ص ١٥٣) فالمناطق والأقاليم في شبه الجزيرة العربية، وغيرها، كانت مباحة لمن يستوطنها، لأنها جزء من أرض الدولة، يقيم فيها من يشاء من العرب، طالما كانت الإقامة والتملك بالطرق الشرعية، دون اعتداء على ملك الآخرين، فلم تكن هناك منطقة مغلقة على قوم دون الآخرين، ولا على سلالة دون من عداها، فلم تكن الحدود الدولية قد عرفت بعد.

وذوال المعقر، والكدراء مدينة يسكنها خليط من عك والأشعر، وباديتها جميعاً من عك إلا التبذ من خولان، ثم المهجم، وهى مدينة سرردن ومور وبه مدينة تسمى بلحة لعك.

ثم يستطرد في وصفه البلاد المتجاورة في تهامة اليمن وتهامة الحجاز، فيقول: ثم الساعد من أرض حَكَم بن سعد العشيرة.. وهنا يكون قد دخل في تهامة الحجاز الحالية^(١) التي دخلت في إطار معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ.

ويقول^(٢) وادي الملح يسكنه الأشعر، وفيما بينه وبين تباشعة بلد العشورة، لقبيلة من الأشعر.. ويقول^(٣).. تلتقى هذه الأودية في رأس لحج على مسيرة ساعة من قرب الجوار، ثم يخرج هذا الوادي من الجوار عند ثري الخبيب وهما للواقديين، ثم في وسط الرّعاع وهي سوق الواقديين، ومدينتهم مور.. وسهام عكية.. ومن بواديها وأقر ثم المهجم.. سافلتها لعك.. إلخ.

(١) والوقائع التاريخية تثبت بأن أرض عك والأشعرين ضمن تهامة الحجاز، وليس من تهامة اليمن، ونحن نحسن الظن بالهمداني، رغم تعصبه الواضح، ونقول: إنه يصف مواطن قبائل، وأماكن فى شبه الجزيرة بصفة عامة، ولا يحدد حدوداً إقليمية، بدليل أنه وصف في كتابه مناطق وإقليم شبه الجزيرة بكاملها: بأوديتها وجبالها ومياهها، وأشجارها وغير ذلك. ولم يقصد أن كل أرض وطبقها قدم يعني، أصبحت يمانية، والذين أتوا بعده صورووا قوله إلى مايرضهم، ويشفي غلتهم..

(٢) المصدر السابق ص ١٠١.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٨، ١٣٩، ونظر عن مواطن الواقديين الجاورين لقبيلة عك، نفس المصدر، ص ١٠٥،

١٠٨، ١٥٨، ٢٠٤.

المهم أن مخلاف مور هو آخر المناطق الشمالية لولاية عك، ثم يجاوره شمالاً بلدة (الساعد)، وهى أول بلاد بني الحكم بن سعد العشيرة. وهذه كانت تعد من بوادي مكة، ولم تكن بها ولاية، حتى هذه الفترة الزمنية التي نحن بصدددها، وإنما كانت تحكم هي وغيرها من بالبوادي، عن طريق رؤساء القبائل، أو البلدان، الخاضعين للوالي في مكة..

قلنا إن حماد البربري جمع ولاية الجند وولاية عك. لأحد معاونيه للظروف الأمنية التي اقتضت ذلك عام ١٨٤هـ، ثم نجد أن هذا الدمج انفك بعد فترة زمنية يسيرة، وذلك في بداية عهد الخليفة المأمون عام ١٩٦هـ عندما كان داود بن عيسى^(١) والياً على الحجاز. وكان الأمين هو الذي ولاه عليها عام ١٩٣هـ، فكان أسرع والٍ في شبه الجزيرة العربية يقوم بخلع الأمين، لسبب أفاض فيه المؤرخون، لأن الدولة العباسية كانت مهددة بالسقوط أثناء ذلك.

كان هارون الرشيد قد رتب شئون الدولة قبل وفاته^(٢) فبايع لابنه الأمين ولياً لعهد، ولابنه المأمون ولياً لعهد الأمين، ولابنه القاسم ولياً لعهد المأمون، وحدد هذه البيعة إبان حجته موسم عام ١٨٦هـ، وكتب

(١) هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كان في مرتبة جد الأمين، والمأمون. كان أبوه عيسى بن موسى ولياً للعهد لأبي جعفر المنصور، فأبعده، ثم أبعده أيضاً كل من المهدي، وابنه الهادي.. وكان اخوته نيفاً وثلاثين ذكراً وأنثى، معظمهم تولى مناصب في الدولة العباسية، هم وأبناؤهم، الجمهرة ص ٣٢.

(٢) ابن الأثير، ٢٦١/٦.

بذلك عهداً، وأخذ إقراراً على ولديه الأمين والمأمون بالالتزام بهذا،
وأشهد عليه كبار رجال الدولة، والأمراء، والقواد، وأعيان بني العباس،
وأودع ذلك العهد والإقرار في جوف الكعبة، وأوصى حجة الكعبة وقتها
الآ يخرجوه من جوفها .. ومات الرشيد، ووقع الخلاف بين الأخوين:
الأمين والمأمون .. وقع ما كان يخشاه الرشيد، وبدأت الفتنة تدب في
سراديها المعتمة، ثم تطل بعنفها ولا تجد من يقرعها لتميد في باطن
الأرض، واشتعل الخلاف، وتغلب أرباب المنافع، بخلافة ألسنتهم، على كل
مساعي المصلحين بين الأخوين، وأقدم الأمين على خلع أخيه المأمون من
ولاية العهد، ويسجل التاريخ أن أحد أشهر قواد الأمين، المخلصين له،
وهو عبد الله بن خازم دخل عليه أول الليل، وجعل يحاوره، وينظره،
لكي يقصيه عن فكرة خلع أخيه المأمون، حتي منتصف الليل، ويناشده ألا
يقدم على ذلك، وألا يكون سبباً في ضياع ملك بني العباس، وضياع
نفسه، وألا يكون أول الخلفاء نكثاً للعهد، ونقضاً للميثاق^(١) لكن الأمين
لم يستجب له، لأن الآذان استمالتها ألسنة المفسدين في الأرض .. ولكل
منهم مآرب شتى ..

بعث الأمين من أخذ العهد من جوف الكعبة، وأحرقه، وأصدر
تعليماته إلى الولاة على المناطق والأمصار بخلع المأمون، وأخذ البيعة لابنه
موسى بن الأمين عام ١٩٦ هـ، واشتعلت الحرب بين الأخوين، ونجد أن

(١) ابن الأثير، ٦/ ٢٢٨.

والي الحجاز داود بن عيسى - عندما جاءه أمر الأمين بخلع المأمون - يتخذ موقفاً شجاعاً ومنصفاً، فيجمع علماء وأعيان أهل مكة ومايتبعها، وأخذ يستشيرهم في الأمر، ثم يقول لهم: إنه أخ بغى على أخيه وظلمه، فلنقف مع المظلوم. فقالوا رأينا تبع لرأيك، فجمع الناس وصعد على المنبر في المسجد الحرام، وجعل يذكرهم بما فعله هارون الرشيد قبل وفاته من كتابة العهد وأخذ إقرار على الآخرين، وشهادة الناس على ذلك، وكيف أن الأمين بعث من أخذ العهد وأحرقه، ولهذا فإنه يخلعه، ويعلن البيعة للمأمون. ونزل يأخذ البيعة من الناس للمأمون، وكتب بذلك عهداً أقر فيه أعيان مكة بالبيعة للمأمون بالخلافة .. وكان داود قد أمر ابنه سليمان^(١) نائبه على المدينة أن يفعل ذلك أيضاً في الوقت نفسه مع أهل المدينة، وكان ذلك في رجب سنة ١٩٦هـ، ثم انطلق داود يحمل بيعة أهل الحرمين إلى المأمون، وكان وقتها بخراسان، فسُرَّ المأمون بذلك، وتيمّن واستبشر خيراً ببيعة أهل الحرمين، ورأى أن موقف عمه داود موقف عادل، فأحب أن يكرمه، فثبت ولايته على منطقة الحجاز، وأعاد إلى ولاية مكة ماسبق أن استقطع منها إبان ولاية البربري، وهي ولاية عك،

(١) كان سليمان بن داود هذا من مشايخ الإمام أحمد بن حنبل. توفي عام ٢١٩هـ. انظر: البداية والنهاية ٣٢٠/١٠.

فعادت إلى تبعيتها السابقة، من حيث خضوعها إلى والي مكة، منذ أن
أنشئت في عهد الرسول ﷺ، حتى الفترة الزمنية هذه^(١)

وأثناء عودة داود من عند المأمون، قدم معه ابن أخيه العباس بن
موسى بن عيسى ليحج بالناس موسم ١٩٦ هـ، وقدم معهما أيضاً يزيد بن
جرير بن يزيد القسري، والياً على اليمن، وكان يزيد قد عرض على
المأمون أن يبعثه والياً على اليمن، وتعهده له بأنه سيستميل أهلها للبيعة
للمأمون، فولاه إياها، فانطلق ثلاثتهم حتي قدموا مكة، وأدوا الرسم معاً،
ثم انطلق القسري إلى اليمن، ونجح في مسعاه باليمن فبايعوا للمأمون،
وهدأت بعض القلاقل التي استغلت وقوع الفتنة لتركب الموجة، فسار
فيهم القسري سيرة حسنة، وأظهر فيهم العدل والإنصاف^(٢).

ولسائل يسأل إذا كان المأمون قد رأى إعادة ما استقطع سابقاً عن
ولاية مكة إليها، حين أراد تكريم عمه داود بن عيسى، أفما كان من
الأجدي به أن يضم إليه ولاية أكبر مثل اليمن أو اليمامة، المتصلين
بالحجاز، خاصة وأنه سبق وأن وليهم وال واحد في أزمان مختلفة؟..

ويجاب بأن اليمن واليمامة لم يكن موقف كل منهما واضحاً
بالنسبة للمأمون، فعليهما ولاية من قبل الأمين، وربما يكون فيهما مناوئون

(١) انظر فيما سبق: ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري ٢٧٥/٨-٢٨٦، ٤٣٨-٤٤١، وشفاء الغرام، ١٨١/٢، والبداية
والنهاية، ٢٥٣/١٠، والأرزقي / ٢٣١/١-٢٣٤.

(٢) ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري، ٤٣٨/٨-٤٤١، وشفاء الغرام، ١٨١/٢.

له، ويستتبع ذلك وقوع حروب، وعمه داوود شيخ كبير، ولا يملك حنكة وخبرة رجل الحرب، مثل أخويه إسحاق، وموسى، أو ابن أخيه العباس بن موسى، فأعفاه من مؤنة الحرب، وعرف أن أهل الحجاز مطيعون له فثبته في نفس الولاية، ومما يدل على أنه ليس رجل حرب، وأن المأمون كان محقاً في نظرته إليه من تلك الناحية، هو موقف داوود حين ترك مكة موسم ١٩٩هـ، عندما بعث أبو السرايا - الذي كان يدعو للطالبين بالبصرة - الحسين بن الحسن العلوي، المعروف بالأفطس، ولما بلغه قدومه على مشارف مكة تركها داوود مؤثراً السلامة، وعدم إراقة دماء في البقاع المقدسة، وفي الأشهر الحرم، فدخلها الأفطس عندما علم بخلوها من العباسيين، وكان معه عشرة أفراد فقط^(١) ثم إن اليمن كان قد تم اختيار والٍ لها هو أقدر على الحرب إن لم تُجد أساليب الإقناع والمحاورة، ولذا استسلم له من استغل دواعي الفتنة بين الأخوين، ووثب على صنعاء، وهو عمر بن إبراهيم بن واقد العمرى، من ذرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(٢) وربما يكون الراقيون الذين ذكرهم الهمداني أنهم من ثقيف ومجاورين لعك نسبة إلى هذا الفرع من أولاد عمر بن الخطاب، بما انضم إليهم من اتباع وموالى وأحلاف.

وخلال ولاية داود بن عيسى على الحجاز، أمر بعدم إقامة سوق حباشة، وكانت من أشهر الأسواق التي تقام بتهامة الحجاز منذ العصر

(١) شفاء الغرام، ١٨١/٢، والطيري، ٥٣١-٥٣٣، والبداية والنهاية، ٢٧٧/١٠، والجمهرة، ص ٥٣.

(٢) الجمهرة، ص ١٥٤.

الجاهلي بالقرب من حلى بن يعقوب، على الطرف الشمالي لمنطقة جازان،
كان يستعمل عليها رجلاً للإشراف على إدارتها، ومراقبة الموازين والبيع
والشراء، وفي عام ١٩٧ هـ عدا عليه رجل من الأزدي فقتله، فاستشار داوود
علماء مكة في إغلاق هذا السوق، فوافقوه على إغلاقه، وعدم إقامته.^(١)

المهم أن أرض بلاد عك والأشعرين عادت إلى ولاية مكة المكرمة،
كما كانت من قبل .

^(١) الأرزقي، ١/١٩١، ١٩٢.

مصدر تاريخي في ميزان النقد :

ولنا هنا وقفة مع أحد المصادر التاريخية التي تناولت الفترة الزمنية، التي نحن بصدد ذكر وقائعها - وهي عصر المأمون وما بعده - لنذكر مدى أهمية التثبت من صدق الخبر قبل نقله، والاعتماد عليه في مسائل تاريخية، وقضايا سياسية واجتماعية وغيرها.

هذا المصدر هو كتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" لعمارة اليمنى^(١) وقد أشار عمارة إلى أنه بدأ بتأليفه عام ٥٦٣هـ، بناء على طلب

هو أبو محمد، عمارة بن أبي الحسن على بن محمد بن زيدان الحكيم، من قبيلة بني الحكم بن سعد العشيرة، أهل جازان، ولد عام ٥١٥هـ، وقيل عام ٥٢٩، بقرية الزرائب، التي تطل عليها المكوتان وعكاد [أورد العقيلي في المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان ص ١٧١، بحثاً عنها] وقيل: بمدينة مرطان من وادي وساع، ورحل إلى زبيد طلباً للعلم، فتلقى على علمائها المذهب الشافعي وغيره من العلوم، ثم اشتغل بالتجارة فسافر إلى عدن، وكانت له مواقف مع حكامها آل زريع، ثم سافر إلى مكة المكرمة عام ٥٤٩هـ، واشتغل فيها بالعلم، فعهد إليه واليها بالقيام بمهمة لدى الخليفة الفاطمي بمصر عام ٥٥٠هـ فنجح في مهمته وعاد إلى مكة في نفس العام، فبعثه في مهمة أخرى إليه عام ٥٥١هـ، فبقى في مصر إلى أن توفي فيها عام ٥٦٩هـ، واشتهر أمره في مصر بين العلماء، حتى طلب منه القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيهقي، رئيس ديوان الإنشاء، للدولة الفاطمية، تأليف هذا الكتاب، وحظي بمكانة خاصة لدى الخليفة العاضد، آخر خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، كما أدرك زوالها على أيدي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٥هـ وعرف عند أهل بلده (الزرائب) بالحلقي (أي الحاذق للعلم) وعند أهل مصر باليمنى (نسبة إلى أصله القحطاني) كما عرف عند أهل اليمن وعدن والجبيل بالفتية، وعند أهل زبيد بالفرضي، وربما لأن كتابه هذا صنفه وهو بمصر أطلقوا عليه: عمارة اليمنى. انظر: مقدمة طبعة الكتاب بعنوان "تاريخ اليمن" تحقيق الشيخ محمد بن علي الاكوع، ومقدمة طبعته بتحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب والتي أشار فيها إلى أنه اعتمد في ترجمته نقلاً عن الدكتور حسن سليمان الجهني في طبعته المحققة لنفس الكتاب. وانظر: المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء ص ٥٠.

القاضي الفاضل له بتأليفه، وهو قاضى الديار المصرية أواخر عهد الدولة الفاطمية.

وهذا الكتاب اعتمد عليه بعض المؤرخين قديماً، ونقلوا عنه دون تثبت وتمعن، وتفحص وتمحيص لما فيه من أخبار ومعلومات تاريخية وغيرها^(١) وأشاع هؤلاء ما نقلوه دون تمحيص في كتبهم حتى أضحت وكأنها حقائق مؤكدة، وقضايا مسلمة، ومعلومات موثقة، وجاء فريق بعدهم، من هواة النقل على علاقته، فنقل دون تثبت، اعتماداً على الثقة فيما يكتبه أولئك، حتى وصل أخيراً إلى المعاصرين ممن ينهجون منهج النقل على علاقته، دون نظر وتمحيص، فزادوا في الثناء على أهميته، وقيمته العلمية^(٢) ذلك لأنهم وجدوا فيه ما يشبع لديهم الرغبة السياسية لا العلمية.

ورحم الله ابن خلدون، فقد قال قديماً^(٣) : "التاريخ محتاج إلى مأخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثيت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن الميزات، والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكّم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة

(١) من هؤلاء كما أشار الأكرع في المقدمة ص ١٥ : ابن العماد، وابن خلكان، وياقوت الحموى، والجندي والخزرجي، والديبع.

(٢) انظر المقدمة التي كتبها محققه الشيخ/ محمد بن علي الاكرع - للطبعين - لكنه - والحق يقال - أشار إلى بعض المأخذ على عبارة في المقدمة ص ٦، وأيضاً في التعليقات.

(٣) المقدمة، ص ٧.

ال عمران، والأحوال في الاجتماع الانساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق .. وكثيراً ما وقع للمؤرخين؛ وأئمة النقل المغالط في الحكايات، والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً وسميناً".

ومع أن عمارة أشار في مقدمة كلامه^(١) إلى أنه اعتمد على ميسور خاطره. أي ما تيسر تداركه من الذهن والخاطر، والذهن لايسعف أحياناً، بل يوقع في التصحيف والخلط، والوهن، وقال: إنه أعتمد على ما حدثه به الشيخ الفقيه نزار بن عبد الملك المكي، والفقيه أحمد بن محمد الأشعري^(٢) مسنداً إليهما العلم بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم^(٣) مضيفاً إلى ذلك ما قرأه في كتاب "المفيد" لأبى طامى جياش بن نجاح، ملك زبيد !

وللباحث أن يتسائل: هل هذه تكفى كمراجع لتأليف كتاب تاريخي يمكن الاعتماد عليه ؟ إن الذاكرة الحافظة كثيراً ما تخون صاحبها، والفقيهان ليسا معاصرين للوقائع والأحداث التي تضمنها الكتاب، فبينهما وبينها أكثر من ثلاثة قرون، ثم إنهما حدثاه ولم يسندا روايتهما إلى زواة آخرين، أو إلى كتاب قرأه، إذاً فالإسناد مقطوع .. ولهذه الأسباب

(١) انظر ص ٣٨ من طبعة الأكرع، وص ١٧ من طبعة الدكتور عزب.

(٢) لم يعط محققاً الكتاب تعريفاً بكل منهما، كما أنهما لم يأتيا بما يؤكد نسبة الكتاب إلى مولفه بصفة عامة، وأين

توجد نسخة المخطوط التي تم الاعتماد عليها عند نشر الكتاب وطباعته ؟!

(٣) هذا مما يوحى بالقاء المسفولة على هذين العالمين، لكنه لايعفى من التبعة، كمن ينقل الخطأ عن غيره دون تثبت.

وغيرها جاء الكتاب حافلاً بالتصحييف، والخلط، والأغلاط والوهن.
وهاكم بعضها:

* أن عمارة بدأ مصنفه بقوله: "قالوا^(١) لما كان في سنة تسع وتسعين ومائة، أتى إلى المأمون بقوم من ولد عبد الله بن زياد^(٢) فانتسب أحدهم، واسمه: محمد بن فلان^(٣) بن عبد الله بن زياد بن معاوية. وانتسب منهم رجل إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك، ومن ولد هذا الرجل الوزير خلف بن أبي طاهر، وزير جياش بن نجاح. فقال المأمون لهذا الأموي: إن عبد الله بن علي بن العباس^(٤) ضرب عنق سليمان بن هشام، وأعناق ولديه في يوم واحد، فقال الأموي، أنا من ولد الأصغر، من ولد سليمان بن هشام، ومنا قوم بالبصرة في أفناء الناس، وانتسب له رجل إلى بنى تغلب، واسمه: محمد بن هارون، عندها بكى المأمون، وقال: وأنى لي بمحمد بن هارون. يعنى أخاه الأمين، ثم قال المأمون: أما الأمويان فيقتلان، وأما التغلبيّ فعفا عنه رعاية لاسمه واسم أبيه. فقال ابن زياد: ما

(١) من هم الذين قالوا؟ هل هما هذان العالمان؟ أم غيرهما؟ وعموماً فهي كبدائية المسامرات والحكايات القصصية

التي تقال للاستئناس بها، وليس بأسلوب المنهج العلمي. وأول القصيدة..؟

(٢) هنا أشار الشيخ الأكوع أنه ورد عند الوصابي، والدييع زيادة: من بنى أمية. وفي المخطوطة التي لم يعط لنا بيانات تفصيلية عنها، زيادة: بن عبد شمس.

(٣) كلمة يؤتى بها عند عدم تذكر الاسم، وهو كما قلنا نتيجة لوهن النهن، وعدم إسعاف الحافظة.

(٤) الصواب أن يقول: ..بن علي العباسي، لأن عليا ليس ابن العباس، وإنما ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وكان عبد الله بن علي هذا عم كل من السفاح والمنصور، وقام بدور بارز في توطيد دعائم الدولة العباسية، عند قيامها. مات عام ١٤٧هـ.

أكذب الناس يا أمير المؤمنين، لأنهم يزعمون أنك حلیم كثير العفو،
مُتَوَرِّع عن سفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا، فإننا لم
نُخرج يدًا عن الطاعة، ولم نفارق في بيعتك رأى الجماعة، وإن كنت
تقتلنا على جناية بنى أمية فيكم، فالله يقول: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر
أخرى﴾^(١) فاستحسن المأمون كلامه، وعفا عنهم جميعاً، وكانوا أكثر من
مائة رجل، ثم أضافهم إلى أبى العباس الفضل بن سهل، ذى الرياستين،
وقيل إلى أخيه الحسن، فلما بويع لإبراهيم بن المهدي ببغداد في المحرم سنة
اثنيتين ومائتين، وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعرة وعك
في تهامة عن الطاعة، فأثنى ابن سهل على هذا محمد^(٢) بن زياد، وعلى
المروانى والتغلبى عند المأمون، وأنهم من أعيان الرجال، وأفراد الكفاة،
وأشار بتسييرهم إلى اليمن، ابن زياد أميراً، وابن هشام وزيراً، والتغلبى
حاكماً^(٣) ومفتياً .. ثم يقول: فخرجوا في الجيش الذى جهزه المأمون إلى
بغداد لمحاربة إبراهيم بن المهدي، وحج ابن زياد ومن معه في سنة ٢٠٣هـ،
وسار إلى اليمن، فتغلب على المناوئين للدولة من عك والاشعرين بتهامة
بعد حروب جرت بينه وبينهم، واحتط زييد في شعبان سنة ٢٠٤هـ
ويقول بعد ذلك: فعَظُم أمر ابن زياد، وملك إقليم اليمن بأسره، الجبال
والتهائم وملك حضرموت، والشحر، ومرباطاً، وأبين، ولحجاً، وعدن،

(١) سورة فاطر، آية ١٨.

(٢) وردت هكذا، اسم الإشارة متقدم على المشار إليه. على لغة أكلونى اليراعيث.

(٣) قاضياً.

والتهايم إلى حليّ .. وملك من الجبال الجند وأعماله، ومخلاف المعافر،
ومخلاف جعفر، وصنعاء، وصعدة، ونجران ويحان .. إلخ".

رويدك يا عمارة! .. رحمك الله .. وعفا عنك .. وعمّن نقل عنك
دون تمحيص.

تعالوا بنا نناقش هذا النص، كى نعرف من يكون ابن زياد هذا؟
الذى جعله ابن عمارة سلطاناً للبر والبحر، ومَلِكُهُ بلاداً وكأنه افتتحها
لأول مرة، وأقام فيها مملكة له، ولذريته من بعده في داخل الدولة العباسية،
وفي عز مجدها - عهد الرشيد وولديه المأمون والمعتصم - ولم يعلم عنه أحد
من أئمة المؤرخين، كالطبري، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم ممن تتبعوا
أخبار الدولة العباسية يوماً بيوم، في حولياتهم الموسوعية، وظل أمره مجهولاً
إلى أن جاء عمارة بعد أكثر من ثلاثة قرون فاكتشفه، ووضع له تاريخاً
غاب عن سابقه، ودولة لم يحدد حدودها إلا هو، ضم لها ماشاء من
البلاد، وليست مجرد دولة، وإنما دولة أموية في داخل أراضي الدولة
العباسية، وهى في عز مجدها!!

يقول عمارة: انتسب أحدهم واسمه: محمد بن فلان بن عبد الله بن
زياد بن معاوية بن أبى سفيان، لأنه يزداد في بعض النسخ: معاوية بن أبى
سفيان، من بنى أمية بن عبد شمس، وليس المقصود زياد بن أبيه، الذى
ألحقه معاوية إبان خلافته، بأبيه أبى سفيان بن حرب، كسباً لوده
ومؤازرته له، فقد كان زياد بن أبيه من اتباع الإمام عليّ بن أبى طالب،
ولما أستشهد الإمام عليّ، أغراه معاوية بعملية إلحاق نسبه وغير ذلك حتى

بايعه وانضم إليه، واستمرت ذريته على هذا الإلحاق في النسب، حتى أمر الخليفة المهدي عام ١٦٠هـ بأن يُردَّ نسبه إلى ثقيف لأنه ولد فيهم، وأن يرد نسب أبي بكر من ثقيف إلى ولاء رسول الله ﷺ، وكتب المهدي بذلك إلى والي البصرة، ووالي المدينة المنورة، لإنفاذه^(١) فلو كان المقصود زياد بن أبيه لانتسب إليه أمام المأمون لابعاد شبه التآمر عليه لكونه من ثقيف وليس من بنى أمية. فضلاً عن أن المأمون يعرف أن جده المهدي، أعاد نسب آل زياد إلى ثقيف، فكونه ينتسب إلى بنى أمية فيه تحدي للمؤمنين، في موقف هو أحوج فيه لابعاد نفسه عن الشبهة، لا دفعها إلى المخاطر. إذاً فزياد هذا من بنى أمية، وكونه ابن معاوية بن أبي سفيان هو تصحيف، لأن ابن معاوية هو يزيد (الخليفة)، وليس زياد، ولم يكن لمعاوية ابن أبي سفيان إلا ولدان فقط، هما: يزيد، الخليفة بعد أبيه، وعبد الله،

(١) عند حصار النبي ﷺ للطائف، عقب فتح مكة عام ٨هـ، وكانت ثقيف قد تحصنت بمحسونها بالطائف، فنادى منادى رسول الله ﷺ: "أيما عبد نزل عن الحصن، وخرج إلينا فهو حر، فنزل بعضهم، وكان منهم: أبو بكر، نفع بن مسروح، وكان للحارث بن كلدة طبيب العرب، وإنما كنى بأبي بكر لأنه نزل من الحصن متديلاً من بكرة - وهي خشبة مستديرة في جوفها محور يوضع فيه حبل لرفع الدلاء من البئر - فدفع الرسول ﷺ أبا بكر إلى عمرو بن سعيد بن العاص، ليمنونه ويحمّله، ويقرئه القرآن ويعلمه السنن، ويكون ولاؤه إليه، لكن ابن سعيد فعل به ذلك وتركه يقوم على خدمة الرسول ﷺ، فكان أحد موالى الرسول ﷺ، ولما أسلمت ثقيف تكلم أشرافهم في هؤلاء ليردهم الرسول إليهم، وكان منهم الحارث بن كلدة، مولى نفع، فقال لهم النبي ﷺ أولئك عتقاء الله، لا سبيل لكم إليهم.. فكان ولاؤه للرسول، لكن ذريته عادوا في ولائهم إلى ثقيف رما في عهد الحجاج، وأما بنو زياد فاستمروا في ولائهم لبنى أمية منذ أن ألحقهم معاوية، مخالفاً بذلك قول الرسول ﷺ: الولد للفراش. ولذلك قام خصوم معاوية باتهامه بأنه خالف حكم الرسول في هذا الإلحاق ونددوا به، وعيّنوا زياد وابنائهم بقبوله هذا من معاوية.

انظر: المغازي للواقدي ٩٣١/٣، والطبري ١٢٩/٨، ١٣٠، والبداية والنهاية ١٠١/١٠، ١٥٢، والأغانى ٢/٧.

ولم يكن لعبد الله عقب إلا ابنة تزوجها ابن عمها عبد الله بن يزيد بن معاوية، ولم يكن في أبناء يزيد بن معاوية من اسمه زياد، ولا في ذريته. اللهم إلا من ذرية ابنه عبد الله بن يزيد، فقد كان من أبنائه: أبو محمد السفيفاني: أى زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وهو الذى قام في المدينة، وخلع طاعة عبد الملك بن مروان، فأخذ وقتل هو وابنه مخلد بن زياد، ولم يكن من أبنائه من اسمه عبد الله، حتى يقال إن محمداً هو ابن عبد الله هذا !!. فمن أين أتى اسم زياد هذا الذى انتسب إليه بنو زياد. وكيف ينتسبون إلى معاوية بن أبى سفيان؟^(١) فقد صُحِفَ وخلط في نسبة زياد إلى معاوية، وهذا التصحيف والتخليط مما يوهن درجة الثقة في صحة الرواية. وربما يكون هذا هو الذى دفع الشيخ الأڪوع إلى أن يقول: لا أصل لما ذكره "عمارة" من أن آل زياد من أرومة أموية، بل هم من جذر يَمْنَى^(٢) ولم يذكر الشيخ الأڪوع السبب الذى دفعه إلى هذا القول، ولا السند الذى استند عليه في الأخذ به.

وعموماً فقد ذكر الأڪوع بعض الأوهام والأخطاء التى وقع فيها "عمارة" ومنها:

(١) انظر فيما سبق الجمهرة ص ١١٢، ١١٣.

(٢) مقدمة الطبعة الثانية ص ٦.

- أنه اعتمد فيما نقله على تاريخ "مفيد" للقائد جياش بن نجاح،
وفيه مبالغة، وقضايا غير مُسلّمة. ^(١)

- أنه جعل ابن زياد يملك إقليم اليمن بأسره، الجبال والتهائم، وهو
أول وهم تسرب إلى ذهن عمارة. ^(٢)

- وأنه جعل جعفر مولى زياد أول مخطط للمذبحرة، فهي قديمة
الاختطاط، لأنها مقر المناخيين ملوك الكلاع من حمير في
الجاهلية والإسلام. ^(٣)

- وأنه جعل البلاد التي كانت تخضع لجعفر، تسمى "مخلاف
جعفر"، بينما هي تنسب إلى جعفر بن إبراهيم بن ذى الثلثة،
وليس إلى جعفر مولى ابن زياد. ^(٤)

- وأن هناك حلقة، أو فترة من التواريخ سقطت من عمارة ^(٥) وأنه
وقع فيه تخليط في التواريخ والاسماء. ^(٦)

(١) المصدر نفسه ص ١٥، ١٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٥) المصدر نفسه ص ٥٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٥٣، ٥٤، وغيرها مما يصعب تفصيلها وما يؤكد عدم صحة ما احتواه من معلومات وأخبار.

- ان مدة حكم إبراهيم بن زياد [أخو أبى الجيش، الذى أتى بعده]
لا شك قد طالت، وامتد نفوذه لكن لا كما يصورها لنا عمارة
من التوسع والمبالغة بل كان حكمه محصوراً على التهائم فقط^(١)

ونزيد على ما قاله شيخنا الأكوخ: كان حكمه محصوراً على تهامة
اليمن فقط، ولم يمتد لا إلى السراة، ولا إلى نجران، كما لم يمتد إلى اليمن
بأسره، الجبال والتهائم، وحضرموت، كما يبالغ عمارة. بدليل الأتى:

- أنه عام ٢٠٧هـ خرج على طاعة المأمون، ببلاد عك: عبد
الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب.
يدعو إلى الرضى من آل محمد، فلما بلغ المأمون ذلك وجه له دينار بن عبد
الله، أحد قواده المعروفين، ومعه حشد من الجند، فسار دينار حتى مر
بمكة، وحج هو ومن معه موسم ٣٠٧هـ، ولما فرغ من الحج، توجه إلى
بلاد عك، وكان يحمل كتاب أمان من المأمون إلى عبد الرحمن العلوى،
ليعرضه عليه قبل أن يحاربه، فإن قبله، وإلا حاربه، فلما دخل دينار أرض
عك أرسل إلى عبد الرحمن العلوى بكتاب الأمان، فقبله، وعاد إلى
الطاعة، وتفرق من كان قد تجمع حوله، فأقبل به دينار راجعاً إلى المأمون
أوائل عام ٢٠٨هـ فعفا عنه، وأكرمه^(٢) فأين ابن زياد من هذا الحادث إذا

(١) المصدر نفسه ص ٥٣، وبتلليل أنه لم يرد له ذكر في أمهات كتب التاريخ الإسلامى، كالطبرى، وابن الأثير،
وغيرهما.

(٢) الطبرى ٥٩٣/٨، والبداية والنهاية ٢٩٤/١٠.

كان المأمون قد بعثه إلى نفس المنطقة عام ٢٠٣هـ - ١٩ لم يكن من الأجدى أن يعهد إليه بتلك المهمة بدلاً من أن يبعث إليها قائداً وجنوداً يقطعون الفيافي من بغداد إلى بلاد عك.

- أنه لم تغفل أعين الخلفاء العباسيين - وبخاصة فترة ازدهار الدولة - عن اليمن أو غيره من أقاليم الدولة، حيث كانوا يهتمون بإرسال الولاة، ومتابعيهم، وليس أدل على ذلك من أن المأمون طلب سليمان بن عبد الله بن سليمان العباسي - وكان في مكانة عمه، ليعينه والياً على اليمن، وجعل له ولاية إمامة الناس في الصلاة في كل بلد يدخلها، وكان مقيماً في دمشق، فخرج من دمشق، فكان يتولى الإمامة في كل بلد يدخلها في طريقه، حتى دخل بغداد فصلى بالناس عيد الفطر عام ٢١٦هـ، ثم شخص منها في طريقه إلى اليمن، فدخل مكة يوم ٢ ذو القعدة، فظل يوم الناس في الصلاة حتى دخل موعد الحج، وهو الذي أقام للناس موسم حج عام ٢١٦هـ، ثم انطلق بعد الموسم إلى اليمن والياً عليها .. وقدم منها عام ٢١٧هـ ليؤم الحجاج ويقودهم في المشاعر ذاك الموسم^(١) فأين ابن زياد الذي جعله عمارة يملك اليمن، وما حوله ١٩ ثم إنه كانت هناك شخصية قوية من البيت العباسي تتولى ولاية الحرمين خلال الفترة من عام ٢٢١هـ حتى عام ٢٣١هـ، وهو محمد بن داود بن عيسى، الذي كان أبوه والياً عليها إبان الخلافات بين الأمين والمأمون، وخلع الأمين، وبايع

(١) الطبري ٨/٦٢٦، ٦٢٩، والبداية والنهاية ١٠/٣٠٨.

للمأمون، وقد تولى محمد هذا الحج بالناس فترة ولايته^(١) وذلك فيما عدا موسمين، وكان قد اقتصرت ولايته على مكة والطائف، وما يتبعهما عام ٢٢٨هـ، وعين والياً على المدينة محمد بن صالح بن العباس بن محمد، العباسي، لأن بعض الأعراب حول المدينة بدأوا يتطاولون على الناس والسابلة، وعلى غيرهم من القبائل الأخرى، وبخاصة بنو سليم الذين كانوا إذا وردوا سوقاً من أسواق الحجاز، أخذوا ما يحتاجونه من الأسواق بالسعر الذى يريدونه، لا بما يريد صاحبه السلعة، وتطور بهم الأمر إلى أن أوقعوا بغيرهم من بعض القبائل، كبنى كنانة وباهلة، وقتلوا نفرًا منهم، في جمادى الآخرة عام ٢٣٠هـ، وكان يرأس هذه العشيرة من بنى سليم عزير بن قطاب الليدي السلمي، فوجه إليهم وإلى المدينة وهو يومئذ محمد ابن صالح: حماد بن جرير الطيرى، رئيس مسلحة المدينة^(٢) فتغلبوا عليه، وقتلوه عند الرؤينة، على ثلاث مراحل من المدينة، واستفحل أمر بنى سليم بعد أن انضمت إليهم بطون أخرى منهم، واستباحوا القرى والمناهل، فيما بين مكة والمدينة، واعتدوا على من يليهم من القبائل، واقتدى بهم بعض القبائل الأخرى في المنطقة، وكاد زمام الأمن يفلت من السلطة، وتقتتل القبائل بعضها مع بعض، فوجه إليهم الخليفة الواصل: أبا موسى بغا الكبير، على رأس جيش كثيف، فقدم في شعبان سنة ٢٣٠هـ إلى حرة بنى سليم،

(١) الطيرى ٣٢٢/٨، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) كان المعتصم ومن بعده ابنه الواصل، قد جعلوا في مقر كل ولاية مسلحة، مثل الشرطة، بجوار الوالى يساعده في تنفيذ الأوامر والتعليمات، ويحافظون على المدينة، ويحرسونها ليلاً ونهاراً، وسموا الشاكرية.

فواقعهم عند شق الحرة من وراء السوارقية، وقتل خمسين من فرسانهم،
وانهزم الباقون، فدعاهم إلى الأمان، والنزول على حكم الخليفة فيهم،
فأجابوا، فأخذ من رؤسائهم جمعاً، وممن كانوا يوصفون بالشر والفساد
زهاء ألف رجل، جعلهم في سجن المدينة — دار يزيد بن معاوية — ثم
شخص إلى مكة حاجاً موسم ٢٣٠هـ، وبعد انقضاء الموسم عرّج على
بنى هلال، ببادية الطائف، وكان طائفة منهم فعلت مثل بنى سليم من
قطع الطريق، فأخذ أهل الفساد والشر فيهم، وخلّى سائرهم. ثم سار إلى
بنى مرة، شمال خير ففعل بهم مثلما فعل بنى هلال، ثم ذهب إلى بنى
فزارة بفدك، وإلى غطفان وأشجع وبنى كلاب، وكافة القبائل التي
حاولت الإخلال بالاستقرار والأمن^(١) .. واستمر في المنطقة حتى نهاية
عام ٢٣٢هـ، لأن بطناً من بنى نعيم عاث في الأرض فساداً، فذهب عمارة
ابن عقيل حفيد الشاعر جرير الخطفي، وكان هو شاعر أيضاً فمدح
الخليفة الراحل بقصيدة، ثم شكّا بنى نعيم إلى الخليفة، وأنهم يغيرون على
الناس، والقبائل المجاورة لهم في اليمامة، فكتب الخليفة إلى بغا الكبير أن
يسير إليهم من المدينة، فسار إليهم ولم يتغلب عليهم إلا بصعوبة، وفر
بعض رؤوسهم، فظل مساعدته واسمه: واجن الصفدي يطاردتهم حتى
صاروا إلى ما وراء تبالة، بالقرب من حد عمل اليمن، فعاد بعد أن فاتوه
ودخلوا أرض اليمن.^(٢) ولم يكن بمقدوره متابعتهم في داخل أرض اليمن إلا

(١) انظر فيما سبق: الطبري ١٣٥، ٢٩/٩.

(٢) الطبري ١٥٠، ١٤٩/٩.

بتعليمات من الخليفة نفسه، أو القائد العام بغيا الكبير .. وهذا من دقة التنظيم الإداري.

تري لو كان ابن زياد كما يصفه عمارة يستولى على البلدان واحدة بعد الأخرى، ويحارب هذا وذاك كى يستخلص ما تحت نفوذهم من البلدان والوديان، ويقتل في طريقه ما يشاء بغرض إنشاء دولة يرثها أبناؤه من بعده، افكان يُترك هو أو غيره، يفعل ما يشاء؟ إن شواهد التاريخ، ووقائع الأحداث، وطبائع العمران والأحوال تنفى وقوع ما وصفه عمارة في شأن ابن زياد، خلال هذه الفترة التاريخية التى وُجد فيها أحد قواد الدولة بالمنطقة، لتأديب بعض الخارجين على الأمن من القبائل التى لا تُطاول في قوتها، وبأسها! كما يلاحظ أن جعفر بن دينار عاد مرة أخرى إلى ولاية اليمن، من قبل الخليفة الواصل عام ٢٣١هـ، وسار إليها ومعه أربعة آلاف فارس^(١) للعمل على استتباب الأمن في بعض مناطقها، فيبدو أن بعض القبائل باليمن قد فعلت في هذه الفترة ما فعلته بنو سُليم وغيرها بمنطقة الحجاز.

ويلاحظ أيضاً أنه كان على بلدة بيشه - في ذاك الوقت - وال قوى، هو عيسى بن محمد، من بنى المغيرة من مخزوم من قريش، وأن الخليفة المعترز عهد إليه هو ومحمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر المنصور بقتال اسماعيل بن

(١) البداية والنهاية ٣٤٧/١٠، والطبرى، ج ٩، ص ١٤٠.

يوسف العلوي، حين ظهر بمكة عام ٢٥١هـ^(١) وبه يستدل على أن المخزومي كان أحد الولاة المحليين التابعين لوالى مكة، وييشة أحد البلدان التى تقع في نطاق ولاية الطوائف المنضمة لولاة مكة، فمحمد بن أحمد العباسي كان هو والى مكة في ذاك الوقت.

أمكن لابن زياد الذى حكم من عام ٢٠٣هـ حتى توفى عام ٢٣٥هـ، أن يحارب حيرانه - كما يقول عمارة - ويدخل في حوزته ما بأيديهم، ويقتل في سبيل ذلك ما يقتل، ويُضَيِّع المعالم الحدودية لكل ولاية، والتى بنيت على أساسها مطلوبات الخراج والصدقة، وحصر القبائل في مواطنها وغير ذلك من أسس كانت مدونة بمقر وقاعدة الإقليم، وفي ديوان الخلافة أيضاً^(٢). أيتم ذلك في عهد المأمون، الذى كان يملك قوات مهّدت له الخلافة شرقاً وغرباً، أو في عهد المعتصم فاتح عمورية، حصن الروم الحصين^(٣) والذى أخذ عليه بعد وفاته أنه أنفق على الحروب في عهده أكثر مما أنفق في الإنشاء والعمران^(٤).

والعجيب أن الدكتور عزب صنف دولة بنى زياد ضمن دول الشيعة التى قامت في اليمن^(٥) ونسى أن عمارة نسب ابن زياد إلى بنى

(١) انظر: غاية الأمانى، لحيى بن الحسين، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، وآخر القسم الأول ص ١٦٠، ١٦١، وفيه أن ذلك حدث عام ٢٤٩هـ، وانظر الطبرى ٩/٣٤٦، ٣٤٧، ٣٧٢، وفيه أنه حدث عام ٢٥١هـ، وهو الصواب كما في الجمهرة ص ٤٦، وشفاء الغرام ٢/١٨٦.

(٢) الطبرى ج ٩/٥٧-٧٠، والبداية والنهاية ١٠/٣٢٤-٣٢٧.

(٣) انظر مقدمة الطبرى، انظر حقها الدكتور محمد زينهم محمد عزب لكتاب عمارة بعنوان "تاريخ اليمن" ص ٧-٩.

أمية، فهل يُعقل أن يكون أحد من بنى أمية متشيعاً للعلويين؟ إن المشاحة والخصومة كانت مستحكمة بينهما، وكانت قبلهما في بنى هاشم وبنى أمية منذ ما قبل الإسلام، حتى أن المقرئى ألف في ذلك رسالة (كتيب) عنوانه على ما أذكر "الانصاف فيما وقع بين بنى هاشم وبنى أمية من خلاف" متبوعاً بداية ذلك منذ العصر الجاهلى، وفي الإسلام .. ثم كيف يتشيع ابن زياد وقد بدأ عاملاً للعباسيين وكان بينهما مثلما كان بين الأمويين والعلويين؟ ولئن كان المأمون هو الوحيد الذى هادنهم فترة، وجعل أحدهم^(١) ولياً لعهد فتوفى ولم يتم له شئ، لكن العباسيين ثاروا عليه يومها، وخلعوا طاعته وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي خليفة عام ٢٠٢هـ بدلاً من المأمون ثم إن المأمون تراجع عن تلك الفكرة، وأبقى ولاية العهد في العباسيين، وفي سنده القوي أخيه المعتصم، ثم أقدم على اتخاذ موقف أشد في تعامله مع الطالبين^(٢) عام ٢٠٧هـ، فأخذ يحذر منهم

(١) هو على بن موسى بن جعفر بن محمد، العلوي وذلك عام ٢٠١هـ، انظر الطبري ٥٤٤/٨، ٥٤٦، ٥٤٧، والبيدي

والنهاية ٢٧٩/١٠، ٢٨٠.

(٢) عندما يقال الهاشميون: فيشمل أبناء العباس، وأبناء أبي طالب بن عبد المطلب، وأما العباسيون، فخاصة ببنى عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، والطالبيون: خاصة لأبناء على، وجعفر، وعقيل أبناء أبي طالب بن عبد المطلب. والعلويون: خاصة لأبناء على بن أبي طالب: من الحسن، والحسين، ومحمد (المعروف بابن الحنفية) والحسينون: نسبة إلى الحسن بن على، والحسينيون: نسبة إلى الحسين بن على، وكافة طوائف الشيعة تابعون لأئمة من أبناء على بن أبي طالب الثلاثة: الحسن، والحسين، ومحمد. وهناك اختلافات كبيرة وواسعة في آراء ومعتقدات طوائف الشيعة، وفيها غلو شديد.

ومنع دخولهم عليه دون إذن، وأمرهم بلبس السواد^(١) فلئن هادن أحد من أحفاد ابن زياد أحدًا من الشيعة، فهي مهادنة سياسية.

كان من نتيجة الأخطاء التي وقع فيها عمارة اليمنى، أن الذين نقلوا عنه وقعوا في نفس الأخطاء، وحدث تضارب في أقوالهم، فمثلاً قال الجرافى^(٢) : إن الخليفة المأمون قلّد ابن زياد أعمال اليمن عام ٢٠٣هـ، وأناط به أمر تأديب العصاة بتهامة اليمن، فقاتل قبيلة الأشاعرة، واستولى على تهامة^(٣) وعدن، وحضرموت. وأمتد نفوذه إلى مكة، واستمر كذلك حتى توفى عام ٢٤٢هـ^(٤) بعد أن أسس دولة مستقلة عن الخلافة، استمرت في ذريته حتى قيام بنى نجاش عام ٤٠٣هـ.

ثم يقول بعد ذلك^(٥) : إن الخليفة المعتصم بعث الأمير عبد الرحيم ابن ابراهيم الحوالى عام ٢٢٥هـ والياً على اليمن، وفي عام ٢٤٧هـ تولى حكم اليمن محمد بن يعفر الحوالى من قبيل الخليفة المنتصر ..

ولسائل يسأل: ألم يستول ابن زياد على اليمن، وماحوله ويكُون دولة مستقلة عن الخلافة العباسية، فكيف يرسل الخلفاء الولاة عليها، وال

(١) الطبرى ٥٩٣/٨.

(٢) المقتطف من تاريخ اليمن، ص ١٠٥، ومثل الجرافى كثيرون!..

(٣) ونقول الصواب: تهامة اليمن فقط لأن مجرى الأحداث التاريخية تقيد ذلك. بدليل ماسبق أن ذكرناه.

(٤) الصواب أنه توفى عام ٢٣٥هـ.

(٥) المرجع نفسه ص ١٠٧.

بعد الآخر ١٩. وما موقف ابن زياد من هؤلاء الولاة ١٩. وأين هى الدولة المستقلة عن دولة الخلافة ١٩. إن هذا التضارب والتناقض يبعث على عدم الثقة في الأخبار والروايات التى تصدر عن هواة النقل دون تدبر ..

وعلى كل فإنه يتضح من كل ماسبق أن عمارة بالغ كثيراً، وأن ذاكرته خائته فصَّحَفَ وخلَطَ، ولم يَطَّلِع على ما كتبه ثقة المؤرخين، لذا توهم أشياء لم تقع، وتلقفها عنه بعض المؤرخين دون تثبت من صحتها — من منطلق الثقة — فوقعوا في الخطأ نفسه، وعلى أيديهم شاعت وكأنها حقائق مسلمة، لأن كثرة تداول المعلومة الخطأ يزيد هاشهرة، ورسوخاً في الذهن، وربما يُنكر الصواب إن ظهر، شأن الكلمة المخالفة لقواعد اللغة، والقياس، التى اشتهر وشاع استعمالها خطأً. فإن الأذان تمج سماعها، ولا تستأنس بها إن قيلت صواباً، بينما تستعذبها وتشغف لها إن قيلت خطأً. حقاً آفة الأخبار رؤاؤها..

حقيقة الوضع :

إن حقيقة الوضع على ضوء ماسبق من شواهد وأدلة تاريخية، أن ابن زياد سواء أكان مرسلاً من قبل الخليفة، أم كان من أبناء المنطقة، وسواء وُجد بها خلال هذه الفترة الزمنية التي نحن بصدد سرد أخبارها، أم وُجد بعدها؟، فما هو إلا والٍ محدد الولاية على أرض عك والأشعرين فقط، يحكمها باسم الخليفة، ويستمد سلطته من السلطة العامة للدولة، مثل الولاة المحليين الآخرين، من رؤساء البلدان، والمخالفين والقبائل، الذين لا يتعدى نفوذهم حدود منطقتهم، أو بلدهم، أو مخلافهم، أو قبيلتهم، ليبدأ خلف تلك الحدود نفوذ الوالى أو الرئيس المجاور .. وأى تعدٍ لتلك الحدود كان يعتبر اعتداء على حقوق الغير، وعندئذ يُرفع الأمر إلى والى الإقليم الذى يخضع هؤلاء إلى رئاسته، فإن استطاع ردع المعتدى، وإلا رفع الأمر إلى السلطة العليا التى ترعى الجميع، أى ديوان الخلافة، لأن هذا هو ما حدث فعلاً بالنسبة لبنى سُلَيم وغيرها من قبائل الحجاز. وفي اليمن أيضاً عندما عاد إليهم جعفر بن دينار والياً، يقود أربعة آلاف جندي عام ٢٣١هـ، كما سبق أن ذكرنا ذلك.

كان هؤلاء الرؤساء، أو الولاة المحليين هم الذين يُورثون الرئاسة لأبنائهم من بعدهم، طالما كانوا محل رضا وثقة من مرؤوسيههم .. كبنى عبد المدان على بنى الحارث بن كعب بنجران، ثم بنى الجون من بنى عبد المدان .. وبنى طرف على مخلافى حكم وعثر، ثم إلى أن وحدهما سليمان

ابن طرف تحت مسمى " المخلاف السليماني " في جازان، وغير ذلك.
وكرؤساء القبائل على قبائلهم .. أما ولاية الأقاليم والأمصار والولايات
مثل مكة، والطائف، والمدينة، واليمامة، واليمن، والكوفة، ومصر، وغيرها
فإن ولايتها كانوا يعينون من قبل الخليفة، وله أن يعزلهم متى شاء، كما
شاهدنا ذلك خلال السرد التاريخي السابق ..

وحينما بدأ الضعف والوهن يتسرب إلى قلب الدولة العباسية في
النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، كانت أطرافها أشد تأثراً بهذا
الضعف والوهن، كالشجرة الباسقة تصفر أوراقها، وتسرع في الذبول،
عندما تعزّيها الشيخوخة، فكان أول ما انفصل عن جسم الدولة أطرافها
في شمال أفريقيا، وأدنى الشمال الشرقي فيما وراء خراسان بآسيا، أما في
شبه الجزيرة العربية فكان جنوبها هو الأبعد عن متناول يد الدولة، وأصبح
المناخ فيه مهياً لنمو الأفكار والآراء المذهبية^(١) كما أتاحت الفرصة لهؤلاء
الولاية المحليين لأن ينمو نفوذهم شيئاً فشيئاً، بمقدار انحسار نفوذ الدولة
عنهم تدريجياً، وأغراهم ذلك على بسط نفوذهم على مجاورتهم من الولاية
الضعفاء، ورؤساء القبائل، وتخلت الدولة - بسبب ضعفها المتنامي - عن
أهم وظائفها وواجباتها، وهو مناصرة الضعيف، والسهر على الأمن،
وحفظ حقوق الرعية في تلك المناطق، واكتفت أحياناً بإرسال ولاية أقاليم

^(١) تاريخ اليمن لابن المطاع، ص ١٤٦ قال: كان باليمن مذاهب مختلفة: قرامطة، وإباضية (فرقة من الخوارج)
وحيرية، ونقول: وشيعة زيدية، وباطنية، وغيرها بالإضافة إلى أهل السنة، وكان وجود هذه الطوائف سبباً في
الفتن والاضطرابات لأزمان طويلة.

من قبلها، لا يتدخلون فيما يحدث في المنطقة، وإنما يكون وجودهم فيها وجوداً اسمياً وشرفياً، كما اكتفت من هؤلاء الولاة المحليين، بتقديم الطاعة والولاء، ولو بشكل مظهرى، كالدعاء على المنبر، وكتابة اسم الخليفة على الصكوك المتعامل بها نقدياً، وقبول بعض الهدايا بدلاً من الخراج، أو الضدقة، أو الارتفاع، كما كانت تسمى به في ذلك الوقت.

بدأ هؤلاء الولاة المحليين بسط نفوذهم على أكبر مساحة من جسم الدولة الواهية الضعيفة، بعد أن تأكدوا من عدم مقاومتها لتصرفاتهم، محاولين إضفاء الشرعية على أعمالهم وتصرفاتهم، سواء بإعلان الطاعة، وأنهم فعلوا ما فعلوه ولم يخرجوا عن طاعتها، وولائها، كبنى زياد، والنجاحيين، أم بالخروج عن الطاعة، بزعمهم أنه حادت عن تحكيم كتاب الله، كالخوارج، أو أن حكامها ليسوا أولى بالحكم منهم كالأئمة الزيديين وغيرهم.

ووقع تنافس بين هؤلاء الولاة. ونشأت بينهم حروب طال مداها، بهدف السيطرة على أكبر مساحة من الأرض، لإقامة دويلة عليها، يتوارثها الأبناء من بعدهم، ولم يدر بخلد أحد منهم في ذاك الوقت الحدود الإقليمية لنواحي شبه الجزيرة العربية، أو بالأحرى الحدود الإقليمية لليمن نفسها، كى يدور الصراع بينهم داخل تلك الحدود، بهدف توحيدها سياسياً مثلاً، وإنما كان المجال أمامهم متسعاً في أقاليم وأرض الدولة ممثلة في شبه الجزيرة العربية بكاملها، فطموحاتهم في ذاك الوقت لا تحد بحدود إقليمية، ولو كان بمقدور أحد منهم أن ييسط نفوذه إلى كافة أقاليم

الدولة، بل وإلى قلبها في بغداد لما توانى في اقتناص ذلك. فما بالك بأرض اليمن، فلم يستطع أحد منهم توحيداً سياسياً، فظلت في عهدهم مجزأة، ومفتته، وأبناؤها وقود لتلك الحروب والصراعات المتواصلة.

وكان على كل بلدة حاكم، وعلى كل مَخلاف أمير غالباً، وجميعهم في صراع متواصل، على مدى ثلاثة قرون تقريباً، إلى أن دخلت اليمن في حوزة الدولة الأيوبية عام ٥٦٩هـ، مما دعا مُحقق كتاب تاريخ مدينة صنعاء لأن يقول: ونرى صنعاء في نهاية القرن الرابع لها في كل شهر حاكم، وفي كل يوم أمير^(١) وبلغ التعصب المذهبي أحياناً إلى استساعة فرض الجزية على سكان اليمن من أهل السنة^(٢) وتنازع السلطة في اليمن أحياناً عدة أئمة، وكثيراً ما تعارض إمامان فأكثر في بلد واحد، ومن الطريف أنه حدث في منتصف القرن الثالث عشر الهجري أن تنازع خمسة أئمة في صنعاء، وما حولها في عصر واحد عقب وفاة المهدي عبد الله بن المتوكل^(٣) لذا لم يتسن لأحد منهم توحيد اليمن سياسياً وإقليمياً.

وعموماً فطالما أن مسألة الإقليمية لم تكن في اعتبار هؤلاء المتصارعين على امتداد النفوذ، ولم تنهياً في خلدهم، فمن خطئ الرأي أن

(١) مقدمة تحقيق كتاب: تاريخ مدينة صنعاء للرازي، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ص ٢٧، الطبعة الثانية

١٤٠١هـ

(٢) انظر مقدمة تحقيق كتاب تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى" لعبد الله بن علي الوزير والتي كتبها باسم مركز الدراسات والبحوث اليمنية: عبد الصمد القليسي، ص ١٤.

(٣) اليمن الكبرى للويس، ص ٢٦٤.

يقال إن امتداد نفوذهم إلى مناطق أخرى ألقى الشخصية السابقة للأقاليم المضافة، واكسبها إقليمية جديدة دائمة. فلو قيل ذلك في معرض الاستشهاد التاريخي لامتداد نفوذ هؤلاء الولاة المحليين على بعض الأماكن، فماذا يقال عن امتداد نفوذ المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد الخلفاء الراشدين إلى كافة البقاع والأصقاع، وكذلك في عهد الأمويين، والعباسيين وهم أصلاً من أهل الحجاز .. من قريش؟! ثم إن القرامطة، والفاطميين، وبنو بويه، والمماليك وغيرهم امتد نفوذهم إلى كثير من المناطق والأقاليم، ولم تمح خلال ذلك هوية أى إقليم، وإن كان اكتسب الصبغة السياسية المؤقتة لهؤلاء لكنه عادت له هويته السياسية المحلية، التى تتوافق مع خواص إقليميته وطباع أهله وعاداتهم، بمجرد إنحسار ذلك النفوذ عنه، وإن الشواهد على ذلك في العصر الحديث كثيرة، مثل المستعمرات في عهد دول الاستعمار، فقد عادت للدولة المحتلة هويتها السياسية بمجرد انتهاء النفوذ الاستعماري عنها - بالشكل الذى يتوافق مع إقليميته، ورغبات أهله ومواطنيه في الأسلوب الذى يحكمون به أنفسهم، وكدول روسيا الاتحادية التى انفرط عقدها، وعادت لكل منها هويتها السياسية، مما يتوافق مع إقليميته السابقة، ورغبة مواطنيه وذلك بمجرد تداعى كابوس الشيوعية الذى كان جائماً على أنفاسها .. فهو نفوذ مؤقت قام لعدة عوامل، وعند انتهائه زال ذلك النفوذ ..

ويتبين من كل ذلك أن مسألة امتداد النفوذ ليست ذات أهمية، وبخاصة في العصر الذى نتناول أحداثه ونستعرض وقائعه .. لأنها كانت

عبارة عن غزو وسطو كتلك التى كانت تقع بين القبائل بعضها مع بعض، دون أن يؤثر ذلك على وضعية الأرض والأقاليم. وبالتالي التبعية الإقليمية التى أوضحناها فيما سبق ..

ثم تعالوا بنا نستعرض بلمحة سريعة نشأة بعض تلك الدويلات^(١) التى أقامها هؤلاء الولاة المحليين، لتلمس مدى هذا النفوذ .. إن كان هناك نفوذ حقاً كما يزعم البعض! ..

دولة بنى زياد (٢٠٣هـ - ٣٩١هـ) قاعدتها زبيد، وسبق أن أوضحنا أن الجميع نقل ما كتبه عنها، وعن نشأتها، وامتداد نفوذها إلى كثير من المناطق، عن عمارة اليمنى، وأنه توهم أشياء لم تقع، وخلط وصحّف، فلا يمكن الاعتماد على ما كتبه عمارة .. فالحقيقة أن نفوذ بنى زياد لم يخرج عن تهامة اليمن، ولم يمتد إلى حرض بتهامة الحجاز، لأنه كان عليها ولاة محليون، وكانوا يخضعون لإدارياً لولاة مكة، وعند ضعف الدولة العباسية ظلوا يحكمونها، وتربطهم بولاية مكة والطائف، علاقة وُدّ، تشبه إلى حد كبير الارتباط الإدارى، وأن منطقة جازان وهى المجاورة للزياديين، كان يديرها بنو الحكم من أهل المنطقة، ثم انتقل الحكم فيها عام ٣٩٣هـ إلى آل موسى الجون، وهم من أبناء المنطقة أيضاً، ولم يخضعوا للنجاحيين (٤٠٣-٥٥٥هـ) الذين قاموا بزبيد على انقاض الزياديين، ولا

^(١) أطلق بعض المؤرخين عليها اسم: دولة، أو مملكة، وهى بهذا الإطلاق تختلف عن المعروف في العصر الحديث، بتكوينات الدول وأسس تشكيلها في المفهوم الدولى، أو القانون الدولى العام.

لغيرهم، بدليل أنه عندما استفحل أمر ابن مهدي، في تهامة اليمن^(١) وحاول بسط هيمنته ونفوذه على جازان بتهامة الحجاز، وقعت بينه وبين حاكمها في ذاك الوقت غانم بن حمزة، وقائع وحروب قتل فيها ابن حمزة، فاستنجد أخوه بالخليفة العباسي، فكتب الخليفة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي حاكم مصر، بنصرته، فبعث صلاح الدين أخاه توران شاة إلى اليمن عام ٥٦٩هـ فاستولى على كافة اليمن، وقضى على تلك الدويلات التي كانت قائمة فيه، ودخلت بذلك اليمن في حكم الأيوبيين من عام ٥٦٩هـ حتى عام ٦٢٦هـ، ثم خلفهم الرسوليون من عام ٦٢٦هـ حتى عام ٨٥٨هـ، ثم بنو طاهر وهم قرشيون من عام ٨٥٨هـ حتى عام ٩٢٣هـ، ثم المماليك الجراكسة من عام ٩٢٣هـ حتى بداية الدولة العثمانية في اليمن عام ٩٤٥هـ كغيرها من الأقاليم والأقطار العربية التي دخلت في حوزة الدولة العثمانية.^(٢)

تري في أى اتجاه كان امتداد النفوذ؟ من اليمن أم إليها؟ وخلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة؟ وهل لو كان لأحد بالمنطقة نفوذ على حاكم جازان، أو تهامة عسير، غير نفوذ الخليفة، وغير والى الإقليم مثلاً، أفليس من الأجدى به أن يبعث الاستغاثة إليه، لقرب مكانه، وسرعة نجده؟ بل أكثر من هذا فإن المؤرخين أنفسهم الذين أروخوا لما سبق،

(١) قامت دولة بني مهدي عام ٥٥٣-٥٥٨هـ.

(٢) المقتطف من تاريخ اليمن للجغرافى، ص ١٢٦، ١٢٧، وتاريخ اليمن للواسعى، ص ١٨٩، وتاريخ اليمن لعمارة، تحقيق د. زينههم ص ١٥٦، وغاية الأمانى، القسم الأول، ص ٣٢١-٣٢٤.

قالوا: إنه في عهد الأيوبيين امتد النفوذ الدعوى لبنى حمزة، حكام جازان إلى صنعاء، وصعدة^(١) وأن حكام دولة بنى رسول بزويد كانوا يستميلون حكام جازان، وأقطع الملك المظفر الرسولى أحدهم مدينة القُحمة^(٢)، عندما زاره في زويد.^(٣)

ثم إن كثيراً من هؤلاء الولاة المحليين كان يستمد سلطته من الخليفة العباسى، أو الفاطمى، أو الأيوبى، أو المملوكى، وذلك باعلان الطاعة حتى ولو بصورة رمزية أو اسمية، فكان هذا اعترافاً ضمناً بهيمنة الدولة، والخضوع لها، وهو يشبه إلى حد كبير الدخول تحت الحماية في العصر الحديث .. وان امتداد سلطة الدولة للمناطق التى تحت أيدى هؤلاء الولاة لم ينقطع، ولم تنفصل تلك المناطق عن جسم الدولة سياسياً، وربما لهذا السبب وجه حاكم تهامة عسير استغاثته إلى الخليفة العباسى، ولهذا أيضاً قدمها الأيوبيون، والمماليك وغيرهم، على اعتبار أنها امتداد لأرض الدولة.. ولهذا السبب أيضاً تصدت الدولة في عهد المماليك إلى الغزاة الأوربيين كالبيرتغاليين وغيرهم، عندما قدما بجرأاً إلى المنطقة.

(١) تاريخ عمارة، بتحقيق د. زينهم، ص ١٣٨، وهو الجزء الذى جمع من تاريخ ابن خلدون عن اليمن، وألحق بالكتاب.

(٢) القُحمة في الشمال الشرقى من زويد، فيما بين بيت الفقيه والمنصورة وهى غير القحمة الواقعة ببلاد المنجحة، شمال جازان بمسافة ١٣٠ كيلو، على الساحل.

(٣) المقتطف للجغرافى، ص ١٣٣، ومدينة القُحمة كانت بالقرب من جبل القحمة على وادى ذوال في الشمال الشرقى لزويد، بين بيت الفقيه والمنصورة، وهى خربة حالياً. انظر معجم المدن والقبائل اليمنية، ص ٣٢٤.

إن شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، وإن كانت مقسمة إلى أقاليم جغرافياً وإدارياً، لكنها كانت تعتبر وحدة سياسية مترابطة ضمن أقاليم الدولة، وإن توزعها ولاية محليون، لأن آياً منهم لم يملك القدرة على تكوين دواة تكويناً سياسياً مستقلاً في نظر العالم الخارجى ذاك الوقت.

بل ظلت المنطقة في نظر العالم الخارجى، على أنها جزء من جسم الدولة العباسية ثم المماليك، وقدمها العثمانيون عام ٩٤٦هـ على اعتبار أنها جزء من جسم الدولة، وأنها ورثت من كان قبلها في الهيمنة على أجزاء الدولة وأرضها.

ونلاحظ أن الأئمة الزيديين ظلوا فترة طويلة منذ استقرارهم في اليمن عام ٢٨٤هـ^(١) يقومون بالدعوة ولا يلتفتون إلى السلطة، ثم بدأوا يتجهون إلى الحكم والسلطة، وعندما دخل الأيوبيون اليمن عام ٥٦٩هـ انحاز الأئمة إلى صعدة، ولم يجابها الأيوبيون، وظلوا كذلك في عهد الرسولين ثم الطاهريين ٨٥٨هـ، ثم بدأوا في الدخول مع غيرهم في صراعات. كما تنازعوا السلطة فيما بينهم، وكثيراً ما تعارض إمامان فأكثر في بلد واحد، ووقت واحد^(٢)، ودخل أهل نجران مع الأئمة في حروب طويلة، لمنع نفوذهم إليهم، ورفض دعوتهم، وهيمنتهم عليهم، وذلك إبان فترة

^(١) كان الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم، الحسنى، أول من ذهب إلى اليمن للمرة الأولى عام ٢٨٠هـ، ثم تركها وعاد إلى الرس، ثم ذهب إليه شيعته وحملوه إلى العودة إلى اليمن عام ٢٨٤هـ. فاستمر بها هو وذريته، تاريخ اليمن، لابن المطاع ص ٧٤-٧٦.

^(٢) اليمن الكبرى، للويسى ص ٢٦٤، وابن المطاع ص ١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠.

ضعف الدولة، ووهنها، وعجزها عن مد يد العون للضعيف، كما كان الحال في مجدها، حتى عمت الفتن والاضطرابات جنوب شبه الجزيرة .. وقام صراع طويل بين هؤلاء الولاة المحليين، ودخل الأئمة حلبة هذا الصراع .. ولم يستطع أيّ منهم التغلب على الساحة وتوحيد اليمن سياسياً في ذاك الوقت. لذا فإن امتداد نفوذ أيّ منهم إلى ما وراء حيزه - إن حدث - كان امتداداً مؤقتاً، ولفترات عارضة يعود بعدها، إما رغبة أو رهبة إلى موقعة، وبالتالي يعود الاقليم أو البلدة إلى وضعها السابق، دون أن يترتب عليه أيّ أثر سياسى، لأنه لم يكن يدور بخلداهم ذلك الهدف، ولذا فإن أعمالهم كانت تشبه إلى حد كبير الغزوات والغارات التى ليس لها من الثبات والديمومة ما يؤدي إلى التوحيد السياسى لبناء دولة، وما يتفق مع رغبات السكان، والرضا من المواطنين .. فامتداد النفوذ الخارجى قهراً كان أشبه بالاستعمار، وعند زواله يعود الوضع إلى ماكان عليه سابقاً

ونلاحظ أن صاحب كتاب "غاية الأمانى"^(١) الذى حاول فيه تقصى تاريخ اليمن منذ البعثة النبوية حتى عام ١٠٤٥هـ، متوسعاً في ذكر الدول التى قامت باليمن، والصراعات التى دارت بينها، وتعددتها خاصة في القرن السادس الهجرى، قال: "افترق مُلك اليمن في هذه المدة، فكان عدن أبين، والد ملوه، وتعز إلى نقيل صيد لآل زريع، أهل عدن. وذمار ومخاليقها لسلطين جنب. وصنعاء وأعمالها إلى نواحي الظاهر، وحدود الأنوم،

(١) غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني، تأليف يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ).

لعلى بن حاتم اليامى، صاحب صنعاء، والجوف وما يليه لآل الدعام.
وصعدة وما يليه للأشراف بنى الهادى، وشهارة وبلادها لأولاد القاسم
العيانى. والجريب وما حوله لولد عمر بن شرحبيل الحجورى، وزبيد
وبلاده إلى حد حرص [.. لاحظ كلمة: حرص هنا آخر حدود اليمن]
لعبد النبى بن على بن مهدى. "أى أن دولة بنى مهدى تنتهى حدودها
الغربية إلى حد حرص..

ثم قال: "ولم يزالوا كذلك حتى زالت دولتهم جميعاً بينى
أيوب."^(١) فانظر كيف قسمت اليمن إلى عدة دويلات، وإمارات،
تنازعت فيما بينها قروناً عديدة، وقد تقصاها المؤلف، وأتى على ذكر كل
منها بشكل تفصيلي، ثم أعطانا في النهاية خلاصة هذا التقصى. وهو حين
أوردها في النص السابق، أوردها كدول تقاسمت أرض اليمن وتنازعت
فيما بينها، حتى انتهت جميعها على يد الأيوبيين ولم تدخل منطقتنا ذلك
الصراع، وإنما وقف الصراع بينهم عند حدود حرص، ولم يتجاوزها غرباً
وشمالاً.

كما نجد أن ابن الجاور^(٢) الذى زار المنطقة أوائل القرن السابع
الهجرى، يقول — بعد أن عدد ذكر بعض البلدان في تهامة وعسير،
وأهلها —: "إنهم قبائل وفخوذ من العرب، ليس يحكم عليهم سلطان،

^(١) انظر غاية الأمانى، ص ٣١٦ في كل ماسبق.

^(٢) هو جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف بابن الجاور، الشيبانى، اللمشقى.

بل مشايخ منهم وفيهم." ^(١) ويقول عن نجران " .. إن أهلها لا يطيعون لملك الغز ولا لسلطين العرب" ^(٢) وهو يقصد بملك الغز الأيوبيين ومن عاصرهم من الحكام والأمراء العرب.

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من عدم خضوع منطقتنا لأى من نفوذ المتصارعين في جنوب شبه الجزيرة العربية.

كما نلاحظ أن ابن بطوطة، الرحالة العربى الشهير ^(٣) مر بالمنطقة، بعد أن جاور بالحرم المكى فترة، ثم أدى الفريضة عام ٧٣٠هـ، وانطلق بعدها مع حاكم حلي، وهو عامر بن ذويب من بنى كنانة، إلى بلاد حليّ يركبه في البحر حتى حليّ، فاستضافه ابن ذويب، ثم انطلق نحو اليمن، ومر ببعض الأماكن والبلدان. حتى وصل زبيد وعندها قال: إنها مدينة عظيمة باليمن.. وهى إحدى قواعد اليمن ^(٤) بينما لم ينسب غيرها مما مر به من بلدان إلى اليمن، ولم يذكر اليمن إلا عندما وصل إلى زبيد.. وهذا يعنى أنها بداية أرض اليمن..

(١) كتاب "المستبصر" تحقيق أوسكر لوفجرين، ليدن/بريل ص ٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢١٠.

(٣) ابن بطوطة، هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى، الطنجى، نسبة إلى مسقط رأسه طنجة من بلاد المغرب بشمال أفريقيا. خرج من بلده طنجة للقيام برحلته الشهيرة يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥هـ، وكان عمره ٢٢ عاماً، وطاف كثيراً من بلدان العالم العربى والإسلامى. وسجل رحلته في كتابه المسمى "تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار" المعروف باسم: رحلة ابن بطوطة.

(٤) رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ١٥٦.

وهذا كله يؤكد ما رأيناه، مدعماً بشواهد وأدلة تاريخية، سردنا بعضها خلال هذا الطرح لمسيرة التاريخ في مراحله المتتابعة.

وأياً كان فإن نشأة الدول في العصر الحديث تعتمد على أسس ومعايير ومفاهيم دولية، أوضحتها النظم والقوانين الدولية .. كما أوضحت أسس العلاقات بين الدول المتجاورة، واعتبرت من يشذ عن تلك الأسس خارجاً، ومعادياً للمجتمع الدولي.

ويتضح من كل ما سبق أن منطقة بحثنا - جازان وعسير ونجران - كانت امتداداً لوسط شبه الجزيرة العربية، ومرتبطة بها اجتماعياً وروحياً قبل الإسلام، ثم أضيف إلى ذلك العنصر الإداري في ظل الإسلام، وعلى مدى فترات التاريخ الإسلامى. حتى قيام الدولة العثمانية، ودخولها إلى المنطقة. ومواكبة ذلك نشأة الدول في العصر الحديث .. وهو ما نركز عليه الدراسة في الجزء الثاني من هذا البحث - إن شاء الله -.

المراجع

أولاً :

- القرآن الكريم
- بعض كتب السنة

ثانياً: الكتب

- د. إبراهيم، حسن.
- اليمن البلاد السعيدة، سلسلة اخترنا لك (٥٢) د. المعارف/القاهرة.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، على بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- الأزرقى، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد (٢٥٠هـ)
- أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح ملحق.
- دار الأندلس، بيروت.
- ابن الأصبغ، عرام السلمي (٢٧٥هـ)
- أسماء جبال تهامة وسكانها، طبع ضمن مجموعة قام بجمعها وتحقيقها،
- د. عبد السلام هارون، في سلسلة نواذر المخطوطات. ط: ٢، الحلبي،
- القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد، القرشي الأموي
الأصبهاني البغدادي (٣٥٦هـ)
الأغاني، دار الفكر، القاهرة.
- الأكوع، محمد بن علي، الحوالي.
اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة
١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- الألوسي، محمود شكري
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري
ط: ٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- باسلامة، حسين عبد الله
تاريخ الكعبة المعظمة، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، الطنجي
تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، الطبعة الثانية،
القاهرة.
- البغدادي، صفى الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٩هـ)
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي البجاوي، دار
المعرفة، بيروت.
- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، الأندلسي (٤٨٧هـ)
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لجنة التأليف والترجمة
والنشر، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (٢٧٩هـ)

أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودى، دار الصادق، بيروت.
فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- د. بيضون، إبراهيم

الحجاز والدولة الإسلامية. بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)

مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر. دار التراث، القاهرة
١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، الحراني الدمشقي (٧٢٨هـ)
السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية، دار الكتب العربية،
بيروت.

- أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (٢٣١هـ)

ديوان الحماسة، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ونسخة أخرى
بشرح التبريزي، ط: ١ دار القلم، بيروت.

- ابن جعفر، قدامة، الكاتب (٣٢٠هـ)

الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق د. محمد حسين الزبيدي، مكتبة المثنى
بيغداد.

- الحازمي، أبو بكر، محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان (٥٨٤هـ)

عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق عبد الله كنون، ط: ٢
القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ)
الإصابة في تمييز الصحابة، دار صياد، بيروت، مصورة عن الطبعة
الأولى بمصر ١٣٢٨هـ.
- الحربى، أبو إسحاق، إبراهيم بن اسحاق (٢٨٥هـ)
المناسك وأماكن طرق الحج، تحقيق حمد الجاسر، قدم له بمقدمة
مفيدة، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي (٤٥٦هـ)
جوهرة أنساب العرب، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار المعارف،
القاهرة ط: ٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ابن الحسين، يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد (١١٠٠هـ)
غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح
عاشور ود. محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربى
١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الحقل، حمد إبراهيم
كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط: ١٠، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الحلبي، علي برهان الدين بن ابراهيم بن أحمد بن علي (١٠٤٤هـ)
السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- حمزة، فؤاد
في بلاد عسير، ط: ٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
- د. حميد الله، محمد

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط: ٣،
بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- ابن خردادبة، أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله (٣٠٠هـ)
المسلك والممالك، طبع لأول مرة بمطبعة بريل، لندن ١٨٨٩م، ثم
صورته وأعادت طباعته مكتبة المثنى ببغداد.
- الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر، الزبيدي، المعروف بابن وهاس
(٨١٢هـ)

العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسوئية، دار الهلال بالقاهرة،
القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي، الأشييلي (٨٠٨هـ)
تاريخ ابن خلدون، المسمى "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام
العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوى السلطان الأكبر"،
بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، مصورة عن طبعة حجر.

- ابن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة
بيروت.

- الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى (بعد عام ٢٣٢هـ)
كتاب صورة الأرض، طبعة: دولف هولز، فينا، النمسا ١٣٤٥هـ/
١٩٢٦م.

- ابن خياط، أبو عمرو، خليفة بن خياط، الشيباني، البصري (٢٤٠هـ)
الطبقات، تحقيق اكرم ضياء العمرى، بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- الدهلوى، عبد الستار
المنتقى في أخبار أم القرى، أبواب، وفصول مختارة من كتب كل من:
الأزرقي، والفاكهى، وابن ظهيرة، والفاسى، وغيرهم، طبع ليدن.
- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦هـ)
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت،
مصورة عن طبعة حجر.
- الدينورى، أبو حنيفة، أحمد بن داود (٢٨٢هـ)
الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠م.
- الذهبى، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)
سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، د. حسين الأسد، مؤسسة
الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت.
- الرازى، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد (٣٢٧هـ)
أدب الشافعى ومناقبه، تحقيق عبد الغنى عبد الخالق، دار الكتب
العلمية بيروت ١٤٠٦هـ.
- الرازى، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، الصنعاني (٤٦٠هـ) •
تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمرى، وعبد الجبار
زكار، ط: ٢، صنعاء ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله، الصنعاني

مختصر أنباء اليمن ونبلائه في الإسلام، ضمن مجاميع لكتاب بعنوان:
الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- الزبيدي، محب الدين أبو الفيض، السيد محمد مرتضى (١٢٠٥هـ)
تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٦هـ.
- الزبيدي، أبو عبد الله، المصعب بن عبد الله المصعب (٢٣٦هـ)
نسب قريش، عنى بنشره والتعليق عليه لأول مرة: ١، ليفى، بروفنسال
ط: ٢، دار المعارف مصر.

- ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله (٢٥١هـ)
كتاب الأموال، تحقيق شاكر ديب فياض، مركز الملك فيصل
للبحوث، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- د. سالم، السيد عبد العزيز
دراسات في تاريخ العرب، الجزء الخاص بتاريخ العرب قبل الإسلام،
مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

- السبكي، تاج الدين أبو النصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي
(٧٧١هـ).

طبقات الشافعية الكبرى، ط: ٢، دار المعرفة، بيروت.

- سرهنك، الميرالاي إسماعيل
حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣١٢هـ.

- ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع، الزهري، البصري
(٢٣٠هـ).

الطبقات الكبرى، دار صادر ودار بيروت، بيروت

١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- ابن سلام، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)

كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، التميمي (٥٦٢هـ)

الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط: ٢، بيروت

١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- السهودي، علي بن عبد الله بن أحمد (٩١١هـ)

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق إبراهيم الفقيه، ط: ٢،

١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن أحمد، اليعمرى، الأشبيلي، المصري

(٧٣٤هـ)

عيون الأثر في المغازي والشمال والسير، دار الجليل، بيروت، ط: ٢،

١٩٧٤م.

- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (٩١١هـ)

تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة

١٩٧٥م.

الكنز المدفون والفلك المشحون، القاهرة، الحلبي ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- د. شرف الدين، أحمد حسين

اليمن عبر التاريخ، ط: ٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- صبري باشا، أيوب

- مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق، د. أحمد فؤاد متولى، د. الصفصافي أحمد المرسى، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
- صبرى بك، عبد العزيز
- تذكار الحجاز، خطرات ومشاهدات في الحج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٢هـ.
- العامرى، عماد الدين أبو بكر، يحيى بن أبى بكر بن محمد (٨٩٣هـ)
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسنن والشمال، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمد، القرطبي الأندلسي (٣٢٨هـ)
- العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، وآخرون، ط: ٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.
- العقيلي، محمد بن أحمد
- المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان.
- د. على، جواد
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط: ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة ببغداد ١٩٧٦م.
- د. على، صالح أحمد
- الدولة في عهد الرسول ﷺ، مطبعة الجمع العلمى العراقى، ١٩٨٨م
- محاضرات في تاريخ العرب، بغداد ١٩٦٠م.
- عمارة اليمنى، أبو محمد، ابن أبى الحسن، على بن محمد الحكيمى
- (٥٦٩هـ)

تاريخ اليمن، المسمى "المفيد في أخبار صنعاء وزيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها"، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط: ٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

ونسخة أخرى من الكتاب نفسه طبعت بعنوان "تاريخ اليمن" تحقيق د. محمد زينهم عزب، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- د. العمرو، علي عبد الرحمن

أثر الفرس السياسي في العصر العباسي، مطبعة الدجوى، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الغزالي، محمد

فقه السيرة، طبعة قطر.

- د. الغنيم، عبد الله يوسف

أقاليم شبه الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات العربية المعاصرة، الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الفاسي، تقى الدين، محمد بن أحمد بن علي، المكي (٣٨٢هـ)

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

- ابن الفقيه، أبو بكر، محمد بن أحمد، الهمداني (٢٨٩هـ)

مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)

- المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، ط: ٢، دار المعارف، القاهرة.
- ابن قدامة المقدسى، موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الديلمى، بغداد ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- القزوينى، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط: ٥، الحلبي، القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- القسطلانى، شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن أبى بكر بن أحمد (٩٢٣هـ) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، بشرح الزرقانى، تحقيق صالح أحمد الشامى، المكتب الإسلامى، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- القلقشندى، أبو العباس، أحمد بن على (٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة. قلهوزن، يوليوس - تاريخ الدولة العربية، ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريده، القاهرة ١٩٦٨م.
- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة، القاهرة المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت.

- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- كحالة، عمر رضا
- معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الكتاني، عبد الحى بن محمد، الحسنى.
- نظام الحكومة النبوية، المسمى "الترايب الإدارية" دار إحياء التراث
العربى، بيروت.
- ابن الكلبي، أبو منذر، هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤هـ)
- الأصنام، تحقيق أحمد زكى باشا، دار الكتب، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.
- الماوردى، أبو الحسن، على بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ)
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط: ٣، الحلبي، القاهرة
١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)
- الكامل في اللغة والأدب، مكتبة النصر، الرياض، ١٣٨٦هـ.
- نسب عدنان وقحطان، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، الدوحة
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ابن الجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، الشيباني
الدمشقي، المعروف بابن الجاور.
- صفة بلاد اليمن وبعض الحجاز، المسمى "تاريخ المستبصر" اعتنى
بتصحيحه وضبطه، أوسكر لو فجرين، ليدن، بريل ١٩٥١م.

- ابن أبى مخزومة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، الشهير: بالطيب.
بالمخزومة (٩٤٧هـ)

تاريخ نجر عدن، طبعة بريل، ليدن ١٩٢٦م، ضمن مجموعة.

- المقدسى، مطهر بن طاهر (٣٥٥هـ)

كتاب البدء والتاريخ، عنى بنشره لأول مرة المسيو كلمان، قنصل
فرنسا، على أنه لأبى زيد بن سهل البلخى، وطبع في باريس عام
١٨٩٩هـ، ثم أعيد طباعته على أنه للمقدسى.

- المسعودى، ابو الحسن على بن الحسين (٣٤٦هـ)

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد،
ط: ٢، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

التبیه والأشراف، بتصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوى،
القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

- ابن المطاع، أحمد بن أحمد بن محيى

تاريخ اليمن الإسلامى، من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ، تحقيق

عبد الله محمد الحبشى، شركة التنوير، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- المقحفى، إبراهيم أحمد

معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥م.

- م.ب. بيوتروفنسكى

اليمن قبل الإسلام، والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبي،

دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.

- الميدانى، أبو الفضل، أحمد بن محمد، النيسابورى (٥١٨هـ)

مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط: ٣، دار الفكر
القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

مجلة المجال (دورية) العدد ٢٥٧، أغسطس ١٩٩٢م.

- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط: ٣، دار الكتاب العربي، بيروت
١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- النيسابوري، أبو اسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم، التغلبي (٤٢٧هـ)

قصص الأنبياء، المسمى "عرائس المجالس" المكتبة الثقافية، بيروت.

- ابن نباته المصري، جمال الدين (٧٦٨هـ)

شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

- النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)

نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة.

- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب (٢١٣هـ)

السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط: ٣، دار إحياء

التراث العربي، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد

(بعد ٤٠٠هـ)

الأوائل، تحقيق د. وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم للطباعة

والنشر، الرياض.

- الهمداني أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٤٤هـ)

الأكليل، ج ١٠، تحقيق محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وتقديم حمد الجاسر دار الإمامة، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى

تاريخ اليمن، المسمى "فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن" ط: ٣، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٨٢م.

- ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب (٢٩٢هـ)

تاريخ اليعقوبي، دار الفكر، بيروت.

- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ)

المغازي، تحقيق د. مارسيدن جونز، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦م.

- ابن الوردي، زين الدين، عمر بن مظفر (٧٤٩هـ)

تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف: بتاريخ ابن الوردي، تحقيق

أحمد رفعت البدرأوى، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

- ابن الوزير، عبد الله بن علي

تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى"

تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، وتقديم عبد الصمد القليس، منشورات

مركز الدراسات والبحوث اليمن، دار المسيرة، بيروت

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

- الويسي، حسين بن علي

اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢م.

- ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومى

(٦٢٦هـ)

معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

المحتويات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
- مقدمة	١
الباب الأول: بلاد العرب	٥
١- جغرافية بلاد العرب في رأى قدامى الجغرافيين	٥
تهامة	٦
الحجاز	١١
٢- موقع أقاليم جازان، وعسير، ونجران	١٧
جازان	١٧
عسير	١٩
نجران	٢٢
٣- أشهر القبائل العربية في الإقليم في العصر الجاهلى	
حتى ظهور الإسلام	٢٩

طبقات العرب ٢٩

الباب الثاني: الوضع العام لشبه الجزيرة العربية في

العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام ٤٧

- ملوك العرب في الشمال ٦٥

- علاقة المنطقة بالنفوذ السياسي لتلك الممالك ٧٢

- تحليل وقائع حادث الفيل ٨٠

الباب الثالث: حالة شبه الجزيرة العربية عند ظهور

الإسلام ٩١

- موقف القبائل العربية من الإسلام ٩١

- موقف قبائل المنطقة من الإسلام ١٠٤

- نجران ١٢٤

- موقف الملوك والحكام من الإسلام ١٤٥

الباب الرابع: الترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية

١٥٣ في عهد الرسول ﷺ

- ١٥٣ - أسس الترتيبات الإدارية لمناطق شبه الجزيرة
- ١٦٩ - نصيب منطقتنا من تلك الترتيبات الإدارية
- ١٨٤ - حركة الردة
- ٢٠٩ - جهود بعض أبناء المنطقة في بداية الفتوحات الإسلامية
- ٢٢٧ - استمرارية العمل بالترتيبات الإدارية فيما بعد الرسول ﷺ

الباب الخامس: التبعية الإدارية للمنطقة منذ عهد الخلفاء

٢٣٥ الراشدين حتى بداية الدولة العثمانية

- ٢٣٥ - الخلفاء الراشدون
- ٢٣٦ - عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- ٢٤٠ - عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ٢٤٧ - عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

الموضوع

الصفحة

- عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٥٠
- عهد بني أمية ٢٥٤
- عهد العباسيين ٢٦٧
- محاكمة نجراني ٢٧٢
- الشافعي والياً على نجران ٢٧٦
- بلاد عك والأشعرين ٢٨٦
- مصادر تاريخي في ميزان النقد ٢٩٦
- حقيقة الوضع ٣١٤
- فهرس المراجع ٣٢٧
- فهرس المحتويات ٣٤٣

رقم الإيداع ٨٨٥٧ / ٩٥
الترقيم الدولي ٤ - ٩٠٩٦ - ٠٠ - ٩٧٧ - I . S . B . N

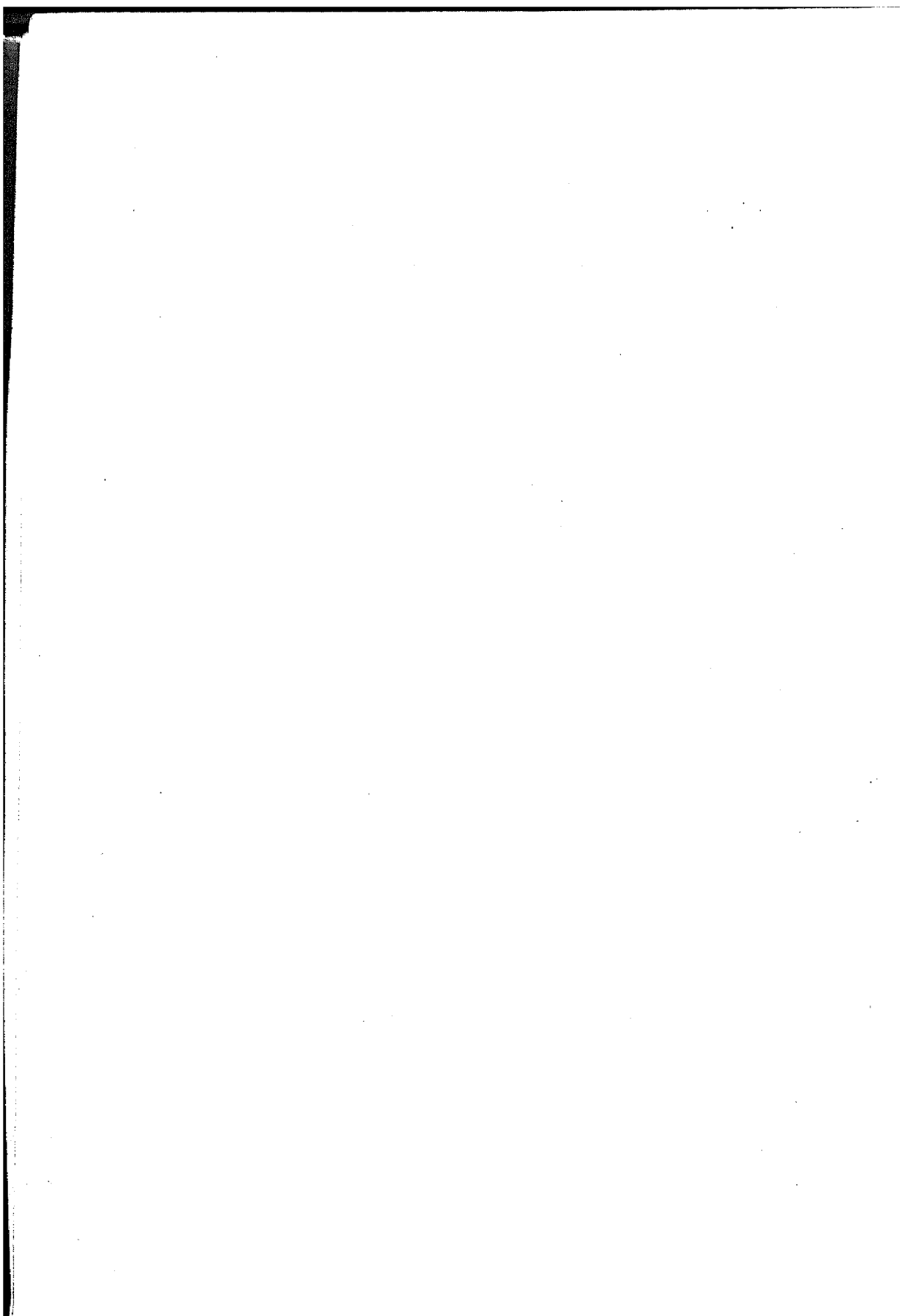
طبعت بمطابع دارالتعاون للطبع والنشر

دارالسلام - طريق المعادى الزراعى - القاهرة

تليفون : ٣١٨٢٥٣٣ - ٣١٨٢١٦٠

٣١٨١٧٧٨ - ٣١٨١٣٦٥

فاكسيملى : ٣١٨٤١٦٢ دارالسلام





Central Organization Of the Arab
World Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

